

مصحف الغريب

المصحف ومعه غريب القرآن وأسباب النزول وأحاديث التفسير

الجزء ٤

الصفحات ٦٣-٨١

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ
 رَسُولُهُ ۚ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
 مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا
 نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
 فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ۚ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ
 النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ
 تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
 بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾
 وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ
 وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
 وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ أُسْوِدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
 فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ
 وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ
 اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

الغريب

وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ

السطر ٢ · الآية ١٠١

﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ﴾ أي: يمتنع بالله. وأصل العِصْمَةِ: المنع. ومنه يقال: عَصَمَهُ الطَعَامُ؛ أي منعه من الجوع.

ابن قتيبة

(مادة عصم) ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ﴾

الراغب

، واستَعَصَمَ: استمسك، كأنه طلب ما يَعْتَصِمُ به من ركوب الفاحشة، قال: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم﴾: يمتنع (زه) والعصام: حبل يمتنع المتمسك به عن الوقوع.

ابن الهائم

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ

السطر ٤ · الآية ١٠٣

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي: بدينه [وعهده] .

ابن قتيبة

(مادة عصم) ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾

الراغب

(مادة حبل) ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ ، فحبله هو الذي معه التوصل به إليه من القرآن والعقل، وغير ذلك مما إذا اعتصمت به أدلك إلى جواره، ويقال للعهد حبل

الراغب

(مادة الأيل) قال تعالى: ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾

ابن الهائم

﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾: بعهد (زه) الحبل: العهد والذمة والأمان.

عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ

السطر ٦ · الآية ١٠٣

﴿عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ﴾^١ أي حرف مثل شفا الركبة وحروفها.

أبو عبيدة

﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾ أي: حرف حفرة ومنه "أشْفَى على كذا" إذا أشرف عليه.

ابن قتيبة

(مادة شفا) ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ ، وَأَشْفَى فلان على الهلاك، أي: حصل على شفاه، ومنه استعير: ما بقي من كذا إِلَّا شَفَا^٢ ، أي: قليل كشف البئر. وثنية شفا شَفَوَانٍ، وجمعه أَشْفَاءٌ، وَالشِّفَاءُ من المرض: موافاة شفا السَّلامة، وصار اسما للبرء. قال في صفة العسل:

الراغب

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «شفا حفرة ... وحروفها»: وفي البخاري: شفا حفرة مثل شفا ركبة، قال ابن حجر: بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد الياء وهو حرفها كذا للاكثر يفتح المهملة وسكون الراء ... والجرف الذي أضيف إليه «شفا» في الآية الأخرى، غير «شفا» هنا، وقد قال أبو عبيدة في قوله تعالى «شفا حُفْرَةٍ»: شفا جرف وهو يقتضى التسوية بينهما في الإضافة، وإلا فدل «جرف» غير مدلول «حفرة» فان لفظ شفا يضاف إلى أعلى الشيء (فتح الباري ٨ / ١٥٥) .

^٢ حاشية المحقق على المفردات: انظر: البصائر ٣ / ٣٣٠، وأساس البلاغة ص ٢٣٨، والمجلد ٢ / ٥٠٧.

الراغب

(مادة حفر) قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾

، أي: مكان محفور، ويقال لها: حَفِيرَةٌ. والحَفَرُ: التراب الذي يخرج من الحفرة، نحو: نقض لما ينقض، والحِفَارُ والحِفَرُ والحِفْرَةُ: ما يحفر به، وسمي حَافِرُ الفرس تشبيها لحفره في عدوه، وقوله ﷻ:

ابن الهائم

﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾: شفا الشيء: حفره. [زه] والحفرة: المحفورة.

السراج

﴿شَفَا﴾ ... حَافَةً.

فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا^١

السطر ٧ · الآية ١٠٣

أبو عبيدة

﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ ترك «شفا»، ووقع التأنيث على «حفرة» وتصنع العرب مثل هذا كثيرا، قال جرير:

رأت مَرَّ السنين أخذن مني ... كما أخذ السرار من الهلال^١ وقال العجاج:
طول الليالي أسرع في نقضي ... طوين طولى وطوين عرضي^٢

الراغب

(مادة نَقَذ) الْإِنْقَاذُ: التَّخْلِيصُ مِنْ وَرْطَةٍ. قال تعالى:

﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ وَالنَّقْذُ: مَا أَنْقَذْتَهُ، وَفَرَسٌ نَقِيذٌ: مأخوذٌ من قوم آخرين كأنه أُنْقِذَ منهم، وجمعه نَقَائِذُ
﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾: نخلصكم منها.

ابن الهائم

وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

السطر ٨ · الآية ١٠٤

أبو عبيدة

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ ، و

ابن قتيبة

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ أي: مُعَلِّمُونَ للخير. والأُمَّةُ تنصرف على وجوه قد بينها

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: ديوانه ٤٢٦- والكامل للبرد ٣١٣ والطبري ٤/ ٢٣ وحروف المعاني ٦٢ آ. والسرار: الليلة التي يستتر فيها القمر. [.....]

^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: : قد اختلفوا في عزو هذا الرجز فنسبه بعضهم إلى العجاج وبعضهم إلى الأغلب العجلي. قال البغدادي (الخرزانه ٤/ ١٦٩) : وزعم أبو محمد الأعرابي في فرحة الأديب أن هذا الرجز ليس للأغلب وإنما هو من شوارد الرجز لا يعرف قائله ومن حفظ حجة على من لم يحفظ. وهو في ملحق ديوان العجاج ص ٨١ والكتاب ٧/ ١٩ والطبري ٤/ ٢٣ والأغاني ١٨/ ١٦٤ والشنتمري ١/ ٢٥ وشواهد المغني ٢٩٧ والعيني ٣/ ٣٩٥.

في "تأويل المشكل" ٢١.

الراغب

(مادة خير) ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ .

والثاني: أن يكونا وصفين، وتقديرهما تقدير (أفعل منه) ، نحو: هذا خير من ذاك وأفضل، وقوله:

بِالْمَعْرُوفِ

الراغب

(مادة عرف) ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

السطر ٩ · الآية ١٠٤

الْمُنْكَرِ

الراغب

(مادة نكر) ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

السطر ٩ · الآية ١٠٤

وَاخْتَلَفُوا

الراغب

(مادة خلف) وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾

السطر ١٠ · الآية ١٠٥

تَبَيَّضُ

الراغب

(مادة بيض) البَيَاضُ في الألوان: ضدّ السواد، يقال:

اِبْيَضَ يَبْيِضُ اِبْيَاضاً وَبَيَاضاً، فهو مُبْيِضٌ وَابْيَضُ. قال جاء: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ

السطر ١١ · الآية ١٠٦

تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص ٢٤٨) [مع الشك - لم يراجع]: «أصل الأمة: الصنف من الناس والجماعة، كقوله ﷺ: كان النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، أي صنفاً واحداً في الضلال فبعث الله النَّبِيَّينَ [البقرة: ٢١٣] . وكقوله ﷺ: إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ [الأنعام: ٣٨] ، أي: أصناف، وكل صنف من الدواب والطير مثل بني آدم في المعرفة بالله، وطلب الغذاء. وتوفي الممالك، والتماس الذرة، مع أشباه لهذا كثيرة، ثم تصير الأمة: الحين، كقوله ﷺ: وَأَذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ [يوسف: ٤٥] . وكقوله: وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ [هود: ٨] . أي: سنين معدودة. كأن الأمة من الناس القرن ينقضون في حين، فتقام (الأمة) مقام (الحين) . ثم تصير الأمة: الإمام والزباني، كقوله تعالى: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا [النحل: ١٢٠] . أي: إماماً يقتدي به الناس، لأنه ومن اتبعه أمة، فسمي أمة لأنه سبب الاجتماع. وقد يجوز أن يكون سمي أمة: لأنه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مثله في أمة، ومن هذا يقال: فلان أمة وحده، أي: هو يقوم مقام أمة. وقد تكون الأمة: جماعة العلماء، كقوله: وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ [آل عمران: ١٠٤] . أي: يعلون. والأمة: الدين، قال تعالى: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ [الزخرف: ٢٣، ٢٢] أي: على دين. قال النابغة «١» : حلفت فلم أترك لنفسك ربة ... وهل يأتمن ذو أمة وهو طائع؟ أي: ذو دين. والأصل أنه يقال للقوم يجتمعون على دين واحد: أمة، فتقام الأمة مقام الدين، ولهذا قيل للمسلمين: أمة محمد، ﷺ، لأنهم على أمر واحد، قال تعالى: وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً [المؤمنون: ٥٢] . مجتمعة على دين وشريعة. وقال الله ﷻ: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً [النحل: ٩٣] ، أي: مجتمعة على الإسلام.»

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ٣٤٥-٣٤٦.

فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ .

والأبيض: عرق سمي به لكونه أبيض، ولما كان البياض أفضل لون عندهم كما قيل: البياض أفضل، والسواد أهول، والحمرة أجمل، والصفرة أشكل، عبر به عن الفضل والكرم بالبياض، حتى قيل لمن لم يتدنس بمعاب: هو أبيض اللون. وقوله تعالى: يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ، فايبيضاض الوجه عبارة عن المسرة، واسودادها عن الغم، وعلى ذلك

وَتَسْوَدُّ

السطر ١١ · الآية ١٠٦

(مادة سود) السَّوَادُ: اللون المضاد للبياض، يقال: اسودَّ واسودَّ، قال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾

الراغب

فابيضاض الوجه عبارة عن المسرة، واسودادها عبارة عن المساءة، ونحوه:

فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

السطر ١٢ · الآية ١٠٦

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: العرب تختصر لعلم المخاطب بما أريد به، فكأنه خرج مخرج قولك: فأما الذين كفروا فيقول لهم: أكفرتُم، خذف هذا واختصر الكلام، وقال الأسدي:

أبو عبيدة

كذبتم وبيت الله لا تتكحونها ... بنى شاب قرناها تصرّ وتخلب (٥٥) أراد: بنى التي شاب قرناها، وقال النابغة الذبياني:

كأنك من جمال بنى أقيش ... يقعقع خلف رجله بشنّ (٥٤)

«بنى أقيش»: حيّ من الجن، أراد: كأنك جمل يقعقع خلف الجمل بشنّ، فألقى الجمل، ففهم عنه ما أراد.

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ

السطر ١٤ · الآية ١٠٨

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ أي عجائب الله، «نتلوها»: نقصّها.

أبو عبيدة

أحاديث التفسير

الآية ١٠٢

النسائي في الكبرى (١١٠٠٤)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ عَلَى الْأَرْضِ لَأَمْرَتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ مَعِيشَتَهُمْ، فَكَيْفَ مَنْ هُوَ طَعَامُهُ أَوْ لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ غَيْرُهُ”

الحكم

الدرر السنية — ابن حبان، صحيح ابن حبان (٧٤٧٠): أخرجه في صحيحه
الدرر السنية — شعيب الأرنؤوط، تخريج صحيح ابن حبان (٧٤٧٠): إسناده صحيح على شرط الشيخين

الآية ١٠٦

الترمذي (٣٠٠٠)

وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي غَالِبٍ قَالَ: «رَأَى أَبُو أُمَامَةَ رُؤُوسًا مَنصُوبَةً عَلَى دَرَجٍ دِمَشْقَ فَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ: كِلَابُ النَّارِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ خَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قُلْتُ لِأَبِي أُمَامَةَ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا حَتَّى عَدَّ سَبْعًا مَا حَدَّثْتُكُمْ بِهِ»

الحكم

حكم الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ
حكم الألباني (من حاشية ت شاكر): حسن صحيح
الدرر السنية — الترمذي، سنن الترمذي (٣٠٠٠): حسن
الدرر السنية — الألباني، صحيح الترمذي (٣٠٠٠): حسن صحيح

فوائد وتعليقات

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ
الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَلَئِنْ يَقْتُلُوكُمْ
يُؤْلَوْكُمْ الْأَذْبَارِثَ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١١﴾ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ
الذِّلَّةَ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ
وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ
بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ * لَيْسُوا
سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ
ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا
يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

الغريب

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

السطر ٢ · الآية ١١٠

أبو عبيدة

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ، أما قوله: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا» (١٦ / ١٢٠) أي كان إماما مطيعا، ويقال أنت أمة في هذا الأمر، أي يؤتم بك. «وَأَذْكُرُ بَعْدَ أُمَّةٍ» (١٢ / ٤٥) : بعد قرن، ويقال: «بَعْدَ أُمَّةٍ» أي نسيان، نسيت كذا وكذا: أي أمهت، وأنا أمهه،^١ ويقال: هو ذو أمه.

مكسور الميم، وبعضهم يقول: ذو أمة بمعنى واحد، أي ذو دين واستقامة وكانوا بأمة وبإمامة، أي استقامة من عيشتهم، أي دوم منه «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» أي جماعة وهو أمة على حدة، أي واحد، ويقال: يبعث^٢ زيد بن عمرو ابن نفيل أمة وحده، وقال النابغة في أمة وإمامة، معناه الدين والاستقامة: وهل يأثم ذو أمة وهو طائع^٣ ذو أمة: بالرفع والكسر، والمعنى الدين، والاستقامة.

الْفَاسِقُونَ

السطر ٥ · الآية ١١٠

الراغب

(مادة فسق) ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى

السطر ٥ · الآية ١١١

ابن قتيبة

﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ أي: لم تبلغ عدواتهم لكم أن يضرؤكم في أنفسكم؛ إنما هو أذى بالقول.

الراغب

(مادة ضر) ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾

، ينبههم على قلة ما ينالهم من جهتهم، ويؤمنهم من ضرر يلحقهم

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «أمهت ... أمهه»: روى صاحب اللسان هذا الكلام عن أبي عبيدة (أمه) على الوجه التالي: «أمهت الشيء فأنا أمهه أمها إذا نسبته» .

^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: يبعث ... وحده هذا حديث، يروى عن النبي ﷺ أنه قاله في زيد بن نفيل، وهو قرشي عدوي، والد سعيد بن زيد، ابن عم عمر بن الخطاب، كان يتعبد قبل النبوة على دين إبراهيم، ويتطلب دين إبراهيم، ويوحده الله، ويعيب على قریش ذبايحهم على الأنصاب، انظر طبقات ابن سعد ١ / ١٠٥ والمروج للمسعودي ١ / ١٢٦ وأسد الغابة ٢ / ٢٣٦ والنووي ١ / ٢٠٤ والاصابة رقم ٢٠٨. والحديث في غريب القرآن لأبي بكر السجستاني ٢٤ واللسان والتاج (أمم) .

^٣ حاشية المحقق على مجاز القرآن: عجز بيت من القصيدة التي يعتذر بها النابغة إلى النعمان بن المنذر عما وشت به بنو قريع وهو في ديوانه من الستة ١٩ واللسان (أمم) .

ضُرِبَتْ

السطر ٦ · الآية ١١٢

الراغب

(مادة ضرب) ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾

، أي: التحفتهم الذِّلَّةُ التحاف الخيمة بمن ضُرِبَتْ عليه، وعلى هذا:

الراغب

(مادة ضرب) ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ ، ومنه استعير:

ثَقِفُوا

السطر ٧ · الآية ١١٢

السراج

﴿ثَقِفُوا﴾ ... وَجِدُوا.

إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ

السطر ٧ · الآية ١١٢

أبو عبيدة

﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ﴾ : إلا بعهد من الله، قال الأعشى:

وإذا تجوزها حبال قبيلة ... أخذت من الأخرى إليك حبالها^١

ابن قتيبة

﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي بلسان وعهد. [والحبل] يتصرف على وجوه قد ذكرتها في "تأويل المشكل" ٣٢ .

الراغب

(مادة حبل) وقوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ ، ففيه تنبيه أن الكافر يحتاج إلى عهدين:

- عهد من الله، وهو أن يكون من أهل كتاب أنزله الله تعالى، وإلا لم يقرّ على دينه، ولم يجعل

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: ديوانه ٢٤- والطبري ١٩/٤ والقرطبي ١٠٢/١ واللسان والتاج (حبل) ١٣ أبو عمر الهذلي: لم أقف على ترجمته، ولعله من الرواة الأعراب الذين حمل عنهم الشعر والغريب.

تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص ٢٥٦) [مع الشك - لم يراجع]: «السبب أصله: الحبل. ثم قيل لكل شيء وصلت به إلى موضع، أو حاجة تريدها: سبب. تقول: فلان سببي إليك، أي وصلني إليك. وما بيني وبينك سبب، أي آصرة رحم، أو عاطفة مودة. ومنه قيل للطريق: سبب، لأنك تسلكه تصل إلى الموضع الذي تريده، قال الله ﷻ: فَاتَّبَعَ سَبَبًا (٨٥) [الكهف: ٨٥] أي: طريقا. وأسباب السماء: أبوابها، لأن الوصول إلى السماء يكون بدخولها. قال الله ﷻ حكاية عن فرعون: لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ [غافر: ٣٦، ٣٧] . وقال زهير «١» : ومن هاب أسباب المنايا ينلته ... ولونا ل أسباب السماء بسلام وكذلك الحبل، قال الله ﷻ: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ [آل عمران: ١٠٣] أي: بعهد الله أو بكابله، يريد: تمسكوا به، لأنه وصلة لكم إليه وإلى جنته. ويقال للأمان أيضا: حبل، لأن الخائف مستتر مقموم، والأمن منبسط بالأمان متصرف، فهو له حبل إلى كل موضع يريده. قال الله تعالى: ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ [آل عمران: ١١٢] أي: بأمان. وقال الأعشى «٢» : وإذا تجوزها حبال قبيلة ... أخذت من الأخرى إليك حبالها وأما قول امرئ القيس «٣» : إني بجملك واصل حبلي ... ويرش نبلك رائش نلي فإنه يريد: إني واصل بيني وبينك. وأصل هذا يكون في البعيرين: يكونان مفترقين وعلى كل واحد منهما حبل، فيقرنان بأن يوصل حبل هذا بحبل هذا. وقال أبو زيد يذكر رجلا سرى ليلة كلها «٤» : ناط أمر الضعاف فاجتعل الي ... ل كحبل العادية الممدود. يريد: أن مسيره اتصل الليل كله، فكان كحبل ممدود.»

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: ذكرها في صفحة ٣٥٧-٣٥٨.

له ذمة.

- وإلى عهد من الناس يبذلونه له.

والحِبَالَةُ خَصَّتْ بِجِلِّ الصَّائِدِ، جمعها:

حَبَائِلُ، وروي (النساء حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ) ^١.

والمُحْتَبِلُ والحَابِلُ: صاحب الحبال، وقيل:

وقع حابلهم على نابلهم ^٢، والحَبْلَةُ: اسم لما يجعل في القلادة

﴿بِحَبْلٍ﴾ ... بِعَهْدٍ.

السراج

السطر ٨ · الآية ١١٢

وَبَاءُ وَبَغَضِبٍ مِّنَ اللَّهِ

﴿وَبَاءُ يَغْضِبُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي أحرزوه وبأنوا به.

(مادة غضب) ﴿وَبَاءُ يَغْضِبُ مِنَ اللَّهِ﴾

أبو عبيدة

الراغب

السطر ٨ · الآية ١١٢

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ : أي أُلْزِمُوا المسكنة.

﴿الْمَسْكَنَةُ﴾ ... فَقَرُّ النَّفْسِ، وَشُحْهَا.

أبو عبيدة

السراج

السطر ١٠ · الآية ١١٣

* لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ : العرب تجوز في كلامهم مثل هذا أن يقولوا: أكلوني

البراغيث، ^٣ قال أبو عبيدة: سمعتها من أبي عمرو الهذلي في منطقة، وكان وجه الكلام أن يقول:

أكلني البراغيث. وفي القرآن: «عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ» (٥ / ٧٤) : وقد يجوز أن يجعله كلامين،

فكانت قلت: «لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»، ثم قلت:

«أُمَّةٌ قَائِمَةٌ»، ومعنى «قائمة» مستقيمة.

﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ أي: مواظبة على أمر الله.

أبو عبيدة

ابن قتيبة

^١ حاشية المحقق على المفردات: الحديث أخرجه أبو نعيم عن ابن مسعود، والديلمي عن عبد الله بن عامر وعقبة بن عامر، وقال ابن الفرس:

الحديث حسن. راجع: كشف الخفاء ٢ / ٤، والفتح الكبير ٢ / ١٨١.

^٢ حاشية المحقق على المفردات: قال في اللسان: وفي المثل: ثار حابلهم على نابلهم، أي: أوقدوا بينهم الشر. راجع اللسان: (نبل) .

^٣ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «أكلوني البراغيث» : قال القرطبي (٤ / ١٧٦) : وقال أبو عبيدة: هذا مثل قولهم: أكلوني البراغيث، وذهبوا أصحابك. قال النحاس: وهذا غلط، لأنه قد تقدم ذكرهم، وأكلوني البراغيث لم يتقدم لهم ذكر. وانظر الخزانة (٤ / ٣٨) .

الراغب

(مادة قوم) وقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ ، وقوله:

يَتْلُونَ

الراغب

السطر ١١ · الآية ١١٣

(مادة تلو) ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ . والتلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة، تارة بالقراءة، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي، وترغيب وترهيب. أو ما يتوهم فيه ذلك، وهو أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة، لا يقال: تلوت رقعتك، وإنما يقال في القرآن في شيء إذا قرأته وجب عليك اتباعه. هنالك ثلثوا

ءَانَاءَ اللَّيْلِ

أبو عبيدة

السطر ١٢ · الآية ١١٣

﴿ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ : ساعات الليل، واحدا «إني» ، تقديرها:

«جئني» ، والجمع «أجثاء» ، قال أبو أثيلة:

حلو ومرّ كعطف القدح مرّته ... في كل إني قضاها الليل ينتعل^١

مثل ريح فيها صرّ أصابت حرّ قوم^٢

(١١٧) : الصرّ: شدة البرد،^٣ وعصوف من الريح.

﴿ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ : ساعاته، بلغة هذيل^٤ . واحدا أنى وإني وإني [زه] وإنو.

ابن الهائم

وَيُسْرِعُونَ

الراغب

السطر ١٤ · الآية ١١٤

(مادة سرع) ﴿وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾

فَلَنْ يُكْفَرُوهُ^١

السراج

السطر ١٥ · الآية ١١٥

﴿فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ ... فَلَنْ يَضِيعَ عِنْدَ اللَّهِ.

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: : أبو أثيلة: هو المتخل الهذلي، مالك بن عمر بن عثمان بن سويد، أحد بني لحيان بن هذيل، انظر الشعراء ٤١٦، والأغاني ٢٠/ ١٤٥ والخزانة ٢/ ١٣٨.

- والبيت في ديوان الهذليين ٢/ ٣٥ من قصيدة يرثي بها ابنه أثيلة، وهو في الطبري ٤/ ٣٤ والمقصود والممدود لابن ولاد ٧ واللسان والتاج (إني).

^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «الصر ... البرد»: هذا الكلام في الطبري ٤/ ٣٦، وفي البخاري: صر برد، قال ابن حجر (٨/ ١٥٥) هو تفسير أبي عبيدة، قال في قوله تعالى كمثل ...

شدة البرد.

^٣ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: ما ورد في القرآن من لغات ١/ ١٣٨، وغريب القرآن لابن عباس ٤١ [.....]

أسباب النزول

الآية ١١٣

الوادي

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ الآية ١١٣. قال الإمام أحمد رحمه الله ج ١ ص ٣٩٦ حدثنا أبو النضر وحسن بن موسى قالا: حدثنا شيبان عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة قال: "أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم". قال: وأنزل الله هؤلاء الآيات ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ حتى بلغ ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾. الحديث حسن كما قال الشوكاني ج ١ ص ٣٨٥ نقلا عن السيوطي لأن عاصما في حفظه شيء وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ ص ٣١٢ رجال أحمد ثقات ليس فيهم غير عاصم بن أبي النجود وهو مختلف في الاحتجاج به وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في موارد الظمان ص ٩١ وابن جرير ج ٤ ص ٥٥ وأبو نعيم في الحلية ج ٤ ص ١٨٧ وأبو يعلى كما في المقصد العلي ج ١ ص ٢٧٦.

هذا وقد ورد للآية سبب آخر ففي مجمع الزوائد ج ٦ ص ٧٣٢ عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم من يهود فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام قالت أحبار يهود أهل الكفر: ما آمن بمحمد وتبعه إلا شرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ إلى قوله تعالى ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ رواه الطبراني ورجاله ثقات. واختار الإمام أبو جعفر بن جرير ج ٧ ص ٢٩ الأول حيث قال بعد ذكره جملة من الأقوال غير أن الأولى بتأويل الآية قول من قال عني بذلك - تلاوة القرآن في صلاة العشاء لأنها صلاة لا يصلحها أحد من أهل الكتاب فوصف الله أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله. وأقول لا مانع من نزول الآية في الجميع أو أنه تعدد سبب نزولها والله أعلم. [الصحيح المسند، ص ٤٦]

الآية ١١٣-١١٥

سبب النزول:

المزني ٣١

أخرج الإمام أحمد والنسائي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: أخر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة، قال: (أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم) قال: وأنزل هؤلاء الآيات: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٥] ١.

حاشية المزني: أخرجه أحمد في المسند (٦:٣٠٤) رقم (٣٧٦٠)، وأخرجه النسائي في الكبرى، كتاب التفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ (٦:٣١٣) رقم (١١٠٧٣)، وفي إسناده هذا الحديث عاصم بن أبي النجود، وقد تكلم الأئمة في حفظه كما في تهذيب التهذيب (٥:٣٥)، وقد تابعه الأعمش عند الطبراني (١٠:١٣١) رقم (١٠٢٠٩) لكن هذه المتابعة لا تثبت عن الأعمش لأن فيها عيب الله بن زحر الراوي عن الأعمش، ضعفه أكثر الأئمة قال فيه ابن معين: كل حديثه عندي ضعيف: وقال ابن المديني: منكر الحديث. تهذيب الكمال

دراسة السبب:

هكذا جاء في سبب نزول الآية، وقد أورد بعض المفسرين هذا الحديث عند تفسير الآية لكنهم لم يعتمدوه سبباً لنزولها، وخالفوا ابن مسعود - رضي الله عنه - الذي يرى أن معنى الآية: ليس أهل الكتاب، وأمة محمد القائمة بحق الله سواء عند الله.

فقال الطبري: (ليس فريقاً أهل الكتاب، أهل الإيمان منهم والكفر سواء، يعني بذلك أنهم غير متساوين وليسوا متعادلين، ولكنهم متفاوتون في الصلاح والفساد، والخير والشر، وإنما قيل: ليسوا سواء لأن فيه ذكر الفريقين من أهل الكتاب الذين ذكرهما الله بقوله: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠] ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الفريقين عنده المؤمنة منهما والكافرة، فقال: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي ليس هؤلاء سواء المؤمنون منهم والكافرون، ثم ابتداء الخبر عن صفة الفرقة المؤمنة من أهل الكتاب ومدحهم بعدما وصف الفرقة الفاسقة منهم بما وصفها به من الهلع ونخب الجنان ومحالفة الذل والصغار وملازمة الفاقة والمسكنة وتحمل خزي الدنيا وفضيحة الآخرة) ١ اهـ.

وقال ابن العربي: (وقد اتفق المفسرون أنها نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب وعليه يدل ظاهر القرآن، ومفتتح الكلام نفي المساواة بين من أسلم منهم وبين من بقي منهم على الكفر) ٢ اهـ.

وقال ابن عطية: (لما مضت الضمائر في الكفر والقتل والعصيان والاعتداء عامة في جميع أهل الكتاب، عقب ذلك بتخصيص الذين هم على خير وإيمان وذلك أن أهل الكتاب لم يزل فيهم من هو على استقامة، ففهم من مات قبل أن يدرك الشرائع فذلك من الصالحين ومنهم من أدرك الإسلام فدخل فيه) ٣ اهـ.

وقال ابن كثير بعد أن ساق حديث ابن مسعود - رضي الله عنه -: (والمشهور عند كثير من المفسرين كما ذكره محمد بن إسحاق وغيره، ورواه العوفي عن ابن عباس: أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأسد بن عبيد وثعلبة بن سعيه وغيرهم) ٤ اهـ.

وقال ابن عاشور: (استئناف قصد به إنصاف طائفة من أهل الكتاب بعد الحكم على معظمهم بصيغة تعمهم، تأكيداً لما أفاده قوله: ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فالضمير في قوله: ﴿لَيْسُوا﴾ لأهل الكتاب المتحدث عنهم آنفاً وهم اليهود) ٥ اهـ. [أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، ص ٦٠]

(١٩:٣٦) وقد بحث كثيراً فلم أجد أحداً تابع عبيد الله عن الأعمش - رغم كثرة أصحابه - وهذا مما يزيد الإسناد ضعفاً. والحديث منجرح في الصحيحين عن جماعة من الصحابة منهم عائشة عند البخاري رقم (٥٤٢)، ومسلم رقم (٦٣٨)، وابن عمر عند البخاري رقم (٥٤٥)، ومسلم رقم (٦٣٩)، وابن عباس في البخاري رقم (٥٤٥)، ومسلم رقم (٦٤٢)، إلا أنه لم يذكر سبب نزول هذه الآيات في جميع هذه الأحاديث وهذا مما يرحم وهم عاصم - رحمه الله - في ذكر السببية. فذكر سبب النزول على ما في هذا الحديث لا يثبت لما تقدم والله أعلم.

^١ حاشية المزيبي: جامع البيان (٤:٥١).

^٢ حاشية المزيبي: أحكام القرآن (١:٢٩٥).

^٣ حاشية المزيبي: المحرر الوجيز (٣:١٩٩).

^٤ حاشية المزيبي: تفسير القرآن العظيم (١:٣٩٧).

^٥ حاشية المزيبي: التحرير والتنوير (٤:٥٧).

أحاديث التفسير

الآية ١١٠

البخاري (٤٥٥٧)

عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» قَالَ: خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ، تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ.

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٤٥٥٧): [صحيح]

الترمذي (٣٠٠١)

عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ «فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» قَالَ: أَنْتُمْ تُتَمَوْنَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ».

الحكم

حكم الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ

حكم الألباني (من حاشية ت شاكر): حسن

الدرر السنية — الألباني، صحيح الترمذي (٣٠٠١): حسن

الدرر السنية — السيوطي، الجامع الصغير (٢٥١٩): صحيح

النسائي في الكبرى (١١٠٠٥)

عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» [آل عمران: ١١٠] قَالَ: نَحْنُ خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ، نَجِيءُ بِهِمُ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَندخلهم في الإسلام

الحكم

الدرر السنية: لم يُعثر على حكم مطابق

النسائي في الكبرى (١١٠٠٦)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» [آل عمران: ١١٠] قَالَ: هُمُ الَّذِينَ هَاجَرُوا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ

الحكم

الدرر السنية: لم يُعثر على حكم مطابق

الآية ١١٣

النسائي في الكبرى (١١٠٧)

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: أَخَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ: أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْأَدْيَانِ أَحَدٌ يَذْكُرُ اللَّهَ هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرُكُمْ " قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ١١٣] حَتَّى بَلَغَ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٥]

الحكم

الدرر السنية: لم يُعثر على حكم مطابق

فوائد وتعليقات

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ
 اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾
 مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا
 صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْدَكَتْهُ وَمَا
 ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
 وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي
 صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ
 ﴿١١٨﴾ هَآأَنْتُمْ أَوْلَاءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ
 كُلِّهِ وَإِذَا الْقُومُ قَالَُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ
 الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمَسَّسْكُمُ حَسَنَةٌ تَسُوءُهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمُ
 سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ
 شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
 تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

الغريب

كَمَثَلٍ

السطر ٣ · الآية ١١٧

الراغب

(مادة مثل) ﴿مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾

وعلى هذا النحو ما جاء من أمثاله. والمثال: مقابلة شيء بشيء هو نظيره، أو وضع شيء ما ليحتذى به فيما يفعل، والمثلة: نعمة تنزل بالإنسان فيجعل مثالا يرتدع به غيره، وذلك كالنكال، وجمعه مَثَلَاتٌ وَمَثَلَاتٌ، وقد قرئ:

رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ

السطر ٣ · الآية ١١٧

ابن قتيبة

﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ أي: بردٌ. ونُهيَ عن الجراد: عما قتله الصرّ أي البرد.

الراغب

(مادة روح) ﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾

السراج

﴿صِرٌّ﴾ ... بردٌ شديدٌ.

أَصَابَتْ حَرَّتَ قَوْمٍ

السطر ٤ · الآية ١١٧

ابن قتيبة

﴿أَصَابَتْ حَرَّتَ قَوْمٍ﴾ أي: زرعهم.

لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ

السطر ٦ · الآية ١١٨

ابن قتيبة

﴿لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ﴾ أي: دُخلاء من دون المسلمين يريد من غيرهم.

الراغب

(مادة بطن) ﴿لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ﴾ أي: مختصا بكم يستبطن أموركم، وذلك استعارة من بطانة الثوب، بدلالة قولهم: لبست فلانا: إذا اختصصته، وفلان شعاري ودثاري، وروي عنه ﷺ أنه قال: «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحثه عليه»^٢.

والبطان: حزام يشد على البطن، وجمعه:

أَبْطُنَةٌ وَبُطْنٌ، والأَبْطُنَان: عرقان يمران على البطن.

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ٦/١١٩ "وفي الحديث: أنه نهى عما قتله الصر من الجراد".
^٢ حاشية المحقق على المفردات: الحديث صحيح كما قال البغوي، وقد أخرجه النسائي ٧/١٥٨، وأحمد ٣/٢٣٧، والترمذي (٢٣٧٠)

وقال:

حسن صحيح، وانظر: شرح السنة ١٠/٧٥.

والبُطْن: نجم هو بطن الحمل، والتَّبَطُّن:

دخول في باطن الأمر.

والظاهر والباطن في صفات الله تعالى: لا يقال إلا مزدوجين، كالأول والآخر^١، فالظاهر قيل: إشارة إلى معرفتنا البديهية، فإن الفطرة تقتضي في كل ما نظر إليه الإنسان أنه تعالى موجود، كما قال:

(مادة دون) يقال للقاصر عن الشيء: دون، قال بعضهم: هو مقلوب من الدنوّ، والأدون: الدنيء وقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾

، أي: ممن لم يبلغ منزلته منزلتكم في الديانة، وقيل: في القرابة. وقوله:

﴿بَطَانَةٌ مِنْ دُونِكُمْ﴾: دخلاء من غيركم. و [بطانة] الرجل ودخلؤه: أهل سرّه ممن يسكن إليه ويتقرب بمودّته (زه) مشتقة من البطن.

الراغب

ابن الهائم

لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا

السطر ٦ · الآية ١١٨

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي لا تألوكم هذه البطانة خبالا، أي شرا.

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي: شرا.

(مادة خبل) الخَبَالُ الفساد الذي يلحق الحيوان فيورثه اضطرابا، كالجنون والمرض المؤثر في العقل والفكر، ويقال: خَبَلٌ وَخَبَلٌ وَخَبَالٌ، ويقال:

خَبَلُهُ وَخَبَلَهُ فَهُوَ خَابِلٌ، والجمع الخَبَلُ، ورجل مُخْبَلٌ، قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ، وقال ﷺ:

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: أي فسادا [زه]، يعني لا يقصرون في فساد دينكم، والعرب تقول: ما ألوته خيرا: أي ما قصرت في فعل ذلك به. وكذلك ما ألوته شرا.

﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ ... لَا يَقْصِرُونَ فِي إِفْسَادِ حَالِكُمْ.

أبو عبيدة

ابن قتيبة

الراغب

ابن الهائم

السراج

وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ

السطر ٧ · الآية ١١٨

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي ودوا عنيتكم وهو ما نزل بكم من مكروه وضر.

(مادة عنت) ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ ... أَحَبُّوا مَشَقَّتَكُمْ الشَّدِيدَةَ.

ابن قتيبة

الراغب

السراج

^١ حاشية المحقق على المفردات: راجع: المقصد الأسنى ص ١٠٦.

قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ

السطر ٨ · الآية ١١٨

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ أي الأعلام.

أبو عبيدة

(مادة بين) ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾

الراغب

أَوَّلَاءِ

السطر ٩ · الآية ١١٩

﴿أَوَّلَاءِ﴾ ... هَؤُلَاءِ.

السراج

بِالْكِتَابِ

السطر ٩ · الآية ١١٩

(مادة كتب) ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾

الراغب

أي: بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ، فوضع ذلك موضع الجمع، إمّا لكونه جنسا كقولك: كثر الدرهم في أيدي الناس، أو لكونه في الأصل مصدرا نحو: عدل، وذلك

خَلَوْا

السطر ١٠ · الآية ١١٩

(مادة خلا) ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ ، وقوله:

الراغب

عَضُّوا

السطر ١٠ · الآية ١١٩

(مادة عض) العَضُّ: أَرَمٌ بِالْأَسْنَانِ. قال تعالى: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ﴾

الراغب

بِغَيْظِكُمْ

السطر ١١ · الآية ١١٩

(مادة غيظ) الغَيْظُ: أَشَدُّ غَضَبٍ، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه، قال: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾

الراغب

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

السطر ١١ · الآية ١١٩

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي بما في الصدور.

أبو عبيدة

السطر ١٢ · الآية ١٢٠

إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ

﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ أي: نعمة.

ابن قتيبة

السطر ١٢ · الآية ١٢٠

وَأِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ

﴿وَأِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: مصيبة ومكروه.

ابن قتيبة

السطر ١٣ · الآية ١٢٠

لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ

﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾ أي: مكرم.

ابن قتيبة

(مادة ضر) نحو: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾

الراغب

(مادة ضير) ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾

الراغب

﴿كَيْدُهُمْ﴾: مكرم وحيلتهم [زه] وأصله المشقة، يقال: فلان يكد بنفسه عند الموت.

ابن الهائم

السطر ١٤ · الآية ١٢٠

مُحِيطٌ

(مادة حيط) ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ، وقوله:

الراغب

السطر ١٤ · الآية ١٢١

غَدَوْتُ

﴿غَدَوْتُ﴾ ... خَرَجْتَ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ.

السراج

السطر ١٤ · الآية ١٢١

مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ

﴿مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ : مَتَّخِذًا لَهُمْ مَصَافًا مَعْسَكًا^١.

أبو عبيدة

﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ من قولك: بَوَّأْتُكَ مَنْزِلًا، إِذَا أَقْدَمْتُكَ عَلَيْهِ وَأَسْكَنْتَكَهُ. ومقاعدا

ابن قتيبة

القتال: المَعْسَرُ والمَصَافُ^٢.

(مادة قعد) ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ كناية عن المعركة التي بها المستقر، ويعبر عن المتكاسل في الشيء

الراغب

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «من أهلك ... معسكا»: قال ابن حجر (٨/ ١٥٥) أثناء كلامه على قول البخاري: تبوئ معسكا، هو تفسير أبي عبيدة في قوله «وإذ غدوت من أهلك ... معسكا».

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ١١/٩٦ "والمصاف - بالفتح وتشديد الفاء - جمع مصف، وهو موضع الحرب الذي يكون فيه الصفوف".

بِالْقَاعِدِ نَحْوُ قَوْلِهِ:

﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾: تَتَّخِذُ لَهُمْ مَصَافًّا^١ وَمَعْسَكًا (زَه) وَقِيلَ: مَعْنَى تَبَوِّئُ: تَوَطَّنَ،

تَقُولُ: بَوَّأْتَهُ وَأَبَّأْتَهُ، إِذَا وَطَّنْتَهُ. وَالْمَبَاءَةُ: الْمَنْزِلُ.

﴿تُبَوِّئُ﴾... تَنْزِلُ.

ابن الهائم

السراج

فوائد وتعليقات

^١ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: في الأصل: «مصافًا» تحريف لأن الكلمة ممنوعة من الصرف. و «مصاف» جمع «مصَفّ» وهو موضع الصفّ في الحرب. (التاج- صفف) .

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ
 فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ
 فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
 أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 مُنْزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ
 هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ
 ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ
 وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
 مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَ اللَّهُمَّ فِي قُلُوبِهِمْ خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾
 لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ
 ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن
 يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الرِّبَا أضعافًا مضاعفةً
 وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ
 لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

الغريب

هَمَّتْ

السطر ١ · الآية ١٢٢

ابن الهائم

﴿هَمَّتْ﴾: الهمّ: جريان الشيء في القلب.

طَائِفَتَانِ

السطر ١ · الآية ١٢٢

الراغب

(مادة طوف) ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ ، والطائفة إذا أريد بها الجمع فجمع طائفٍ، وإذا أريد بها الواحد فيصح أن يكون جمعا، ويكنى به عن الواحد، ويصح أن يجعل كراوية وعلامة ونحو ذلك. والطوفان: كلُّ حادثة تحيط بالإنسان، وعلى ذلك قوله:

أَنْ تَفْشَلَا

السطر ١ · الآية ١٢٢

ابن قتيبة

ابن الهائم

السراج

﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ أي: تجبنا.

﴿تَفْشَلَا﴾: تجبنا بلغة حمير^١ (زه) والفشل: الجبن.

﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ ... نَجَبْنَا، وَتَضَعُفًا.

وَلِيَّهُمَا

السطر ١ · الآية ١٢٢

ابن الهائم

﴿وَلِيَّهُمَا﴾: حافظهما وناصرهما.

يَبْدُرِ

السطر ٢ · الآية ١٢٣

الراغب

ابن الهائم

(مادة بدر) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾

، وهو موضع مخصوص بين مكة والمدينة

﴿يَبْدُرِ﴾: بدر: ما بين مكة والمدينة، سمي بدرا باسم صاحبه.

وقيل: بدر: علم للماء^٢.

^١ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: غريب القرآن لابن عباس ٤١، وعزيت إلى هذيل في الإتيان ٩٢/٢.

^٢ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: انظر تاج العروس (بدر) ، وفيه طائفة من الأقوال بشأن اسم الشخص الذي نسب إليه هذا الموضع.

أَذِلَّةٌ

السطر ٣ · الآية ١٢٣

الراغب

(مادة ذل) وقال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ يَبْدُرُ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾

يُمِدَّكُمْ

السطر ٤ · الآية ١٢٤

ابن الهائم

﴿يُمِدَّكُمْ﴾: الإمداد: إعطاء الشيء حالا بعد حال.

بِثَلَاثَةِ

السطر ٤ · الآية ١٢٤

الراغب

(مادة ثل) وقال تعالى: ﴿بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾

مَنْ فَوَّرَهُمْ هَذَا

السطر ٥ · الآية ١٢٥

البخاري

وقال عكرمة: ﴿من فورهم﴾: من غضبهم يوم بدر. وقال مجاهد: يخرج الحي من الميت: النطفة تخرج ميتة، ويخرج منها الحي^١.

الراغب

(مادة فور) قال تعالى: ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوَرِهِمْ هَذَا﴾

ابن الهائم

، والفار جمعه فيران، وفارة المسك تشبها بها في الهيئة، ومكان فتر: فيه الفار ، ﴿مِنْ فَوَرِهِمْ هَذَا﴾: من وجههم هذا، بلغة هذيل وقيس عيلان وكناة^٢ . ويقال: مِنْ فَوَرِهِمْ: من غضبهم^٣ . يقال: فار فائره^٤ إذا غضب (زه) وقال ابن جرير: أصل الفور: ابتداء الأمر يؤخذ فيه ويوصل بآخر^٥ .

السراج

بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ

السطر ٦ · الآية ١٢٥

أبو عبيدة

﴿بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ أي معلمين. هو من المسوم الذي له سيماء بعمامة أو بصوفة أو بما كان.

ابن قتيبة

﴿مُسَوِّمِينَ﴾ معلمين بعلامة الحرب. وهو من السيماء مأخوذ. يقال: كانت سيماء الملائكة يوم

^١ حاشية البغا على صحيح البخاري: (فورهم) ساعتهم، دون تريث ولا تعرج على شيء.

^٢ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: لم يرد في النزهاء ١٥١ «بلغة هذيل وقيل عيلان وكناة» .

^٣ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: تفسير الطبري ١٨٢/٧، ١٨٣ عن ابن عباس وغيره.

^٤ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: في الأصل: «فار فارة» ، والتصويب من القاموس والتاج. (انظر: التاج «فور») .

^٥ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: في الأصل: «بالأمر» ، والتصويب من تفسير الطبري ١٨٣/٧.

”بدر“ عمائم صُفراً. وكان حمزة مُسوِّماً يوم ”أحد“ بريشة. وروي أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: ”تَسَوُّمُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ تَسَوَّمت “١.

ومن قرأ ”مُسَوِّمين“ بالفتح^٢ أراد أنه فَعِلَ ذلك بهم. والسُّوْمَةُ: العلامة التي تعلم الفارس نفسه. وقال أبو زيد: يقال سوم الرجل خيله: إذا أرسلها في الغارة. وسَوِّمُوا خيلهم: إذا شنوا الغارة. وقد يمكن أن يكون النَّصَبُ من هذا أيضاً.

﴿مُسَوِّمِينَ﴾: معلِّمين بعلامة يعرفون بها في الحرب، ومن كسر الواو جعل الفعل لهم (زه)

ابن الهائم

﴿مُسَوِّمِينَ﴾ ... مُعَلِّمِينَ أَنْفُسَهُمْ، وَخَيَّوْلَهُمْ بَعَلَامَاتٍ وَاصْحَابَاتٍ.

السراج

السطر ٨ · الآية ١٢٧

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي ليهلك الذين كفروا.

أبو عبيدة

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأسر وقتل.

ابن قتيبة

(مادة قطع) ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ أي: يهلك جماعة منهم.

الراغب

وقطع دابر الإنسان: هو إفناء نوعه. قال:

(مادة طرف) ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾

الراغب

، فتخصيص قطع الطَّرف من حيث إنَّ تنقيص طَرَفِ الشَّيْءِ يُتَوَصَّلُ به إلى توهينه وإزالته، ولذلك قال:

﴿طَرَفًا﴾: قيل: جماعة، وقيل: ركنا من أركان الشرك. وقيل:

ابن الهائم

يعني بالطرف: ما يليكم لقوله: قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ^٥.

السطر ٩ · الآية ١٢٧

أَوْ يَكْبِتَهُمْ

﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ تقول العرب: كبته الله لوجهه: أي صرعه الله.

أبو عبيدة

﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ قال أبو عبيدة: الكبَّت: الإهلاك^٦. وقال غيره: هو أن يغبطهم ويحزنهم. وكذلك

ابن قتيبة

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: راجع الحديث والكلام عليه في تفسير الطبري وهامشه ٦/١٦.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: وهي قراءة ابن عامر، وحمزة، والكسائي، ونافع، كما في تفسير القرطبي ٤/١٩٦.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: البحر المحيط ٣/٥١.

^٤ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: قرأ بكسر الواو المشددة أبو عمرو وعاصم وابن كثير ويعقوب وابن محيصن واليزيدي، والباقون من

الأربعة عشر بالفتح. (الإتحاف ١/ ٤٨٧).

^٥ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: سورة التوبة، الآية ١٢٣.

^٦ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في مجاز القرآن ١٠٢ ”تقول العرب: كبته الله لوجهه، أي صرعه الله“.

قال في قوله في سورة المجادلة: ﴿كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^١ ويقال: كبت الله عدوك. وهو بما قال أبو عبيدة أشبهه. واعتبارها قوله: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ﴾^٢ لأن أهل النظر يرون أن "التاء" فيه منقلبة عن "دال" ^٣. كأن الأصل فيه: يَكْبِدُهُمْ أي يصيبهم في أكبادهم بالحن والحزن والغيط وشدة العداوة. ومنه يقال: فلان قد أحرق الحزن كبده. وأحرقت العداوة كبده. والعرب تقول للعدو: أسود الكبد. قال الأعشى:

فما أَجْشَمْتُ من إتيان قَوْمٍ ... هُمُ الأعداءُ والأكبادُ سودُءُ

كأن الأكباد لما احترقت بشدة العداوة اسودت. ومنه يقال للعدو: كاشع؛ لأنه يخبأ العداوة في كَشْحِهِ. والكَشْحُ: الخاصرة وإنما يريدون الكبد لأن الكبد هناك. قال الشاعر:

* وَأَضْمِرْ أَضْغَانًا عَلَيَّ كُشُوحُهَا *

والتاء والدال متقاربتا المخرجين. والعرب تدغم إحداها في الأخرى وتبدل إحداها من الأخرى كقولك: هَرَّتْ الثوب وهرده: إذا خرقة. كذلك كبت العدو وكبده. ومثله كثير. * * *

(مادة كَبَّتْ) وقال: ﴿لَيَقْطَعَ ظَرْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^٤

﴿يَكْبِتُهُمْ﴾: يغيطهم ويحزنهم. ويقال: يكبتهم: يصرعهم لوجوههم (زه) قال ابن عيسى: حقيقة الكبت: شدة وهن يقع في القلب.

﴿يَكْبِتُهُمْ﴾ ... يُخْزِيهِمْ

الراغب

ابن الهائم

السراج

السطر ٩ . الآية ١٢٧

خَائِبِينَ

﴿خَائِبِينَ﴾^٦: فاتهم الظفر (زه) .

ابن الهائم

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة المجادلة .٥

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الأحزاب .٢٥

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ٢/٣٨١ "وقال الفراء: كبتوا: أذلوا وأخذوا بالعذاب بأن غلبوا كما نزل بمن كان قبلهم. قال الأزهري: وقال من احتج للفراء: أصل الكبت: الكبد، فقلب الدال تاء، أخذ من الكبد، وهو معدن الغيط والأحقاد. فكأن الغيط لما بلغ بهم مبلغه، أصاب أكبادهم فأحرقها، ولهذا قيل للأعداء: هم سود الأكباد. وفي الحديث: أنه رأى طلحة حزينا مكبوتا، أي شديد الحزن. قيل الأصل: فيه مكبود بالدال، أي أصاب الحزن كبده، فقلب الدال تاء" وإني أرى أن الأزهري يقصد ابن قتيبة بقوله: "وقال بعض من احتج للفراء".

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: ديوانه ٢١٥ واللسان ٤/٣٧٨.

^٥ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: للنمر بن توب، وتماه:

أقارض أقواما فأوفى قروضهم ... وعف إذا أردى النفوس شحيحها

تنفذ منهم نافذات تسؤني ... وأضمر.

^٦ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: في الأصل: «خاسئين» ، سهو، والتصويب من التزهة.

لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً

السطر ١٣ · الآية ١٣٠

﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ يريد ما تضاعف منه شيئاً بعد شيء. قال ابن عيينة: هو أن تقول: أَنْظِرْنِي وَأَزِيدْكَ^١.

ابن قتيبة

(مادة ضَعَفَ) ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾

الراغب

، فقد قيل:

أُتِيَ بِاللَّفْظَيْنِ عَلَى التَّأْكِيدِ، وَقِيلَ: بَلِ الْمُضَاعَفَةُ مِنَ الضَّعْفِ لَا مِنَ الضَّعْفِ، وَالْمَعْنَى: مَا يَعْدُّونَهُ ضِعْفًا فَهُوَ ضَعْفٌ، أَيْ: نَقْصٌ

﴿أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾: أَيْ بِالتَّأْخِيرِ، أَجْلاً بَعْدَ أَجَلٍ، زِيَادَةً بَعْدَ زِيَادَةٍ.

ابن الهائم

أسباب النزول

الآية ١٢٢

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ الآية ١٢٢.

الوادعي

قال الإمام البخاري رحمه الله ج ٨ ص ٣٦٠ حدثنا محمد بن يوسف عن ابن عيينة عن عمرو عن جابر رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية فينا: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ بني سلمة وبني حارثة وما أحب أنها لم تنزل والله يقول: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أعاده البخاري ج ٩ ص ٣٩٣ عن شيخه علي بن المديني عن سفيان به.

وأخرجه مسلم ج ١٦ ص ٦٦ وابن جرير ج ٤ ص ٧٣. [الصحيح المسند، ص ٤٧]

سبب النزول:

المزني ٣٢

أخرج البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ قال: نحن الطائفتان بنو حارثة^٢ وبنو سلمة^٣، وما نحب - وقال سفيان مرةً: وما يسرني - أنها لم تنزل، لقول الله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾^٤.

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في الدر المنثور ٢/٧١ عن سعيد بن جبير قال: "إن الرجل كان يكون له على الرجل المال، فإذا حل الأجل طلبه من صاحبه، فيقول المطلوب: أخر عني وأزيدك في مالك، فيفعلان ذلك، فذلك الربا أضعافاً مضاعفة، فوعظهم الله".

^٢ حاشية المزني: بنو حارثة: بطن من الأوس من الأزدي من القحطانية وهم بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن النبيت واسمه كعب بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي (٧٩، ٢٠٧).

^٣ حاشية المزني: بنو سلمة بالكسر بطن من الخزرج من القحطانية وهم بنو سلمة بن سعد بن علي بن راشد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن

الخزرج. قال الجوهرى: وليس في العرب سلمة بكسر اللام سواهم. قال: والنسبة إليهم سُلَبي بفتح اللام. نهاية الأرب (٢٧٠).

^٤ حاشية المزني: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ (٤:١٦٦٠) رقم (٤٢٨٢)، وانظر رقم (٣٨٢٥)، وأخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار - رضي الله عنهم - (٤:١٩٤٨) رقم (٢٥٠٥).

دراسة السبب:

هكذا جاء في سبب نزول الآية وقد أورد المفسرون هذا الحديث وجعلوه سبب نزولها منهم الطبري والبغوي وابن عطية وابن كثير وابن عاشور^١.

قال البغوي: (﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ أي: تجبنا وتضعفا وتختلفا، والطائفتان بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، وكنا جناحي العسكر، وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج إلى أحد في ألف رجل وقيل: في تسعمائة وخمسين رجلاً، فلما بلغوا الشوط^٢ انخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس ورجع في ثلاث مائة وقال: علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فتبعهم أبو جابر السلمي فقال: أنشدكم بالله في نبيكم وفي أنفسكم، فقال عبد الله بن أبي: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف مع عبد الله بن أبي، فعصمهم الله فلم ينصرفوا فذكرهم الله عظيم نعمته فقال - عز وجل -: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾، ناصرهما وحافظهما) اهـ.

وقال القرطبي: (والهم من الطائفتين كان بعد الخروج لما رجع عبد الله بن أبي بمن معه من المنافقين لحفظ الله قلوبهم فلم يرجعوا فذلك قوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ يعني حافظ قلوبهما عن تحقيق هذا الهم) اهـ.

وقال ابن عاشور: (وهمت بنو سلمة وبنو حارثة من المسلمين بالانخزال^٣ ثم عصمهم الله، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي ناصرهما على ذلك الهم الشيطاني الذي لو صار عزماً لكان سبب شقائهما فلعاية الله بهما برأهما الله من فعل ما هممتا به) اهـ.

النتيجة:

أن سبب نزول الآية الكريمة ما جرى لبني حارثة وبني سلمة من الهم في الانصراف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وترك الجهاد معه في غزوة أحد لما انصرف رأس المنافقين بثلث الجيش مغاضباً رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنه لم يأخذ برأيه ومشورته في البقاء في المدينة وترك الخروج إلى أحد. لصحة سنده وتصريحه بالنزول، واحتجاج المفسرين به، وموافقة للفظ الآية والله أعلم. [أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، ص ٦١]

الآية ١٢٨

الوادي

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ - الآية ١٢٨.

قال الإمام البخاري رحمه الله ج ٨ ص ٣٦٨: حدثنا يحيى بن عبد الله السلمي أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر عن الزهري حدثني سالم عن أبيه سمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الأولى من الفجر يقول: "اللهم العن فلانا وفلاناً" بعد ما يقول: "سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد" فأنزل الله ﷻ ﴿لَيْسَ

^١ حاشية المزيبي: جامع البيان (٣: ٧٢، ٧٣)، معالم التنزيل (١: ٣٤٧)، المحرر الوجيز (٣: ٢١٥)، الجامع لأحكام القرآن (٤: ١٨٦)، وابن كثير (١: ٤٠٠)، التحرير والتنوير (٤: ٧١).

^٢ حاشية المزيبي: شوط: بالفتح ثم السكون ثم طاء وهو العدو، وقال النضر بن شميل: الشوط: مكان بين شرفين من الأرض يأخذ فيه الماء والناس كأنه طريق معجم البلدان (٣: ٤٢٢) رقم (٧٣٣٤).

^٣ حاشية المزيبي: انخزل: انفرد. النهاية في غريب الحديث الأثر (٢: ٢٩) مادة (خزل).

لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» - إلى قوله - ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ وعن حنظلة بن أبي سفيان قال: سمعت سالم بن عبد الله يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ - إلى قوله - ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ .

الحديث أخرجه أيضا البخاري في التفسير ج ٩ ص ٢٩٣ عن شيخه حبان بن موسى عن عبد الله وهو ابن المبارك به. وج ١٧ ص ٧٧ عن شيخه أحمد بن محمد عن عبد الله به. وفيه إذا رفع رأسه من الركوع قال: اللهم ربنا ولك الحمد، في الأخيرة وأخرجه الترمذي. وقال: حديث حسن غريب. والنسائي ج ٢ ص ١٦٠ وأخرجه الإمام أحمد ج ٢ ص ٩٣ وص ١٠٤ وفيه متابعة نافع لسالم وص ١١٨ وص ١٤٧ من طريقين إلى عبد الله في أحدهما: دعا على أناس من المنافقين. وأخرجه عبد الرزاق في المصنف ج ٢ ص ٤٤٦. كما عند الإمام أحمد في بعض الطرق لأن الإمام أحمد رواه من طريق عبد الرزاق أعني فيه دعا على أناس من المنافقين ورواه ابن جرير ج ٤ ص ٨٨. وأخرجه الإمام مسلم من حديث أنس ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسلم الدم عنه ويقول "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله" فأنزل الله ﷻ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس ج ٣ ص ٩٩ وص ١٧٩ وص ٢٠١ وص ٢٠٦ وص ٢٥٣ وص ٢٨٨ وأخرجه الترمذي ج ٤ ص ٨٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح وأخرجه ابن سعد مجلد ٢ ص ٣١ وابن جرير ج ٤ ص ٨٦ وص ٨٧.

هذا وقد أخرج البخاري ج ٩ ص ٢٩٤ ومسلم ج ٥ ص ١٧٧ والإمام أحمد ج ٢ ص ٢٥٥ وابن جرير ج ٤ ص ٨٩ من حديث أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: "اللهم العن فلانا وفلانا" لأحياء من العرب حتى أنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قال الحافظ في الفتح ج ٩ ص ٢٩٥: وقع تسميتهم في رواية يونس عن الزهري عند مسلم بلفظ "اللهم العن رعلا وذكوان وعصية".

ثم قال: تقدم استشكله في غزوة أحد وأن قصة رعل وذكوان كانت بعد أحد ونزول ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ كان في قصة أحد ثم ظهر لي علة الخبر يعني خبر - نزول ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ في قصة رعل وذكوان - وإن فيه إدراجا وأن قوله حتى أنزل الله منقطع من رواية الزهري عن بلغة بين ذلك^١ مسلم في رواية يونس المذكورة فقال: هنا قال: يعني الزهري.

ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزلت، وهذا البلاغ لا يصح لما ذكر ثم قال رحمه

الله طريق الجمع بين حديث ابن عمر وأنس المتقدمين فقال: وطريق الجمع بينه وبين حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعا إلى المذكورين بعد ذلك في صلاته فنزلت الآية في الأمرين معا فيما وقع له من الأمر المذكور وفيما نشأ عنه من الدعاء وذلك كله في أحد بخلاف قصة رعل وذكوان فإنها أجنبية. ويحتمل أن يقال إن قصتهم كانت عقب ذلك وتأخر نزول الآية عن سببها قليلا ثم نزلت في جميع ذلك والله أعلم. [الصحيح المسند، ص ٤٨]

^١ حاشية الصحيح المسند من أسباب النزول: ج ٥ ص ١٧٧.

المزني ٣٣

ومن خلال ما تقدم من نصوص العلماء في تفسير الآية المذكورة يتبين أنه ليس بين الآية المذكورة والحديث الذي سيق في أي ارتباط وعلى هذا فليست القصة المذكورة هي سبب نزول الآية والله أعلم.

النتيجة:

أن الحديث الذي سيق في ثناياه الآية ليس هو سبب نزولها لضعف سنده، ومخالفته لسياق القرآن وأقوال المفسرين، فعمل لها سبباً آخر لم يخرجها أصحاب الكتب التسعة. [أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، ص ٦٠] سبب النزول: المزني ٣٣

١ - أخرج أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: لما كان يوم أحد كسرت رباعية^١ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وشُجَّ^٢ في وجهه، قال: فجعل الدم يسيل على وجهه، فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: (كيف يفلح قوم خضبوا^٣ وجه نبيهم بالدم، وهو يدعوهم إلى الله؟). قال: فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^٤.

٢ - أخرج البخاري وأحمد والنسائي عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه - رضي الله عنهم - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر يقول: (اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً).

بعد ما يقول: (سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد) فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إلى قوله ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^٥.

وفي لفظ لأحمد والنسائي عنه - رضي الله عنه - قال: ثم قال: (اللهم العن فلاناً وفلاناً) دعا على ناسٍ من المنافقين فأنزل الله تعالى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} ...^٦.

^١ حاشية المزني: الرباعية: إحدى الأسنان الأربع التي تلي الثنايا والنايب. لسان العرب (٨:١٠٨) مادة (ربع).

^٢ حاشية المزني: الشج: في الأصل في الرأس خاصة وهو أن يضربه بشيء فيجرحه فيه ويشقه ثم استعمل في غيره من الأعضاء. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢:٤٤٥) مادة (شجج).

^٣ حاشية المزني: خضبه: غير لونه بحمرة أو صفرة أو غيرهما. لسان العرب (١:٣٥٧) مادة (خضب).

^٤ حاشية المزني: أخرجه أحمد في المسند (٢٠:٣٩٠) رقم (١٣١٣٨) وانظر (١١٩٥٦، ١٢٨٣١، ١٣٠٨٣، ١٣٦٥٧، ١٤٠٧٢)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد (٣:١٤١٧) رقم (١٧٩١)، والترمذي أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران (٥:١٠٥) رقم (٣٠٠٣، ٣٠٠٤)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (٦:٣١٤) رقم (١١٠٧٧) وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٢:١٣٣٦) رقم (٤٠٢٧).

^٥ حاشية المزني: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ليس لك من الأمر شيء (٤:١٦٦١) رقم (٤٢٨٣)، وانظر: رقم (٣٨٤٢، ٦٩١٤)، وأحمد في المسند (١٠:٤٢٠) رقم (٦٣٥٠)، وانظر (٥٨١٢، ٥٩٩٧)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (٦:٣١٤) رقم (١١٠٧٦).

^٦ حاشية المزني: أخرجه أحمد (١٠:٤١٩) رقم (٦٣٤٩)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (٦:٣١٤) رقم (١١٠٧٥)، وأخرجه في المجتبى (٢:٥٤٩) رقم (١٠٧٧)، ولفظة المنافقين تفرد بها عبد الرزاق عن معمر، وقد خالفه ابن المبارك عند البخاري فلم يذكر المنافقين انظر (٣٨٤٢، ٤٢٨٣، ٦٩١٤)، وابن المبارك أثبت في معمر من عبد الرزاق. شرح العلل لابن رجب

وفي لفظ لأحمد عنه - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (اللهم العن فلاناً، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو، اللهم العن صفوان بن أمية) قال: فنزلت هذه الآية: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} ... { قال: فتیب عليهم كلهم^١.

وأخرجه البخاري معلقاً عن حنظلة بن أبي سفيان قال: سمعت سالم بن عبد الله يقول: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام. فنزلت: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} إلى قوله {فَاتَّهَمُ ظَالِمُونَ}^٢.

٣ - أخرج البخاري وأحمد والدارمي ومسلم، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت^٣ بعد الركوع، فربما قال: إذا قال سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد: (اللهم انج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، اللهم اشد وطأتك^٤ على مضر^٥، واجعلها سنين كسني يوسف) يجهز بذلك، وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: (اللهم العن فلاناً وفلاناً) لأحياء^٦ من العرب، حتى أنزل الله: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}^٧.
ولفظ مسلم عنه - رضي الله عنه - قال: (اللهم العن لحيان^٨ ورعلاً^٩ وذكوان^{١٠} وعُصبة^{١١} عصت الله ورسوله)

(٢:٧٠٦)، كما أن إسحاق بن راشد تابع معمرًا عن الزهري فلم يذكرها انظر (٤٢٨٣) فتكون شاذة.

^١ حاشية المزيبي: أخرجه أحمد في المسند (٩:٤٨٦) رقم (٥٦٧٤) من طريق عمر بن حمزة عن سالم عن ابن عمر، وعمر بن حمزة ضعيف، قال أحمد (أحاديثه مناكير) تهذيب التهذيب (٧:٣٨٤) وقد خالفه الزهري فرواه عن سالم بدون تعيين الأسماء. انظر (٣٨٤٢، ٤٢٨٣، ٦٩١٤)، كما خالفه حنظلة في الرواية اللاحقة فرواه عن سالم مرسل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فأسقط ابن عمر، فظهر بذلك أن عمر بن حمزة وهم في إسنادهما، والصواب أنها مرسل، ويدل على ذلك أن نافعاً روى الحديث عن ابن عمر بدون التعيين عند الترمذي (٣٠٠٥) وعلى هذا فالتعيين لم يصح في حديث مرفوع.

^٢ حاشية المزيبي: أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} (٤:١٤٩٤) بدون رقم وهو مرسل.
^٣ حاشية المزيبي: القنوت: يرد بمكان متعددة كالطاعة، والخشوع، والصلاة، والدعاء، والقيام، فيصرف كل واحد من هذه المعاني إلى ما يحتمله لفظ الحديث الوارد فيه. النهاية (٤:١١١) مادة (قنت).

^٤ حاشية المزيبي: الوطء في الأصل: الدوس بالقدم، لأن من يطأ على الشيء برجله فقد استقصى في هلاكه وإهانته، ومعنى الحديث أي خذهم أخذاً شديداً. النهاية (٥:٢٠٠) مادة (وطأ).

^٥ حاشية المزيبي: بنو مضر: قبيلة من العدنانية وهم بنو مضر بن معد بن عدنان. نهاية الأرب (٣٧٧).

^٦ حاشية المزيبي: الحي: من أحياء العرب: يقع على بني أب كثروا أم قُلُوا وعلى شعب يجمع قبائل. لسان العرب (١٤:٢١٥) مادة (حيا).

^٧ حاشية المزيبي: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} (٤:١٦٦١) رقم (٤٢٨٤)، وأحمد (١٢:٤٣١) رقم (٧٤٦٥)، والدارمي، كتاب

الصلاة، باب القنوت بعد الركوع (١:٤٥٣) رقم (١٥٩٥)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة (١:٤٦٦) رقم (٦٧٥).

^٨ حاشية المزيبي: لحيان: من هذيل. الفائق في غريب الحديث للزمخشري (٣:٢٠).

^٩ حاشية المزيبي: بنو رعل: بطن من بهته من العدنانية، وهم بنو رعل بن مالك بن عوف بن أمري القيس بن بهته. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (٢٤٤).

^{١٠} حاشية المزيبي: بنو ذكوان: بطن من بهته من سليم من العدنانية وهم بنو ذكوان بن ثعلبة بن بهته. المصدر السابق (٢٣٧).

^{١١} حاشية المزيبي: بنو عُصبة: بطن من بهته من سليم من العدنانية وهم بنو عصبة بن خفاف بن أمري القيس بن بهته. المصدر السابق (٣٢٩).

ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^١.
دراسة السبب:

هكذا جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة، وقد ذكر المفسرون هذه الأحاديث في سبب نزولها لكنهم لم يخلصوا فيها إلى سبب معين يركن إليه ويعتمد عليه ومن هؤلاء الطبري والبغوي وابن عطية والقرطبي وابن كثير وابن عاشور^٢، ومن المعلوم قطعاً أنه لا يمكن القول بأن هذه الأحاديث جميعاً سبب لنزول الآية الكريمة وحينئذٍ لا بد من النظر فيما يمكن اعتباره سبباً لنزولها فأقول مستعيناً بالله تعالى:

حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في الدعاء على القبائل المذكورة ليس سبباً للنزول لما يلي:

١ - أن الآية نزلت في سياق الحديث عن قصة أحد - كما ذكره ابن القيم، وابن حجر^٣ - رحمة الله عليهما، وقصة رعل، ولحيان، وذكوان، وعصية كانت لما قُتل القراء في بئر معونة، وذلك في صفر من السنة الرابعة فكيف يتقدم النزول على السبب؟.

٢ - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ترك الدعاء عليهم لما جاءوا تائبين مسلمين^٤ وليس لأن الآية نزلت ناهيةً عن الدعاء عليهم.

٣ - أن ذكر النزول بسبب هذه القضية لم يثبت من حيث الإسناد وقد تقدم شيء من هذا عند الكلام على رواية مسلم ومع هذا فقد قال ابن حجر معقباً على رواية البخاري: (ثم ظهر لي علة الخبر وأن فيه إدراجاً، وأن قوله: حتى أنزل الله منقطع من رواية الزهري عن بلغة، بين ذلك مسلم في رواية يونس المذكورة فقال هنا يعني الزهري ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزل وهذا البلاغ لا يصح لما ذكرته)^٥ اهـ يعني الانقطاع .

وبما تقدم يتبين أن ذكر نزول الآية عند الدعاء على هؤلاء الأحياء من العرب لم يصح سنداً ومتناً وإن كان الدعاء عليهم ثابتاً في الصحيح والعلم عند الله تعالى.

وأما حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - في دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - على ناسٍ من المنافقين فأنزل الله الآية. فقد تقدم بيان شذوذها من جهة الإسناد، وهي كذلك شاذة من جهة المتن إذ كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعامل المنافقين كما يعامل أصحابه المؤمنين لأنهم أصحاب في الظاهر ويشهد لذلك ما روى البخاري عن جابر - رضي الله عنه - قال: كما في غزاة فذكر

الحديث ... إلى أن قال عبد الله بن أبي: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرث منها الأذل، فبلغ النبي

^١ حاشية المزيني: هذه الرواية في تسمية القبائل تفرد بما يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري عند مسلم، وقد تابعه اثنان بدونها هما شعيب عند البخاري (٧٧١)، وإبراهيم بن سعد عند البخاري أيضاً برقم (٤٢٨٤)، والحديث له طريق أخرى عن أبي هريرة بدونها أيضاً من رواية الأعرج عند البخاري برقم (٩٦١)، (٣٢٠٦، ٢٧٧٤) فهذه الرواية شاذة لأن يونس تفرد بها عن بقية الثقات.

^٢ حاشية المزيني: جامع البيان (٤: ٨٦)، (٨٩)، معالم التنزيل (١: ٣٤٩)، (٣٥٠)، المحرر الوجيز (٣: ٢٢٥)، (٢٢٦)، الجامع لأحكام القرآن (٤: ١٩٩)، (٢٠٠)، تفسير القرآن العظيم (١: ٤٠٣)، (٤٠٣)، التحرير والتنوير (٤: ٨١)، (٨٢).

^٣ حاشية المزيني: زاد المعاد (٣: ٢١١)، فتح الباري (٨: ٧٥).

^٤ حاشية المزيني: زاد المعاد (٣: ٢٥٠).

^٥ حاشية المزيني: فتح الباري (٨: ٧٥).

- صَلَّى الله عليه وسلّم - فقام عمر، فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم -: (دعه لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه) ^١. فانظر كيف عدهم أصحاباً فقد كانوا يصحبونه في الظاهر، وأمر سرائرهم إلى الله وحده فلماذا الدعاء عليهم؟.

أما حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - في تسمية النفر الثلاثة من قريش عند الدعاء عليهم فلم يصح في حديث مرفوع كما تقدم بحث ذلك، وإنما الذي صح هو الدعاء على أناس مبهمين فأنزل الله الآية.

وحينئذٍ ينخر النظر في حديث أنس في قصة أحد والنبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - يمسح الدم عن وجهه ويقول: (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم) وحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - في دعاء النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - بعد الركوع فما الجواب عن هذين السببين؟.

الطبري ذهب إلى صلة الآية بما قبلها فقال: (يعني بذلك تعالى ذكره: ليقطع طرفاً من الذين كفروا، أو يكبتهم، أو يتوب عليهم، أو يعذبهم فإنهم ظالمون ليس لك من الأمر شيء، فقلوه: (أو يتوب عليهم) منصوب عطفاً على قوله: (أو يكبتهم)) اهـ.

ثم ساق حديث أنس وذكر من القائلين به ابن عباس، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس ^٢. وما ذكر يشير إلى اختياره لحديث أنس - رضي الله عنه - في سبب نزولها.

وقال السعدي: (لما أصيب - صَلَّى الله عليه وسلّم - يوم أحد، وكسرت ربايعيته وشج في رأسه جعل يقول: كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم، وكسروا ربايعيته فأنزل الله تعالى هذه الآية وبيّن أن الأمر كله لله، وأن الرسول - صَلَّى الله عليه وسلّم - ليس له من الأمر شيء؛ لأنه عبد من عبيد الله، والجميع تحت عبودية ربهم مديرون لا مدبرون. وهؤلاء الذين دعوت عليهم أيها الرسول، أو استعبدت فلاحهم وهدايتهم إن شاء الله تاب عليهم، ووفقهم للدخول في الإسلام، وقد فعل فإن أكثر أولئك هداهم الله فأسلموا.

وإن شاء الله عذبهم فإنهم ظالمون، مستحقون لعقوبات الله وعذابه) ^٣ اهـ.

فالسعدي - رحمه الله - وإن كان قدم حديث أنس، إلا أنه أشار إلى حديث ابن عمر في قوله: وهؤلاء الذين دعوت عليهم أيها الرسول. فإن حديث أنس خلا من الدعاء على أحد.

أما الطاهر بن عاشور فرد حديث أنس بأن النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - لم يدّع لنفسه شيئاً أو عملاً حتى يقال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.

وردّ حديث ابن عمر بحديث ورد فيه قوله: (إني لم أبعث لعناً) ولم يعزه وبما ثبت من خلقه - صَلَّى الله عليه وسلّم -

^١ حاشية المزيبي: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: (سواء استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) (٤: ١٨٦١) رقم (٤٦٢٢).

^٢ حاشية المزيبي: جامع البيان (٤: ٨٦)، (٨٧).

^٣ حاشية المزيبي: تيسير الكريم الرحمن (١: ٤١٧).

- أنه كان لا ينتقم لنفسه^١.

أما ابن حجر فمرة قال: (والصواب أنها نزلت في شأن الذين دعا عليهم بسبب قصة أحد والله أعلم، ويؤيد ذلك ظاهر قوله في صدر الآية ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي بقتلهم ﴿أَوْ يَكْبِتُهُمْ﴾ أي يخزيهم، ثم قال: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي فيسلوا ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ أي إن ماتوا كفاراً^٢ اهـ.

ومرة جمع بينهما فقال: (وطريق الجمع بينه - أي حديث أنس - وبين حديث ابن عمر أنه - صلى الله عليه وسلم - دعا على المذكورين بعد ذلك في صلاته فنزلت الآية في الأمرين معاً، فيما وقع له من الأمر المذكور، وفيما نشأ عنه من الدعاء عليهم وذلك كله في أحد)^٣ اهـ.

وعندي - والله أعلم - أن حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - أسعد بنزول الآية لما يلي:

١ - أن العلماء - فيما أعلم - متفقون على أن الآية نزلت في قصة أحد، وهذا ما جاء نصاً في حديث أنس، بخلاف حديث ابن عمر الذي خلا من هذا.

٢ - أن السبب معلوم في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم) لأنهم كسروا رباعيته، وشجوا وجهه، بينما السبب في لعنه هؤلاء النفر غير معلوم، إذ يحتمل أن لعنهم كان في أحد ويحتمل أنه في غيرها، ولا يوجد ما يُعين ذلك.

وقول ابن حجر: (أنها نزلت في شأن الذين دعا عليهم بسبب قصة أحد) غير مسلم فأين الدليل على ذلك؟ ثم ما صلة هؤلاء النفر على وجه الخصوص بأحد؟

تعيينهم بالأسماء لم يثبت كما تقدم. ولو فرضنا جدلاً ثبوته لقلنا ألم يكن في المشركين من هو أنكى على المسلمين من هؤلاء النفر تكاليد بن الوليد مثلاً فلماذا ترك الدعاء عليه إذا كان للدعاء علاقة بأحد؟

٣ - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - في لعنه هؤلاء النفر لا يخلو من حالين:

الأولى: أن يلعنهم بإذن الله له، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يعاتبه الله على ذلك بقوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ مع أنه قد أذن له فيه.

الثانية: أن يلعنهم اجتهداً من نفسه، وعليه فكيف نجع بين هذا وبين ما ثبت في الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - أن اليهود أتوا النبي - (ص) - فقالوا: السام عليك، قال: (وعليكم) فقالت عائشة: السام عليكم، ولعنكم الله، وغضب عليكم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف أو الفحش ... الحديث)^٤.

فالنبي - صلى الله عليه وسلم - هنا نهى عائشة، وأخبر أن فعلها من العنف أو الفحش الذي ينافي الرفق، مع أن

^١ حاشية المزيني: التحرير والتنوير (٨١: ٤، ٨٢).

^٢ حاشية المزيني: فتح الباري (٧: ٤٢٤).

^٣ حاشية المزيني: فتح الباري (٨: ٧٥).

^٤ حاشية المزيني: أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (يستجاب لنا في اليهود، ولا يستجاب لهم فينا)

(٥: ٢٣٥١، ٢٣٥١) رقم (٦٠٣٨).

اليهود هم أول من بدأ بالسوء، والله قد لعنهم وغضب عليهم في كتابه. أفيمكن بعد هذا أن يفعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صلاته، وهو يناجي ربه، ما ينهى عنه عائشة - رضي الله عنها - وهو أتقى الناس لله وأخشاهم له. فلم يبق إلا أن لعنه هؤلاء كان بأمر إلهي يستحق عليه الثناء، لا التوبيخ والعتاب.

٤ - أن المستقر من سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحاله مع الناس أنه لا ينتقم لنفسه كما روى الشيخان عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما خيّر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها^١.

ولو كان لعنه صلة بأحد لكان انتقاماً لنفسه لأن أبلغ ما فعله المشركون بأحد إصابتهم إياه، ولهذا استبعد فلاحهم بقوله: (كيف يفلح قوم خضّبو وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله). ومعلوم أن الدعاء على أحد بسبب مع إهمال سبب أبلغ منه ينافي حكمة العقلاء، فكيف بحكمة سيد الثقلين؟

فإن قيل: ما الجواب عن حديث ابن عمر - رضي الله عنهما -؟ فالجواب: أن حديث ابن عمر ثابت في دعاء النبي - (ص) - على هؤلاء المبهمين، لكن ليس للدعاء صلة بغزوة أحد، بل في مناسبة أخرى، كما دعا على بعض أحياء العرب من رعل، وذكوان، ولحيان، وعصية لما قتلوا القراء، وأن دعاءه إنما كان بإذن ربه.

وذكر آية آل عمران في القصة لا تدل على نزولها في أحدٍ وإنما تدل على اجتهد ابن عمر وظنه أنها نزلت في أحد وليس الأمر كذلك والله أعلم.

النتيجة:

أن سبب نزول الآية الكريمة قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما أصيب في أحد كيف يفلح قوم خضّبو وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله لصحة سنده، وتصريحه بالنزول وتحديداً في غزوة أحد، وموافقته للفظ الآية ومناسبته لحال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والله أعلم. [أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، ص ٦١]

أحاديث التفسير

الآية ١٢٢

البخاري (٤٥٥٨)

سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه يَقُولُ: «فِينَا نَزَلَتْ: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ قَالَ: نَحْنُ

^١ حاشية المزيني: أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - (٣: ١٣٠٦) رقم (٣٣٦٧)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب مبادئه - صلى الله عليه وسلم -، للأمام (٤: ١٨١٣) رقم (٢٣٢٧).

الطَّائِفَتَانِ: بَنُو حَارِثَةَ وَبَنُو سَلِيبَةَ، وَمَا نُحِبُّ. وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: وَمَا يَسُرُّنِي أَنَّهَا لَمْ تُنْزَلْ، لِقَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٤٥٥٨): [صحيح]

الآية ١٢٣

النسائي في الكبرى (١١٠٠٨)

عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِيَدْخُلَنَّ حَاطِبُ النَّارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَبْتَ، لَا يَدْخُلُهَا فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ»

الحكم

الدرر السنية: لم يُعثر على حكم مطابق

الآية ١٢٨

البخاري (٤٥٥٩)

حَدَّثَنِي سَالِمٌ، عَنْ أَبِيهِ: «أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الْفَجْرِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ الْعَنِ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا، بَعْدَمَا يَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾». رَوَاهُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاشِدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ.

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٤٥٥٩): [صحيح]

الدرر السنية — شعيب الأرنؤوط، تخریج المسند لشعيب (٦٣٥٠): إسناده صحيح

البخاري (٤٥٦٠)

وَأَبِي سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى أَحَدٍ، أَوْ يَدْعُوَ لِأَحَدٍ، قَنَتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ، فَرُبَّمَا قَالَ، إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَيْعَةَ، اللَّهُمَّ أَشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ، يَجْهَرُ بِذَلِكَ، وَكَانَ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ: اللَّهُمَّ الْعَنِ فُلَانًا وَفُلَانًا، لِأَحْيَاءٍ مِنَ الْعَرَبِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الْآيَةَ».

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٤٥٦٠): [صحيح]

الترمذي (٣٠٠٢)

عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ»، وَشَجَّ وَجْهُهُ شَجَّةً فِي جَبْتِهِ حَتَّى سَالَ الدَّمُّ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟ فَتَزَلَّتْ: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ» إِلَى آخِرِهَا.

الحكم

حكم الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

حكم الألباني (من حاشية ت شاكر): صحيح

الدرر السنية — الترمذي، سنن الترمذي (٣٠٠٢): حسن صحيح

الدرر السنية — الألباني، صحيح الترمذي (٣٠٠٢): صحيح

الترمذي (٣٠٠٣)

عَنْ أَنَسٍ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَجَّ فِي وَجْهِهِ وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ، وَرُمِيَ رَمِيَّةً عَلَى كَتِفِهِ، فَجَعَلَ الدَّمُّ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ وَهُوَ يَمْسَحُهُ وَيَقُولُ: كَيْفَ تَفْلِحُ أُمَّةٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ» وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ» سَمِعْتُ عَبْدَ بْنَ حُمَيْدٍ يَقُولُ: غَلَطَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ فِي هَذَا.

الحكم

حكم الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

حكم الألباني (من حاشية ت شاكر): صحيح

الدرر السنية — الألباني، صحيح الترمذي (٣٠٠٣): صحيح

الدرر السنية — الترمذي، سنن الترمذي (٣٠٠٣): حسن صحيح

الترمذي (٣٠٠٤)

عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: اللَّهُمَّ الْعَنْ أَبَا سُفْيَانَ، اللَّهُمَّ الْعَنْ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ الْعَنْ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ. قَالَ: فَتَزَلَّتْ: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَأَسْلَمُوا فَحَسَنَ إِسْلَامَهُمْ.

الحكم

حكم الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ يُسْتَعْرَبُ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ حَمْرَةَ

حكم الألباني (من حاشية ت شاكر): صحيح

الدرر السنية — الترمذي، سنن الترمذي (٣٠٠٤): حسن غريب

الدرر السنية — الألباني، صحيح الترمذي (٣٠٠٤): صحيح

الترمذي (٣٠٠٥)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو عَلَى أَرْبَعَةِ نَفَرٍ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ

أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ فَهَدَاهُمُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ

الحكم

حكم الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ يُسْتَعْرَبُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ
حكم الألباني (من حاشية ت شاكر): حسن صحيح

النسائي في الكبرى (١١٠٠٩)

عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَكْبُرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنَ الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ الْعَنِ فُلَانًا وَفُلَانًا» دَعَا عَلَى نَاسٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]

الحكم

الدرر السنية — النسائي، السنن الكبرى للنسائي (٦٦٩): لم يرو هذا الحديث أحد من الثقات إلا معمر

النسائي في الكبرى (١١٠١٠)

حَدَّثَنِي سَالِمٌ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الْفَجْرِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ الْعَنِ فُلَانًا وَفُلَانًا بَعْدَمَا يَقُولُ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]

الحكم

الدرر السنية — النسائي، السنن الكبرى للنسائي (٦٦٩): لم يرو هذا الحديث أحد من الثقات إلا معمر
الدرر السنية — البيهقي، معرفة السنن والآثار (٣٩٣٧): [ثابت]

النسائي في الكبرى (١١٠١١)

عَنْ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، قَالَ: قَالَ أَنَسُ: كُسِرَتْ رَبَاعِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَشَجَّ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، وَمَسَحَ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ؟» فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨] اللَّفْظُ لَخَالِدٍ

الحكم

الدرر السنية: لم يُعثر على حكم مطابق

فوائد وتعليقات

* وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
 فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ
 عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا
 فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
 لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا
 فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ وَهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن
 رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنَعَمَ
 أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا
 فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ
 ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾
 وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ
 ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ
 الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾

الغريب

* وَسَارِعُوا

السطر ١ · الآية ١٣٣

الراغب

(مادة سرع) السَّرْعَةُ: ضدُّ البطء، ويستعمل في الأجسام، والأفعال، يقال: سَرَعَ، فهو سَرِيعٌ، وأسْرَعَ فهو مُسْرِعٌ، وأسْرَعُوا: صارت إبلهم سِرَاعاً، نحو: أبلدوا، وسَارِعُوا، وسَارِعُوا. قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾

مَغْفِرَةٍ

السطر ١ · الآية ١٣٣

الراغب

(مادة غفر) ﴿وَمَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ

السطر ١ · الآية ١٣٣

ابن قتيبة

وقوله ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ يريد سعتها، ولم يرد العرض الذي هو خلاف الطول. والعرب تقول: بلاد عريضة أي واسعة "وفي الأرض العريضة مَذْهَبٌ". وقال النبي ﷺ للمنهزمين يوم أحد: "لقد ذهبتم بها عريضة". وقال الشاعر:
كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ - وَهِيَ عَرِيضَةٌ - ... عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْلُوبِ كِفَّةُ حَابِلٍ^١
وأصل هذا من العَرْض الذي هو خلاف الطول. وإذا عَرَضَ الشيءُ اتسع وإذا لم يَعْرُضْ ضاق ودَقَّ.

الراغب

(مادة عرض) ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾

، فقد قيل: هو العَرْض الذي خلاف الطول، وتصور ذلك على أحد وجوه: إما أن يريد به أن يكون عَرْضُهَا في النشأة الآخرة كَعَرْضِ السَّمَاوَاتِ والأرض في النشأة الأولى، وذلك أنه قد قال:

ابن الهائم

﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: أي سعتها، ولم يرد العرض

الذي هو خلاف الطول (زه) وقيل: المراد العرض الذي هو خلاف الطول. وقيل غير ذلك.

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: البيت غير منسوب في الكامل ٣/٨٥٧ واللسان ١١/٢١٥ وراويهما: "كَأَنَّ فُجَاهِ الْأَرْضِ" وهو في تفسير القرطبي ٤/٢٠٥ والبحر المحيط ٣/٥٧ والحابل: الصائد، وكفته: حبالته التي يصيد بها.

فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

السطر ٣ · الآية ١٣٤

﴿فِي السَّرَّاءِ﴾: السَّراء والسَّرّ والسَّرور بمعنى واحد.

ابن الهائم

﴿الضَّرَّاءِ﴾: الضَّرّ أي الفقر والقحط وسوء الحال وأشباه ذلك (زه) . وقال ابن عباس: في

ابن الهائم

اليسر والعسر^١ ، وهما مصدران^٢ .

﴿السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ ... اليسر، والعسر.

السراج

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ

السطر ٣ · الآية ١٣٤

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ الصابرين. وأصل الكَظْم والصبر: حبس الغيظ.

ابن قتيبة

(مادة كظم) ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾

الراغب

ومنه:

كَظَمَ البعير: إذا ترك الاجترار، وَكَظَمَ السَّقاء:

شده بعد ملئه مانعا لنفسه، والكَظَامَةُ: حلقة تجمع فيها الخيوط في طرف حديدة الميزان، والسير

الذي يوصل بوتر القوس، والكَظَائِمُ:

خروق بين البئرين يجري فيها الماء، كل ذلك تشبيهه بيجري النفس، وتردده فيه

(مادة غيظ) ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ .

الراغب

قال: وإذا وصف الله سبحانه به فإنه يراد به الانتقام. قال:

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾: أي الحابسينه [زه] وقيل: المسكين عن إمضائه مع قدرتهم على من

ابن الهائم

أغضبهم، من: كظمت القربة، إذا سددت رأسها. ومنه كظم البعير بجريته^٣ ، إذا ردها إلى

جوفه. ومنه الكظامة ليجري الماء من بئر إلى بئر.

يَغْفِرُ

السطر ٦ · الآية ١٣٥

(مادة غفر) ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾

الراغب

، وقد يقال: غَفِرَ لَهُ إذا تجافى عنه في الظاهر وإن لم يتجاف عنه في الباطن

^١ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: قول ابن عباس في تفسير الطبري ٧/ ٢١٤.

^٢ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: انظر تفسير الطبري ٧/ ٢١٤ [.....]

^٣ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: الحرة: ما يخرج البعير من بطنه ليضعه ثم يبلعه (الوسيط - جرو) .

الذُّنُوبُ

السطر ٦ · الآية ١٣٥

الراغب

(مادة ذنب) وقال: ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ، إلى غير ذلك من الآي.

ذهب

الذهبُ معروف، وربما قيل ذَهَبٌ، ورجل ذَهَبٌ: رأى معدن الذهب فدهش، وشيئُذهب: جعل عليه الذهب، وكُميت مُذهبٌ:

علت حمرة صفرة، كأنَّ عليها ذهباً، والذهابُ:

المضي، يقال: ذهبَ بالشيء وأذهبهُ، ويستعمل ذلك في الأعيان والمعاني

وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا

السطر ٦ · الآية ١٣٥

ابن قتيبة

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ أي: لم يقيموا عليه.

الراغب

(مادة صر) الإصرارُ: التَّعَقُّدُ في الذَّنْبِ والتَّشَدُّدُ فيه، والامتناع من الإقلاع عنه. وأصله من الصَّرَّ أي:

الشَّدَّ، والصُّرَّةُ: ما تعقد فيه الدَّراهم، والصِّرَارُ:

خرقة تشدُّ على أطباء الناقة لثلا ترضع. قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾: لم يقيموا عليه (زه) والإصرار:

الإقامة على الذَّنْبِ من غير إقلاع عنه بالتَّوبَةِ منه، وأصله الشَّد من الصَّرَّ.

ابن الهائم

قَدْ خَلَتْ

السطر ٩ · الآية ١٣٧

أبو عبيدة

﴿قَدْ خَلَتْ﴾ : قد مضت،

الراغب

(مادة خلا) ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾

سُنَنٌ

السطر ٩ · الآية ١٣٧

ابن الهائم

﴿سُنَنٌ﴾: جمع سَنَةٍ، قال المفضل: السَّنةُ: الأُمَّةُ، أي أُمم، وأنشد:

ما عاين الناس من فضل كفضلكم ... ولا رأوا مثله في سالف السَّنِ^١
وقيل غير ذلك.

^١ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: البحر المحيط ٥٦/٣.

عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ

السطر ١٠ · الآية ١٣٧

﴿عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾: العاقبة: ما يؤدي إليه السبب المتقدم.

ابن الهائم

بَيَانٌ

السطر ١١ · الآية ١٣٨

(مادة بين) نحو: ﴿هذا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ .
وسمي ما يشرح به المجلد والمبهم من الكلام بيانا، نحو قوله:

الراغب

وَمَوْعِظَةٌ

السطر ١١ · الآية ١٣٨

(مادة وعظ) ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾

الراغب

وَلَا تَهْنُؤُوا

السطر ١٢ · الآية ١٣٩

﴿وَلَا تَهْنُؤُوا﴾ أي لا تضعفوا، هو من الوهن.

أبو عبيدة

﴿وَلَا تَهْنُؤُوا﴾ أي لا تضعفوا. وهو من الوهن.

ابن قتيبة

(مادة وهن) ﴿وَلَا تَهْنُؤُوا وَلَا تَحْزَنْوَا﴾

الراغب

﴿وَلَا تَهْنُؤُوا﴾: لا تضعفوا [زه] بلغة قريش^١ وكثانة^٢.

ابن الهائم

﴿وَلَا تَهْنُؤُوا﴾ ... لَا تَضَعُفُوا.

السراج

تَحْزَنُوا

السطر ١٢ · الآية ١٣٩

(مادة حزن) وقوله تعالى:

الراغب

﴿وَلَا تَحْزَنْوَا﴾

إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ

السطر ١٣ · الآية ١٤٠

﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ﴾ ، القرح: الجراح، والقتل.

أبو عبيدة

^١ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: ما ورد في القرآن من لغات ١/ ١٢٥.
^٢ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: العزو إلى قريش فقط في غريب القرآن لابن عباس ٤٢.

و (الْقَرْحُ) الجراح. والقَرْح أيضا^١. وقد قُرئَ بهما جميعاً^٢ ويقال: القَرْح - بالضم -: ألم الجراح. (مادة قرح) ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ ، وقُرئ: بالضم^٣. والقَرْحَانُ: الذي لم يصبه الجدري، وفرس قَارِحٌ: إذا ظهر به أثر من طلوع نابه، والأُنثى قَارِحَةٌ، وأَقْرَحَ: به أثر من الغرّة، وروضة قَرَحَاءُ: وسطها نور، وذلك لتشبيهها بالفرس القرحاء، وأَقْرَحْتُ الْجَمَلَ: ابتدعت ركوبه، وأَقْرَحْتُ كَذَا عَلَى فُلَانٍ: ابتدعت التّميّ عليه، وأَقْرَحْتُ بَرَأً: استخرجت منه ماء قَرَاخاً، ونحوه: أرض قَرَاخٌ، أي: خالصة، والقَرِيحَةُ حيث يستنقر فيه الماء المستنبط، ومنه استعير قَرِيحَةُ الْإِنْسَانِ

ابن قتيبة

الراغب

﴿قَرْحٌ﴾: القرح: جراح. وقيل: القرح بفتح القاف: الجراح، والقرح بالضم: ألم الجراح (زه)^٤ ، وهو بالفتح لغة الحجاز وبالضم لغة تميم^٥. وأصل الكلمة الخلوص، ومنه ماء قراح: لا كدرة فيه، وأرض قراح: خالصة الطين، وقريحة الرجل: خالص طبعه. ﴿قَرْحٌ﴾ ... جَرَحٌ.

ابن الهائم

السراج

نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ

السطر ١٤ · الآية ١٤٠

(مادة دول) قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ ، والدُّوْلُولُ: الدّاهية والجمع الدّالِيل والدُّوْلَات^٦. ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾: نظفر قوما بقوم، ثم نظفر الآخرين على الأوّلين. ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ ... نَصَرَفَهَا.

الراغب

ابن الهائم

السراج

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في تفسير القرطبي ٤/٢١٧ "والضم والفتح فيه لغتان عن الكسائي والأخفش. وقال الفراء: هو بالفتح: الجرح، وبالضم: ألمه. والمعنى: إن يمسسكم يوم أحد قرح فقد مس القوم يوم بدر قرح مثله".

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: انظر معاني القرآن ١/٢٣٤.

^٣ حاشية المحقق على المفردات: قرأ بالضم أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف. وهما لغتان، وقيل: المفتوح: الجرح، والمضموم: ألمه. انظر: الإنحاف ص ١٧٩.

^٤ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: وضع الرمز «زه» في الأصل بعد كلمة تميم، ونقلناه إلى موضعه الصحيح هنا وفقاً للنزّهة.

^٥ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: ما ورد في القرآن من لغات ١/ ١٢٨، وقد قرأ بضم القاف قَرْحٌ من القراء الأربعة عشر عاصم (برواية أبي بكر) وحمزة والكسائي وخلف والأعمش. والباقون بالفتح. (الإنحاف ١/ ٤٨٨) .

^٦ حاشية المحقق على المفردات: انظر: المجمل ٢/ ٣٤٠. [.....]

أحاديث التفسير

الآية ١٣٥

الترمذي (٣٠٠٦)

سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: «إِنِّي كُنْتُ رَجُلًا إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا نَفَعَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي»، وَإِذَا حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ، فَإِذَا حَلَفَ لِي بِصَدَقَتِهِ، وَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ رَجُلٍ يَذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ، ثُمَّ يَصِلِي ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

الحكم

حكم الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ قَدْ رَوَاهُ شُعْبَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَرَفَعُوهُ

حكم الألباني (من حاشية ت شاكر): حسن

الدرر السنية — الألباني، صحيح الترمذي (٣٠٠٦): حسن

الدرر السنية — البخاري، النكت على كتاب ابن الصلاح (١ / ٢٤٦): [أنكر صحته]

النسائي في الكبرى (١١٠١٢)

عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنِ الْحَكَمِ الْفَزَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ رَجُلًا إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا يَنْفَعَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي، فَإِذَا حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ، فَإِذَا حَلَفَ لِي بِصَدَقَتِهِ، حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ﷻ إِلَّا غُفِرَ لَهُ» ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ

الحكم

الدرر السنية — الألباني، صحيح الترمذي (٣٠٠٦): حسن

فوائد وتعليقات

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ
حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا
مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ
قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ
إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ
اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ
ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا
وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ
رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا
وَمَا أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ
قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا
وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ
الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

الغريب

وَلِيْمَحِصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

السطر ١ · الآية ١٤١

﴿وَلِيْمَحِصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يختبرهم. والتمحيص: الابتلاء والاختبار. قال عبد الله بن

ابن قتيبة

معاوية بن عبد الله بن جعفر:

رَأَيْتُ فُضَيْلًا كَانَ شَيْئًا مُلَفَّفًا... فَكَشَفَهُ التَّمْحِصُ حَتَّى بَدَأَ لِيًّا

يريد الاختبار.

(مادة محص) أصل المحص: تخلص الشيء مما فيه من عيب كالفحص، لكن الفحص يقال

الراغب

في إبراز شيء من أثنائه ما يختلط به، وهو منفصل عنه، والمحص يقال في إبرازه عما هو متصل به، يقال: محصت الذهب ومحصته: إذا أزلت عنه ما يشوبه من خبث. قال تعالى: ﴿وَلِيْمَحِصَّ

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

﴿وَلِيْمَحِصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: يخلص الله الذين آمنوا من ذنوبهم ويقيمهم منها. يقال: محص

ابن الهائم

الحبل يحص محصا، إذا ذهب منه الوبر حتى يتخلص ويتلص، وحبل محص وملص وأملص. وقولهم: ربنا محص عنا ذنوبنا، أي أذهب ما تعلق بنا من الذنوب.

وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ

السطر ١ · الآية ١٤١

(مادة محق) وقال: ﴿وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ﴾

الراغب

﴿وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ﴾: يهلكهم، وقيل: ينقصهم، والمحق:

ابن الهائم

نقصان الشيء قليلا قليلا.

وَلَمَّا

السطر ٢ · الآية ١٤٢

(مادة لم) نحو: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا﴾

الراغب

والثاني: علما للظرف

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: البيت له في عيون الأخبار ٣/٧٥ والكمال ١/١٨٣ وفي الأغاني ١١/٦٦ أنه قاله في صديقه قصي بن ذكوان. ثم قال في ص ٧٦: إنه قاله في صديقه الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، بعد أن تهاجرا والبيت غير منسوب في اللسان ٨/٣٥٩.

السطر ٣ · الآية ١٤٣

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ أي: رأيتم أسبابه. يعني السيف والسلاح.

ابن قتيبة

الراغب

(مادة لقي) اللَّقَاءُ: مقابلة الشيء ومصادفته معا، وقد يعبر به عن كل واحد منهما، يقال: لقيه يلقاه لقاءً ولقيًا ولقيَّةً، ويقال ذلك في الإدراك بالحس، وبالبصر، وبالبصيرة. قال: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾

السطر ٥ · الآية ١٤٤

رَسُولٌ

(مادة رسل) ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾

الراغب

، يا أيها

السطر ٥ · الآية ١٤٤

خَلَّتْ

(مادة خلا) ﴿مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾

الراغب

السطر ٥ · الآية ١٤٤

قُتِلَ

(مادة قتل) أصل القَتْل: إزالة الروح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتبر بفعل المتوَلَّى لذلك يقال: قُتِلَ، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال: موت.

قال تعالى: ﴿أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾

، وقوله:

الراغب

السطر ٦ · الآية ١٤٤

أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ

﴿أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾: كل من رجع عما كان عليه، فقد رجع على عقبيه.

أبو عبيدة

﴿أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ أي كفرتم. ويقال لمن كان على شيء ثم رجع عنه: قد انقلب على عقبه. وأصل هذا أرجعه القهقري. ومنه قيل للكافر بعد إسلامه: مرتد.

ابن قتيبة

(مادة قلب) ﴿أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾

الراغب

(مادة عقب) ﴿أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾

الراغب

﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ ... رَجَعْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ.

السراج

السطر ٦ · الآية ١٤٤

عَقَبِيهِ

(مادة عقب) ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾

الراغب

السطر ٧ · الآية ١٤٥

وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ﴾ معناها: ما كانت نفس تموت إلا بإذن الله.
[«رَبِّيُونَ»] (١٤٦) ١ الربيون: الجماعة الكثيرة، والواحد منها ربّي.

أبو عبيدة

السطر ٨ · الآية ١٤٥

كَتَبَا

(مادة كتب) ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلًا﴾
أي: حكما

الراغب

السطر ١٠ · الآية ١٤٥

الشَّاكِرِينَ

(مادة شكر) ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾

الراغب

السطر ١٠ · الآية ١٤٦

وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ﴾ أي كثير من نبي.

ابن قتيبة

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ﴾: كَايْن وكائن وكئن على وزن كعين وكاع وكع، ثلاث لغات بمعنى كم (زه) أصل كَايْن «أي» دخل عليها كاف التشبيه غير متصل بفعل لدخوله في نون أوان من كذا وكان، والنون هي التّونين أثبتت في الخط على غير القياس.

ابن الهائم

السطر ١٠ · الآية ١٤٦

قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ

(قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ) أي جماعات كثيرة. ويقال: الألوف. وأصله من الرّبة. وهي الجماعة. يقال للجمع: رَبِّيَّ كأنه نسب إلى الرّبة. ثم يجمع رَبِّي بالواو والنون. فيقال: رَبِّيُونَ.

ابن قتيبة

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «الربيون ... ربّي»: وفي البخاري: ربيون الجموع واحدها ربّي. قال ابن حجر: هو تفسير أي عبدة، قال في قوله: وكاين من نبي قتل معه ربون ... ربّي (فتح الباري ٨ / ١٥٥) .

[﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ أي ضعفوا] .

(مادة رب) وقوله تعالى:

﴿رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾

، فالرَّبِّيُّ كالرَّبَّانيِّ. والرَّبِّيَّةُ مصدر، يقال في الله ﷻ، والرَّبَّابَةُ يقال في غيره، وجمع الربِّ أربابٌ

﴿رَبِّيُونَ﴾^١: جماعات كثيرة واحد هم ربِّي (زه) هذا قول أبي عبيدة^٢، عني الربِّي: الجماعة. وقال الأخفش: هم الذين يعبدون الربَّ^٣ فنسبوا إليه. وكسر كإمسي^٤ وظهري، أي مما غير في النسب. وقيل: منسوب إلى التأله والعبادة. وقال الزجاج^٥ الربَّة: الجماعة ونسب إليها ثم جمع. وقيل: يقال لعشرة آلاف ربة.

﴿رَبِّيُونَ﴾ ... جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ.

الراغب

ابن الهائم

السراج

وَهَنُوا

السطر ١١ · الآية ١٤٦

(مادة وهن) ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ﴾

الراغب

وَمَا اسْتَكَاثُوا

السطر ١٢ · الآية ١٤٦

﴿وَمَا اسْتَكَاثُوا﴾ ما خشعوا وذلّوا. ومنه أخذ المستكين.

ابن قتيبة

﴿اسْتَكَاثُوا﴾: خضعوا (زه) هذا قول الزجاج، أي ما خضعوا لعدوهم^٦. وقال ابن عيسى: الاستكانة: إظهار الضعف. قال: وقيل الخضوع لأنه يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد. قال الكرماني: لم يتعرض أحد من المفسرين لهذه اللفظة، وظاهر لفظ علي بن عيسى يدل على أنه جعله من السكون، فيكون وزنه افتعال من سكن، ويكون الألف فيه^٧ كما في قول الشاعر:

ابن الهائم

^١ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: في هامش الأصل: «علباء بلغة حضرموت»، وفي الإتيان ٩٩ / ٢ «وبلغة حضرموت ربيونَ رجال» .

^٢ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: مجاز القرآن ١ / ١٠٤ .

^٣ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: معاني القرآن للأخفش ١ / ٢٣٥ .

^٤ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: البحر المحيط ٣ / ٧٤ وفيه «قاله الأخفش» .

^٥ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: فسر الزجاج «الريون» بأنهم «الجماعات الكثيرة» (معاني القرآن ١ / ٤٧٦) وعنه في تهذيب اللغة ١٧٨ / ١٥ «الجماعة الكثيرة» .

^٦ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: هذا القول نقله الأزهرى عن بعضهم (التهذيب ١٥ / ١٧٨، ونقله كذلك الزجاج (معاني القرآن ١ / ٤٧٦، وحرفت فيه كلمة «الربة» إلى «الريوة») .

^٧ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: معاني القرآن للزجاج ١ / ٤٧٦ .

^٨ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: أي للإشباع. [.....]

وأنت من الغوائل حين ترمى ... ومن ذمّ الرجال بمنزاح^١
وفيه بعد لشذوذ. وقال الأزهري^٢: هو من قول العرب: بات فلان بكينة سوء وبحيبة^٣ سوء،
أي بحال سوء. وأكانه^٤ يكيّنه، إذا أخضعه. والكين: كين المودة من هذا، وإليه ذهب أبو
عليّ أيضا. وقيل: استفعل من كان يكون، أي لم يكونوا بصفة الوهن والضعف، وكذلك قوله:
فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ^٥ أي لم يكونوا له بمؤمنين.

وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا

السطر ١٣ · الآية ١٤٧

﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾: تفريطنا.

أبو عبيدة

﴿إِسْرَافَنَا﴾: إفراطنا.

ابن الهائم

ثَوَابٌ

السطر ١٤ · الآية ١٤٨

(مادة ثوب) ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ ، وكذلك المثوبة في

الراغب

فوائد وتعليقات

^١ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: البيت منسوب لإبراهيم بن هرمة يرثي ابنه في مادة (نزع) بالصحاح والتكلمة واللسان والتاج.
^٢ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: هو أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهري، عالم لغوي نحوي فقيه ولد بهراة، ثم
سافر إلى العراق في طريقه للحج، وأسره القرامطة وهو عائد من الحج، وكانوا من أعراب هوازن وأسد وتميم فاستفاد من مشافهتهم، ثم توجه
إلى بغداد وعاش بها زمنا، ثم عاد إلى هراة وبها توفي سنة ٣٧٠ هـ. من مصنفاته: تهذيب اللغة، والزهري في غرائب ألفاظ الإمام الشافعي.
(مقدمه محقق الجزء الأول من تهذيب اللغة، وانظر: بغية الوعاة ١/ ١٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ٩/ ٢٥٣، ٢٥٤، وإنباه الرواة ٤/ ١٧١-
١٧٥ «الترجمة رقم ٩٥٣» .

^٣ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: في الأصل: «وبحيبة»، والمثبت من التهذيب ١٠/ ٣٧٤، اللسان والتاج (حوب) .

^٤ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: في التهذيب ١٠/ ٣٧٤: «وقال أبو سعيد: وأكانه الله إكاته أي أخضعه.

^٥ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: المؤمنون، الآية ٧٦.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا
يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ
مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ
وَعْدَهُ إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ
مَا تُحِبُّونَ مِّنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن
يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ
وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥٢﴾ * إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُوتُ عَلَىٰ أَحَدٍ
وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ
غَمًّا بَغَمٍ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا
مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

الغريب

يَرُدُّوكُمْ

السطر ٢ . الآية ١٤٩

(مادة رد) ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ ، وقوله:

الراغب

الرُّعْبَ

السطر ٤ . الآية ١٥١

(مادة رعب) وقال: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾

الراغب

مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا

السطر ٥ . الآية ١٥١

﴿مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أي بيانا.

أبو عبيدة

﴿مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾^١ أي حجة.

ابن قتيبة

صَدَقَكُمْ

السطر ٦ . الآية ١٥٢

(مادة صدق) نحو: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾

الراغب

، وَصَدَّقْتُ فَلَانًا: نسبته إلى الصدق، وَأَصْدَقُهُ:

وجدته صادقا، وقيل: هما واحد، ويقالان فيهما جميعا. قال:

إِذَا تَحَسُّوْنَهُمْ بِإِذْنِهِ

السطر ٧ . الآية ١٥٢

﴿إِذَا تَحَسُّوْنَهُمْ﴾: تستأصلونهم قتلا،^٢ يقال: حسسناهم من عند آخرهم، أي استأصلناهم،

أبو عبيدة

قال رؤية: إذا شكونا سنة حسوسا... تأكل بعد الأخضر اليبيسا^٣

﴿إِذَا تَحَسُّوْنَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ أي تستأصلونهم بالقتل. يقال: سنة

ابن قتيبة

حَسُّوس: إذا أتت على كل شيء.. وجراد محسوس^٤ إذا قتله البرد.

﴿تَحَسُّوْنَهُمْ﴾: تستأصلونهم قتلا (زه) قال ابن عيسى:

ابن الهائم

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: راجع تأويل الآية في تفسير الطبري ٧/٢٧٩.

^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «تحسوسهم... قتلا»: كذا في البخاري وقال ابن حجر: وهو تفسير أبي عبيدة أيضا بلفظه وزاد يقال...

استأصلناهم (فتح الباري ٨/١٥٥) .

^٣ حاشية المحقق على مجاز القرآن: ديوانه ٧٢ والقرطبي ٤/٢٣٥ واللسان (حسوس) .

^٤ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ٧/٣٥٢ "وفي الحديث: إنه أتى بجراد محسوس".

حَسَّه، إذا أبطل حَسَّه بالقتل.

﴿تَحْسُونَهُمْ... تَقْتُلُونَهُمْ﴾

السراج

السطر ٧ . الآية ١٥٢

فَقِيلَ

(مادة فقل) الفَقِيلُ: ضعف مع جبن. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُيْئَتْهُمْ﴾

الراغب

﴿فَقِيلَ... جَبْنُهُمْ، وَضَعُفُهُمْ عَنِ الْقِتَالِ﴾.

السراج

السطر ١٠ . الآية ١٥٢

ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ

﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ أي ليلوكم: ليختبركم، ويكون «ليبتليكم» بالبلاء.

أبو عبيدة

(مادة صرف) الصَّرْفُ: ردّ الشيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره، يقال: صَرَفْتُهُ فَأَنْصَرَفَ.

الراغب

قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾

السطر ١٢ . الآية ١٥٣

إِذْ تَصْعَدُونَ

﴿إِذْ تَصْعَدُونَ﴾ في الأرض، قال الحادي:

أبو عبيدة

قد كنت تبكين على الإصعاد ... فالיום سرّحت وصاح الحادي^١
وأصل «الإصعاد» الصعود في الجبل، ثم جعلوه في الدّرج، ثم جعلوه في الارتفاع في الأرض،
أصعد فيها: أي تباعد.

«أخراكم»^٢ (١٥٣) آخركم.

﴿إِذْ تَصْعَدُونَ﴾ أي تبتعدون في الهزيمة. يقال: أصدّ في الأرض إذا أمعن في الذهاب. وصعد
الجبل والسطح.

ابن قتيبة

(مادة صعد) قال تعالى:

الراغب

﴿إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُؤُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾

، وقيل: لم يقصد بقوله إِذْ تَصْعَدُونَ إلى الإبعاد في الأرض وإنما أشار به إلى علوّهم فيما تحرّوه
وأتوه، كقولك: أبعدت في كذا، وارتقيت فيه كلّ مرتقى، وكأنه قال: إذ بعدتم في استشعار

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: روى القرطبي (٢٣٩ / ٤) هذا الرجز على أنه من إنشاد أبي عبيدة. [.....]

^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «أخراكم آخركم»: وقد أخذ البخاري تفسيره هذا فقال: أخراكم وهو تأنيث آخركم، قال ابن حجر: (٨ / ١٧١) وهو تابع لأبي عبيدة، فإنه قال «أخراكم آخركم»، وفيه نظر لأن أخرى تأنيث آخر بفتح الخاء، لا كسرهما، وقد حكى الفراء: من العرب من يقول: «في أخراكم» بزيادة المثناة. وقال العيني: وأما الأخرى فهو تأنيث الآخر بفتح الخاء لا بكسرهما، والبخاري تبع في هذا أبا عبيدة فإنه قال: أخراكم ... ، وزهل فيه (عمدة القاري ٨ / ٥٢٧) .

الخوف، والاستمرار على الهزيمة. واستعير الصُّعُودُ لما يصل من العبد إلى الله، كما استعير النزول لما يصل من الله إلى العبد، فقال سبحانه:

﴿تَصْعِدُونَ﴾: الإصعاد: الابتداء في السفر، والانحدار:

ابن الهائم

الرجوع [زه] . وقيل: الإصعاد: المبالغة في الذهاب في صعيد الأرض، وأصل الإصعاد: الذهاب. تقول: أصعدنا إلى بلد كذا، أي ذهبنا.

﴿تَصْعِدُونَ﴾ ... تَصْعِدُونَ فِي الْجَبَلِ هَارِبِينَ.

السراج

وَلَا تَلُوتَ عَلَى أَحَدٍ

السطر ١٢ · الآية ١٥٣

﴿وَلَا تَلُوتَ عَلَى أَحَدٍ﴾: لا يقف أحد لآخر، وقيل: لا تعطفون.

ابن الهائم

﴿وَلَا تَلُوتُونَ﴾ ... لَا تَلْتَفِتُونَ.

السراج

فِي أَخْرَاكُمْ

السطر ١٣ · الآية ١٥٣

﴿فِي أَخْرَاكُمْ﴾: أي في آخركم (زه) وقيل المعنى: والرسول ينادي من ورائكم وهو- ﷺ في الفرقة الآخرة منهم. وأخرى كما تكون أنثى آخر بالفتح تكون أنثى آخر بالكسر، وهو كالرجعى.

ابن الهائم

فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ

السطر ١٣ · الآية ١٥٣

﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ أي جازاكم غما مع غم. أو غما متصلا بغم. والغم الأول: الجراح والقتل. والغم الثاني: أنهم سمعوا بأن النبي ﷺ قد قُتل^١ فأنسأهم الغم الأول.

ابن قتيبة

(مادة ثوب) ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ ، على الاستعارة كما تقدم، والتثويب في القرآن لم يجئ إلا في المكروه

الراغب

﴿فَأَثَابَكُمْ﴾ ... جَاَزَاكُمْ.

السراج

تَحْزَنُوا

السطر ١٤ · الآية ١٥٣

(مادة حزن) الحُزْنُ والحَزَن: خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم، ويضاده الفرح، ولا اعتبار الخشونة بالغم قيل: حَشَنَتْ ب صدره: إذا حزنته، يقال: حَزَنَ يَحْزَنُ،

الراغب

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: تفسير الطبري ٧/٣٠٦ وقيل في تفسيرهما عكس ذلك، وقيل: بل الغم الأول: ما كان فاتهم من الفتح والغنيمة، والثاني إشراف أبي سفيان عليهم في الشعب، وانظر الدر المنثور ١/٨٧.

وَحَزَنَتُهُ وَأُحْزِنَتْهُ قَالَ ﷺ: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾

خَيْرٌ

الراغب

السطر ١٥ · الآية ١٥٣

(مادة خبر) الخبر: العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر، وخبرته خبراً وخبرة، وأخبرت: أعلمت بما حصل لي من الخبر، وقيل الخبرة المعرفة ببواطن الأمر، والخبار والخبراء: الأرض اللينة^١، وقد يقال ذلك لما فيها من الشجر، والمخبرة: مزارعة الخبار بشيء معلوم، والخير: الأكار فيه، والخير^٢: المزايدة العظيمة، وشبهت بها الناقة فسميت خيراً، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، أي: عالم بأخبار أعمالكم، وقيل أي: عالم ببواطن أموركم، وقيل: خير بمعنى مخبر

أحاديث التفسير

الآية ١٥٣

البخاري (٤٥٦١)

سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَالِ يَوْمَ أُحُدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ، وَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَكَ: إِذْ يَدْعُوهُمْ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا».

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٤٠٦٧): [صحيح]

النسائي في الكبرى (١١٠١٣)

سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، يُحَدِّثُ قَالَ: جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الرُّمَةِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ قَالَ: وَوَضَعَهُمْ مَكَانًا وَقَالَ لَهُمْ: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّا نَحْطِفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ» قَالَ: وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، قَالَ: فَهَزَمَهُمْ قَالَ: فَأَمَّا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ عَلَى الْجَبَلِ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ وَأَسْوَقُهُنَّ رَافِعَاتُ ثِيَابِهِنَّ، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ: الْغَنِيمَةُ، أَيْ قَوْمُ الْغَنِيمَةِ، قَدْ ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَإِذَا تَنْتَظِرُونَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أُنْسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: إِنَّا وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ فَلَنَنْصِبَنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صَرَفَتْ وَجُوهَهُمْ، فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَكَ حِينَ يَدْعُوهُمْ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَصَابُوا مَنَا سَبْعِينَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً، سَبْعِينَ أُسِيرًا، وَسَبْعِينَ قَتِيلًا،

^١ حاشية المحقق على المفردات: انظر: المجمل ٣١٠ / ٢.

^٢ حاشية المحقق على المفردات: الخبر بكسر الخاء وفتحها، انظر: اللسان (خبر)، والمجمل ٣١٠ / ٣.

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ فَهَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي حُفَافَةَ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قَتَلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِي عَدَدْتَ لَأَحْيَاءُ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوؤُكَ، فَقَالَ: يَوْمَ بَدْرٍ، وَالْحُرُوبُ سِبْجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ فِي الْقَوْمِ مِثْلَهُ لَمْ أَمُرْ بِهَا، وَلَمْ تَسُونِي، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أَعْلُ هُبْلٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا تُجِيبُوهُ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌ» قَالَ: إِنَّ لَنَا عُرَى وَلَا عُرَى لَكُمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا تُجِيبُوهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ»

الحكم

الدرر السنية: لم يُعثر على حكم مطابق

فوائد وتعليقات

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُبَإً سَائِغًا يَغْشَى طَائِفَةً
 مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ
 الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ^ط
 قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفِّفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ^ط
 يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ
 فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ^ط
 وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ^{وَج}
 وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ
 يَوْمَ أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ
 مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَأَيُّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا
 ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا
 وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي
 وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمْ غَفِرَةً مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

الغريب

أَمْنَةٌ

السطر ١ · الآية ١٥٤

و (الْأَمْنَةُ): الأمن. يقال: وقعت الأمانة في الأرض. ومنه يقال: أعطيته أماناً. أي عهداً يأمن به.

ابن قتيبة

﴿فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ أي قصور عالية. والبروج: الحصون.

(مادة أمن) ﴿أَمْنَةٌ نُّعَاسًا﴾

الراغب

أي: أماناً، وقيل: هي جمع كالكتبة. وفي حديث نزول المسيح: «وتقع الأمانة في الأرض»^١

﴿أَمْنَةٌ﴾ ... أَمْنًا، وَعَدَمَ خَوْفٍ.

السراج

نُعَاسًا

السطر ١ · الآية ١٥٤

(مادة نعس) ﴿نُعَاسًا﴾ وقيل: النعاس هاهنا عبارة عن السُّكُونِ والهُدُوءِ، وإشارةً إلى قول النبي ﷺ: «طُوبَى لِكُلِّ عَبْدٍ نَوَمَةٍ»^٢

الراغب

يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ

السطر ١ · الآية ١٥٤

﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾: انقطع النصب، ثم جاء موضع رفع:

أبو عبيدة

«وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ» ولو نصبت على الأول إذ كانت مفعولاً بها لجازت أن شاء الله، كقولك: رأيت زيدا، وزيدا أعطاه فلان مالا، ومثلها في القرآن: «يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» (٣١ / ٧٦) فنصب «الظالمين» بنصب الأول على غير معنى: «يدخلهم في رحمته».

^١ حاشية المحقق على المفردات: هذا جزء من حديث طويل وفيه: «ثم تقع الأمانة على الأرض حتى ترتفع الأسود مع الإبل، والجارح مع البقر، والذئاب مع الغنم، وتلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم». والحديث أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود برقم (٤٣٢٤) وابن جرير وابن حبان عن أبي هريرة، وقال ابن كثير بعد ذكر إسناده: وهذا إسناد جيد قوي. انظر: الدر المنثور ٢ / ٧٣٦، والفتن الملاحم لابن كثير ١ / ١٠٥.

^٢ حاشية المحقق على المفردات: هذا من حديث عليّ رضي الله عنه لا من حديث النبي ﷺ، فإنه قال: (تعلموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، فإنه سيأتي بعد هذا زمان لا يعرف فيه تسعة عشراتهم المعروف، ولا ينجو منه إلا كل نومة، فأولئك أئمة الهدى، ومصاييح العلم، ليسوا بالمصاييح ولا المذاييع (البذر) راجع الفائق ٣ / ١٣٥، وغريب الحديث ٣ / ٤٦٣، ومسند علي رقم ١٦٠٩، ونهج البلاغة ص ٢٤٨.

أَهْمَتَهُمْ

السطر ٢ · الآية ١٥٤

الراغب

(مادة همم) قال الله تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾

ويقال: هذا رجل همك من رجل^١، وهمتك من رجل، كما تقول: ناهيك من رجل. والهوام: حشرات الأرض، ورجل هم، وامرأة همة، أي: كبير، قد همه العمر. أي: أذابه

يُظُنُّونَ

السطر ٢ · الآية ١٥٤

الراغب

(مادة ظن) ﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾

، أي:

يُظُنُّونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يصدقهم فيما أخبرهم به كما ظنَّ الجاهلية، تنبيهاً أَنَّ هؤلاء المنافقين هم في حيز الكفار، وقوله:

الْأَمْرِ

السطر ٣ · الآية ١٥٤

الراغب

(مادة أمر) وقال: ﴿قُلْ: إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾

لَبَرَزَ

السطر ٦ · الآية ١٥٤

الراغب

(مادة برز) قال تعالى: ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ ، وقال ﷺ:

كُتِبَ

السطر ٦ · الآية ١٥٤

الراغب

(مادة كتب) ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾

مَصَاحِعِهِمْ^ص

السطر ٦ · الآية ١٥٤

السراج

﴿مَصَاحِعِهِمْ﴾ ... مَصَارِعِهِمْ.

^١ حاشية المحقق على المفردات: انظر: المجلد ٤ / ٨٩٢.

وَلِيْمَحِصَّ

السطر ٧ · الآية ١٥٤

الراغب

(مادة محص) ﴿وَلِيْمَحِصَّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ، فَاتَّحِصُّ هَاهُنَا كَالتَّحِيصِ وَالتَّطْهِيرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الْأَلْفَاظِ.

ويقال في الدعاء: (اللهم محِّص عَنَّا ذُنُوبَنَا) ^١ أي: أزل ما علق بنا من الذنوب. ومحَّص الثوب ^٢ : إذا ذهب زَبْرُهُ ^٣ ، ومحَّص الحبل يمحِّص: أخلق حتى يذهب عنه وبره، ومحَّص الصبي: إذا عدا

أَسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ

السطر ٩ · الآية ١٥٥

ابن قتيبة

﴿أَسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ طلب زَلَّاهُمْ. كما يقال: استعجلت فلانا. أي طلبت عجلته واستعملته أي طلبت عمله.

الراغب

(مادة زل) ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ ، أي: استجرهم الشيطان حتى زلوا، فإن الخطيئة الصغيرة إذا ترخص الإنسان فيها تصير مسهلة لسبيل الشيطان على نفسه. وقوله ^٤ الشَّيْطَانُ:

«مَنْ أُرِزَتْ إِلَيْهِ نِعْمَةٌ فَلْيَشْكُرْهَا» ^٥ أي: من أوصل إليه نعمة بلا قصد من مسديها، تنبيهاً أنه إذا كان الشكر في ذلك لازماً فكيف فيما يكون عن قصده. والتَّزَلُّزُ: الاضطراب، وتكرير حروف لفظه تنبيه على تكرير معنى الزلل فيه، قال:

ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ

السطر ١٢ · الآية ١٥٦

أبو عبيدة

﴿ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يقال: ضربت في الأرض: أي تباعدت.

ابن قتيبة

﴿ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ تباعدوا. و ﴿غَزَى﴾ جمع غَازٍ. مثل صائم وصوم. ونائم ونوم. وعاف وعفّ.

الراغب

(مادة ضرب) ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾

أَوْ كَانُوا غَزَى

السطر ١٢ · الآية ١٥٦

أبو عبيدة

﴿أَوْ كَانُوا غَزَى﴾ لا يدخلها رفع ولا جر لأن واحداها: غاز، فخرجت مخرج قائل وقول، ^٥

^١ حاشية المحقق على المفردات: انظر: البصائر ٤/ ٤٨٦.

^٢ حاشية المحقق على المفردات: انظر: اللسان (محص)، والمجمل ٣/ ٨٢٤.

^٣ حاشية المحقق على المفردات: الزَّيْبُ بالكسر: ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخبز. وقال أبو زيد: زَيْبُ الثوب وزغره. اللسان (زأب).

^٤ حاشية المحقق على المفردات: الحديث في النهاية ٢/ ٣١٠، والفاقي ٢/ ١١٩.

^٥ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «غزى ... وقول»: وقد ورد في البخاري: غزى ... غاز، وقال ابن حجر (فتح الباري ٨/ ١٥٥) هو

فَعَلَّ، وقال رؤية:

وقولٌ إلّا ده فلا ده يقول: إن لم يكن هذا فلا ذا. ومثل هذا قولهم: إن لم تتركه هذا اليوم فلا تتركه أبداً، وإن لم يكن ذاك الآن لم يكن أبداً.

[«حَسْرَةً»] (١٥٦) الحسرة: الندامة.

(مادة غَزَا) لُ: ولد الظبية، والغَزَالَةُ: قرصة الشمس، وكني بالغَزَلِ والمُغَاذَلَةِ عن مشافهة^٢ المرأة التي كأنها غَزَالٌ، وغَزَلَ الكلب غَزْلًا: إذا أدرك الغَزَالَ فلهي عنه بعد إدراكه.

الراغب

غزا

الغزو: الخروج إلى محاربة العدو، وقد غَزَا يَغْزُو غَزْوًا، فهو غَازٍ، وجمعه غُزَاةٌ وغُزَّى. قال تعالى: ﴿أَوْ كَانُوا غُزًى﴾

﴿أَوْ كَانُوا غُزًى﴾: جمع غاز (زه) أي كصائم وصوم.

ابن الهائم

﴿غُزًى﴾ ... غُزَاةٌ مُجَاهِدِينَ.

السراج

حَسْرَةً

السطر ١٣ · الآية ١٥٦

(مادة حسر) قال تعالى:

الراغب

﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾

يَجْمَعُونَ

السطر ١٥ · الآية ١٥٧

(مادة جمع) وقال تعالى: ﴿لَمَغْفِرَةً مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

الراغب

أسباب النزول

الآية ١٥٤

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نَاعَسًا﴾ الآية ١٥٤.

الوادعي

قال الإمام الترمذي رحمه الله تعالى ج ٤ ص ٨٤ حدثنا عبد بن حميد ثنا روح بن عباد عن حماد بن سلمة عن

تفسير أبي عبيدة أيضا قال في قوله: «أو كانوا...» وقول، انتهى. وقرأ الجمهور «غزى» بالتشديد جمع غاز، وقياسه «غزاة» لكن حملوا المعتل على الصحيح كما قال أبو عبيدة، وقرأ الحسن وغيره «غزى» بالتخفيف، فقيل: خفف الزاى كراهية الثقيل وقيل أصله غزاة، وحذف الهاء.

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: ديوانه ١٦٦- وهو في اللسان والتاج (قول) وابن يعيش ١/ ٥٣٧ والخزانة ٣/ ٩٠. وذكر البغدادى رواية

أبي عبيدة لهذا الشطر. وقد اختلفوا في معنى «ده» وفي أصله، فقال بعضهم: هي كلمة فارسية، وقال بعضهم بل هي عربية، وقال الميداني (١/

٢٩) قالوا: معناه إلا هذه فلا هذه، يعنى أن الأصل «الاذه» بالذال المعجمة، فعربت بالذال غير المعجمة. وروى البغدادى عن ابن نزار الملقب

بملك النحاة عن طريق السخاوي أنه قال: ... فقد ثبت بهذا أن «ذه» اسم فاعل لا اسم للفعل وهي معربة لا مبنية وتتويناها بتوينا الصرف لا

توينا التنكير.

^٢ حاشية المحقق على المفردات: الشّفن: النظر بمؤخر العين.

ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال: رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أنظر وما منهم يومئذ أحد إلا يمد تحت جففته من النعاس فذلك قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةٌ نَّعَاسًا﴾ . هذا حديث حسن صحيح ثم قال: "وعليها إشارة نسخة" حدثنا عبد بن حميد ثنا روح بن عباد عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي الزبير مثله هذا حديث حسن صحيح.

قال المباركفوري قوله عن أبي الزبير كذا في النسخة الأحمدية وهو غلط والصحيح عن الزبير بحذف لفظة أبي ا. هـ. وحديث الزبير وأخرجه ابن راهوية كما في المطالب العالية ج ٤ ص ٢١٩ وهذا لفظه: قال الزبير لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد إلا وذقته -أو قال ذقته- في صدره فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ فحفظها فأنزل الله ﷻ في ذلك ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةٌ نَّعَاسًا﴾ - إلى قوله - ﴿مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ - لقول معتب بن قشير قال ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ حتى بلغ ﴿عَلَيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ قال المعلق حبيب الرحمن الأعظمي سكت عليه البوصيري إسناده جيد. [الصحيح المسند، ص ٥٠]

أحاديث التفسير

الآية ١٥٤

البخاري (٤٥٦٢)

أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ قَالَ: «عَشِينَا النَّعَاسَ وَنَحْنُ فِي مَصَافِنَا يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: جَعَلَ سِنِّي يَسْقُطُ مِنْ يَدِي وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ».

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٤٥٦٢): [صحيح]

الترمذي (٣٠٠٧)

عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ «رَفَعْتُ رَأْسِي يَوْمَ أُحُدٍ» فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ، وَمَا مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا يَمِيدُ تَحْتَ جَفَّتِهِ مِنَ النَّعَاسِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةٌ نَّعَاسًا﴾

الحكم

حكم الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

الدرر السنية — الألباني، صحيح الترمذي (٣٠٠٧): إسناده صحيح

الدرر السنية — الضياء المقدسي، الأحاديث المختارة (٨٦٦): أورد في المختارة وقال [هذه أحاديث اخترتها مما ليس في البخاري ومسلم]

فوائد وتعليقات

وَلَيْنَ مُتَمِّرٌ أَوْ قَتِلْتُمْ لِيَالِي اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ
لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ
فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُم مِّنْ
بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ
يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ
نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَن أَتَّبَعَ رِضْوَانَ
اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا أُوْبَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ
مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّْا
أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا
قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

الغريب

فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ

السطر ١ · الآية ١٥٩

﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ : أعملت الباء فيها فجرتها بها كما نصبت هذه الآية: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ» (٢٦ / ٢) .
﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي فبرحمة. و"ما" زائدة.

أبو عبيدة

ابن قتيبة

لَيْتَ

السطر ٢ · الآية ١٥٩

(مادة لين) اللَّيْنُ: ضدّ الخشونة، ويستعمل ذلك في الأجسام، ثمّ يستعار للخلق وغيره من المعاني، فيقال: فلان لينّ، وفلان خشن، وكلّ واحد منهما يمدح به طورا، ويذمّ به طورا بحسب اختلاف المواقع. قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ﴾ ، وقوله:

الراغب

فَطَّلَا

السطر ٢ · الآية ١٥٩

(مادة فظ) الْفَطُّ: الكريه الخلق، مستعار من الْفَطِّ، أي: ماء الكرش، وذلك مكروه شربه لا يتناول إلّا في أشدّ ضرورة. قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ .

الراغب

فعل

الفعل: التأثير من جهة مؤثّر، وهو عامّ لما كان بإجادة أو غير إجادة، ولما كان بعلم أو غير علم، وقصد أو غير قصد، ولما كان من الإنسان والحيوان والجمادات، والعمل مثله، والصنع أخصّ منهما كما تقدّم ذكرهما^١ ، قال: ﴿فَطَّلَا﴾ : سيئ الخلق جافي الفعل، وأصل الفظاظة: الجفوة، ومنه الافتظاظ لشراب ماء الكرش وهو الفظّ، سميّ بذلك لجفائه.

ابن الهائم

﴿فَطَّلَا﴾ ... سَيِّئُ الْخَلْقِ .

السراج

لَا تَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ

السطر ٢ · الآية ١٥٩

﴿لَا تَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي تفرّقوا على كل وجه.

أبو عبيدة

^١ حاشية المحقق على المفردات: تقدّم في مادة (عمل) ، ومادة (صنع) .

ابن قتيبة

﴿لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أي تفرقوا.

الراغب

(مادة فض) ﴿لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ ، وَالْفِضَةُ اخْتَصَّتْ بِأَدْوَنِ الْمُتَعَامِلِ بِهَا مِنَ الْجَوَاهِرِ، وَدَرَعُ

فَضْفَاضَةً، وَفَضْفَاضٌ: وَاسِعَةٌ

ابن الهائم

﴿لَا تَفْضُوا﴾: تَفَرَّقُوا، وَأَصْلُ الْفَضِّ: الْكُسْرُ.

فَاعَفُ

الراغب

(مادة عفا) ﴿فَاعَفْ عَنْهُمْ﴾ ، وقوله:

السطر ٣ · الآية ١٥٩

وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ^ط

الراغب

السطر ٣ · الآية ١٥٩

(مادة شور) الشَّوَارُ: مَا يَبْدُو مِنَ الْمَتَاعِ، وَيَكْنَى بِهِ عَنِ الْفَرْجِ، كَمَا يَكْنَى بِهِ عَنِ الْمَتَاعِ، وَشَوَّرْتُ بِهِ:

فَعَلْتُ بِهِ مَا نَجَّلْتَهُ، كَأَنَّكَ أَظْهَرْتَ شَوْرَهُ، أَي:

فَرْجَهُ، وَشَرْتُ الْعَسْلَ وَأَشْرْتُهُ: أَخْرَجْتَهُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

-٢٧٧-

وحديث مثل ما ذِيّ مشاراً^١ وَشَرْتُ الدَّابَّةَ: اسْتَخْرَجْتُ عَدُوهُ تَشْبِيهاً بِذَلِكَ، وَقِيلَ: الْخَطْبُ مِشْوَارٌ كَثِيرُ الْعَثَارِ^٢ ، وَالتَّشَاوُرُ وَالْمُشَاوَرَةُ وَالْمَشُورَةُ: اسْتَخْرَاجُ الرَّأْيِ بِمَرَاجَعَةِ الْبَعْضِ إِلَى الْبَعْضِ، مِنْ قَوْلِهِمْ:

شَرْتُ الْعَسْلَ: إِذَا اتَّخَذْتَهُ مِنْ مَوْضِعِهِ، وَاسْتَخْرَجْتَهُ مِنْهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ ، وَالشُّورَى: الْأَمْرُ الَّذِي يُشَاوَرُ فِيهِ. قَالَ:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: أَيِ اسْتَخْرَجْ رَأْيَهُمْ وَاعْلَمْ مَا عِنْدَهُمْ، مَا خُذْ مِنْ شَرِّ الدَّابَّةِ وَشَوْرَتِهَا إِذَا اسْتَخْرَجْتَ جَرِيهَا وَعَلِمْتَ خَبَرَهَا.

ابن الهائم

السطر ٣ · الآية ١٥٩

فَإِذَا عَزَمْتَ

أبو عبيدة

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ أَيِ إِذَا أَجْمَعْتَ.

الراغب

(مادة عزم) الْعَزْمُ وَالْعَزِيمَةُ: عَقْدُ الْقَلْبِ عَلَى إِمْضَاءِ الْأَمْرِ، يُقَالُ: عَزَمْتُ الْأَمْرَ، وَعَزَمْتُ عَلَيْهِ، وَأَعَزَّمْتُ. قَالَ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

^١ حاشية المحقق على المفردات: هذا عجز بيت، وصدوره:

بسماع يأذن الشيخ له

وهو لعدي بن زيد في ديوانه ص ٩٥، والمجمل ٥١٦ / ٢، والجمهرة ٤٣٩ / ٣.

^٢ حاشية المحقق على المفردات: انظر مجمع الأمثال ٢٤٤ / ١.

ابن الهائم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: صَحَّتْ رَأْيُكَ فِي إِمضاءِ الأَمْرِ.

يَنْصُرُكُمْ

السطر ٤ · الآية ١٦٠

الراغب (مادة نصر) ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾

وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغَلِّ

السطر ٦ · الآية ١٦١

أبو عبيدة ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغَلِّ﴾ : أَنْ يَخَانَ.

ابن قتيبة ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغَلِّ﴾^١ . أَي يَخُونُ فِي الْغَنَائِمِ.

الراغب (مادة غل) ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغَلِّ﴾

، وَقرئ: أَنْ يُغَلِّ^٢ أَي: يَنْسَبُ إِلَى الْخِيَانَةِ، مِنْ أَغْلَتْهُ. قَالَ:

الراغب (مادة غل) ﴿وَمَنْ يُغَلِّ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

، وَروى: «لَا إِغْلَالَ وَلَا إِسْلَالَ»^٣ أَي: لَا خِيَانَةَ وَلَا سُرْقَةَ. وَقوله ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يُغَلِّ عَلَيْهِمْ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ»^٤ أَي: لَا يَضْطَغْنَ. وَروى: «لَا يُغَلِّ» أَي: لَا يَصِيرُ ذَا خِيَانَةٍ، وَأَغْلَ الْجَاذِرِ وَالسَّائِخِ:

إِذَا تَرَكَ فِي الْإِهَابِ مِنَ اللَّحْمِ شَيْئًا، وَهُوَ مِنَ الْإِغْلَالِ، أَي: الْخِيَانَةِ، فَكَأَنَّهُ خَانَ فِي اللَّحْمِ وَتَرَكَ فِي الْجِلْدِ الَّذِي يَحْمِلُهُ. وَالْغَلَّةُ وَالْغَلِيلُ:

مَا يَتَدَرَّعُهُ الْإِنْسَانُ فِي دَاخِلِهِ مِنَ الْعَطَشِ، وَمِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ وَالْغَيْظِ. يَقَالُ: شَفَا فُلَانٌ غَلِيلَهُ، أَي: غَيْظَهُ. وَالْغَلَّةُ: مَا يَتَنَاوَلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَخَلِ أَرْضِهِ، وَقَدْ أَغْلَتْ ضَيْعَتَهُ. وَالْمُغْلَغَلَةُ: الرِّسَالَةُ

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: راجع أسباب النزول ٩٣.

^٢ حاشية المحقق على المفردات: وهي قراءة نافع وابن عامر وحزمة والكسائي وخلف ويعقوب وأبي جعفر. انظر: الإنحاف ص ١٨١، وإرشاد المبتدي ص ٢٧١.

^٣ حاشية المحقق على المفردات: شطر من حديث طويل في صلح الحديبية أخرجه الإمام أحمد عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في مسنده ٣٢٥ / ٤، وأبو داود في كتاب الجهاد، باب: صلح العدو. انظر: سنن أبي داود رقم ٢٧٦٦، ومعالم السنن ٣٣٦ / ٢.

وقد تقدّم الحديث في باب (سل).

^٤ حاشية المحقق على المفردات: الحديث عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوداع: «نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَاتِي فَوْعَاهَا، فَرَبَّ حَامِلٍ فَهَ لَيْسَ بَفَقِيه. ثَلَاثٌ لَا يُغَلِّ عَلَيْهِنَ قَلْبُ أَمْرٍ مُؤْمِنٌ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالْمُنَاصَحَةُ لِأَتَمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِزُومِ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنْ دَعَا هُمْ يَحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ».

أخرجه البزار بإسناد حسن، وابن حبان في صحيحه من حديث زيد بن ثابت، والترمذي وقال: حديث حسن، وأحمد، وابن ماجه. وقال الحافظ المنذري: وقد روي هذا الحديث أيضا عن ابن مسعود ومعاذ بن جبل والنعمان بن بشير وجبير بن مطعم وأبي الدرداء وغيرهم، وبعض أسانيدهم صحيحة. ا. هـ وصححه ابن العربي.

انظر: عارضة الأحوذى ١٠ / ١٢٤، ومسند أحمد ٤ / ٨١، والترغيب والترهيب ١ / ٢٣.

التي تَتَغَلَّلُ بين القوم الذين تَتَغَلَّلُ نفوسهم، كما قال الشاعر:
-٣٤٠-

تَغَلَّلُ حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور^١

﴿يَغْلُ﴾: يخون وَمَنْ يَغْلُ: يخن.

ابن الهائم

﴿يَغْلُ﴾ ... يَأْخُذُ مِنَ الْغَنِيمَةِ قَبْلَ قِسْمَتِهَا.

السراج

وَمَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

السطر ٧ · الآية ١٦١

﴿وَمَنْ يَغْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ معناه قول النبي ﷺ: " لا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة على عنقه شاة لها ثَغَاءٌ لا أعرفن كذا، لا أعرفن كذا، فيقول: يا محمد. فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد بلغت "٢. يريد: أن من غل شاة أو بقرة أو ثوبا أو غير ذلك؛ أتى به يوم القيامة يحمله.

ابن قتيبة

ومن قرأ "يُغْلُ" أراد يُخَان. ويجوز أن يكون يُلْقَى خائناً. يقال: أغللت فلاناً أي وجدته غالاً. كما يقال: أحمقته وجدته أحمق. وأحمدته وجدته محموداً.

وقال الفرّاء^٣. من قرأه "يُغْلُ" أراد: يُخُون. ولو كان المراد هذا المعنى لقليل يُغْلَل. كما يقال: يَفْسُق وَيُخُون وَيُفْجَر.

﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾: خان (زه) والغلول: الخيانة في الغنيمة خاصة، وأصل الباب الخفاء، ومنه الغلّ: الحقد، والغلل: الماء الجاري في أصول الشجر.

ابن الهائم

كَسَبَتْ

السطر ٨ · الآية ١٦١

(مادة كسب) ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ فتناول لهما.

الراغب

والاِكْتِسَابُ قد ورد فيهما. قال في الصالحات:

بَاءً

السطر ٩ · الآية ١٦٢

﴿بَاءً﴾ ... رَجَعَ.

السراج

^١ حاشية المحقق على المفردات: البيت لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أحد الفقهاء السبعة.

وهو في نوادر القالي ص ٢١٧، ووفيات الأعيان ١١٦/٣، وسمط الآل ٧٨١/٢، وتقدّم ص ٤٤٩. [.....]

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: راجع الأحاديث في ذلك وتخريجها في تفسير الطبري وهامشه ٣٦٤-٧/٣٥٦ وانظر الدر المنثور ٩٢-٣/٩١.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في معاني القرآن للفراء ١/٢٤٦.

بِسَخَطٍ

السطر ٩ · الآية ١٦٢

الراغب

(مادة سخط) ﴿كَمْ بَاءٌ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾

هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ

السطر ١٠ · الآية ١٦٣

ابن قتيبة

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي هم طبقات في الفضل. فبعضهم أرفع من بعض. * * *

الراغب

(مادة درج) وقال: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ، أي: هم ذوو درجات عند الله، ودرجات النجوم تشبها بما تقدم.

ويقال لقارة الطريق: مَدْرَجَةٌ، ويقال: فلان يتدرّج في كذا، أي: يتصعد فيه درجة درجة، ودرج الشيخ والصبي درجاً: مشى مشية الصاعد في درجه. والدرج: طي الكأب والثوب، ويقال للمطوي: درج. واستعير الدرّج للهوت، كما استعير الطيّ له في قولهم: طوته المنية، وقولهم: من دبّ ودرج، أي: من كان حياً فمضى، ومن مات فطوى أحواله، وقوله:

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي منازل بعضها فوق بعض.

ابن الهائم

الْمُؤْمِنِينَ

السطر ١١ · الآية ١٦٤

الراغب

(مادة منن) المن: ما يوزن به، يقال: منّ، ومنّان، وأمنّان، وربّما أبدل من إحدى النونين ألف فقليل: منّا وأمناء، ويقال لما يقدر: ممنون كما يقال: موزون، والمنّة: النعمة الثقيلة، ويقال ذلك على وجهين: أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل، فيقال: منّ فلان على فلان: إذا أثقله بالنعمة، وعلى ذلك قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾

وَالْحِكْمَةَ

السطر ١٣ · الآية ١٦٤

الراغب

(مادة حكم) ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا

السطر ١٣ · الآية ١٦٥

ابن قتيبة

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ يقول أصابتكم مصيبة يوم "أحد" قد أصبتم مثلها من المشركين يوم "بدر"

الراغب

(مادة صوب) نحو: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾

السطر ١٥ · الآية ١٦٥

قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي إنكم أذنتم فعوقبتم.

أبو عبيدة

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي بخالفتم وذنوبكم. يريد مخالفة الرماة رسول الله ﷺ يوم أحد.

ابن قتيبة

أسباب النزول

الآية ١٦١

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ الآية ١٦١.

الوادعي

قال الإمام الطبراني رحمه الله ج ١٢ ص ١٣٤ حدثنا عبدان بن أحمد ثنا عبد الرحمن بن خالد الرقي ثنا معاوية بن هشام ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي عباس قال بعث نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جيشا فردت رايته ثم بعث فردت بغلول رأس غزال من ذهب فنزلت ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ . قال الهيثمي في المجمع والسيوطي في لباب النقول إن رجاله ثقات.

قال أبو عبد الرحمن الأمر كما قالوا من حيث الرجال ولكن حبيب بن أبي ثابت مدلس ولم يصرح بالتحديث وهو وإن كان قد سمع من ابن عباس وقد أثبت له علي بن المديني لقي ابن عباس كما في جامع التحصيل وأثبت له العجلي السماع من ابن عباس كما في تهذيب التهذيب لكنه مدلس وقد روى عن ابن عباس بواسطتين وهما محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأبوه كما في تحقيق الإلزامات والتتبع ص ٤٨٣ فعلم بهذا أن الحديث ضعيف بهذا السند.

سبب آخر للآية لم يصح أيضا

قال الإمام الطبراني رحمه الله ج ١١ ص ١٠١ حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد النريسي البغدادي ثنا أبو عمر حفص بن عمر المقرئ الدوري^١ ثنا أبو محمد اليزيدي حدثني أبو عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ وكيف لا يكون له أن يغل وله أن يقتل قال الله ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ﴾ ولكن المنافقين اتهموا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في شيء فأنزله الله ﷻ ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ الحديث أخرجه الطبراني في الصغير ج ٢ ص ١٥.

والواحد في أسباب النزول ص ٨٤ والخطيب في تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٧٢.

الحديث رجاله ثقات إلا شيخ الطبراني فلم أجده له ترجمة إلا في تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٧٢ قال الخطيب روى عنه أبو القاسم الطبراني ثم لم يذكر الخطيب فيه جرحا ولا تعديلا. وقد أخرج أبو داود والترمذي نحوه ولكنه من طريق خصيف بن عبد الرحمن قال الحافظ في تخریج الكشاف أعله ابن عدي بن خصيف. اهـ.

^١ حاشية الصحيح المسند من أسباب النزول: في الأصل المقدسي الزورني وفي المعجم الصغير ج ٢ ص ٣٧ وكذا في تاريخ بغداد ج ١ ص ٣٧٢ ما أثبتناه وهو الصحيح كما في غاية النهاية للجزري.

قال أبو عبد الرحمن خفيف ضعفه الأكثرون وقد اضطرب في هذا الحديث فتارة يرسله وتارة يوصله وتارة يقول عن مقسم وتارة يقول عن عكرمة وتارة يقول عن عكرمة أو غيره. راجع تفسير ابن جرير ج ٤ ص ١٥٥.

ثم وجدت له طريقاً صالحاً للحجية قال الإمام البزار رحمه الله كما في كشف الأستار ج ٣ ص ٤٣ حدثنا محمد بن عبد الرحيم ثنا عبد الوهاب بن عطاء ثنا هارون القارئ عن الزبير بن الخريت عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما **﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ﴾** ما كان لنبي أن يتهمة أصحابه. ١. هـ. هارون هو ابن موسى الأزدي العتكي مولاهم أبو عبد الله ويقال أبو إسحاق النحوي البصري الأعور صاحب القراءات وثقه ابن معين وغيره كما في تهذيب التهذيب.

وهذا الأثر وإن لم يكن فيه سبب نزول فإنه يؤيد ما تقدم من سبب النزول عن ابن عباس والله أعلم. [الصحيح المسند، ص ٥١]

المزني ٣٤ سبب النزول:

أخرج أبو داود والترمذي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نزلت هذه الآية **﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ﴾** في قطيفة^١ حمراء فُقدت يوم بدر، فقال بعض الناس لعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذها، فأنزل الله - عز وجل - **﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ﴾** إلى آخر الآية^٢.

دراسة السبب:

هكذا جاء في سبب نزول الآية وقد أورد جمهور المفسرين هذا الحديث عند تفسير الآية منهم الطبري والبغوي وابن عطية والقرطبي وابن كثير وابن عاشور^٣، لكن منهم من تعقبه كالطبري وابن عاشور ومنهم من سكت عنه وهم الباكون.

وقد قال الطبري معقبا: **﴿﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ﴾﴾** بمعنى: ما الغلول من صفات الأنبياء ولا يكون نبياً من غلٍّ، وإنما اخترنا ذلك لأن الله - عز وجل - أوعد عقيب قوله: **﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ﴾** أهل الغلول، فقال: **﴿وَمَنْ يُغْلِلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** ... { الآية والتي بعدها } فكان في وعيده عقيب ذلك أهل الغلول ● الدليل الواضح

^١ حاشية المزني: القطيفة: هي كساء له نَحْل. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤: ٨٤) مادة (قطف).

^٢ حاشية المزني: أخرجه أبو داود، كتاب الحروف والقراءات (٤: ٢٨٠) رقم (٣٩٧١)، والترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران (٥: ١٠٩) رقم (٣٠٠٩) عن قتيبة بن سعيد، وأبو يعلى في المسند (٥: ٦٠) رقم (٢٦٥١)، وابن عدي في الكامل (٣: ٧٢)، من طريق إسحاق بن إبراهيم وابن جرير في التفسير (٣: ١٥٤)، عن عبد الملك بن أبي الشوارب، والطبراني في المعجم (١١: ٣٦٤) رقم (١٢٠٢٨) من طريق عفان بن مسلم، أربعتهم (قتيبة، وإسحاق، وعبد الملك، وعفان) عن عبد الواحد بن زياد عن خفيف عن مقسم عن ابن عباس، وفي حديث عفان جعله عن خفيف عن عكرمة عن ابن عباس.

وأخرجه ابن جرير (٣: ١٥٥)، من طريق عتاب بن بشير، وفي (٣: ١٥٥)، من طريق خلاد وفي (٣: ١٥٥)، من طريق مالك بن إسماعيل. كلاهما خلاد ومالك عن زهير بن معاوية عن خفيف عن عكرمة عن ابن عباس، وقرن مالك في روايته عكرمة بـابن جبير كلاهما عن ابن عباس.

ومن خلال ما تقدم يظهر أن في الإسناد اضطراباً وهو من قبل خفيف بن عبد الرحمن فتارة جعله عن مقسم عن ابن عباس، وتارة جعله عن عكرمة عن ابن عباس، وتارة جعله عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ولهذا قال الإمام أحمد عنه: خفيف شديد الاضطراب في المسند، تهذيب التهذيب (٣: ١٢٤)، وفي التقریب قال ابن حجر: صدوق شيء الحفظ خلط بآخرة (١٧١٨)، وعليه فالحديث

ضعيف لما وقع في إسناده من الاضطراب. ولهذا أورد الحافظ ابن عدي هذا الحديث في ترجمة خفيف من الكامل (٣: ٧٢).

^٣ حاشية المزني: جامع البيان (٤: ١٥٥ - ١٥٧)، معالم التنزيل (١: ٣٦٦)، المحرر الوجيز (٣: ٢٨٤)، الجامع لأحكام القرآن (٤: ٢٥٥)، تفسير ابن كثير (١: ٤٣١)، التحرير والتنوير (٤: ١٥٤، ١٥٥).

على أنه إنما نهى بذلك عن الغلول ● وأخبر عباده أن الغلول ليس من صفات أنبيائه بقوله: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ} لأنه لو كان إنما نهى بذلك أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يتهموا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالغلول لعقب ذلك بالوعيد على التهمة وسوء الظن برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، لا بالوعيد على الغلول، وفي تعقيبه ذلك بالوعيد على الغلول بيان بين، أنه إنما عرّف المؤمنين وغيرهم من عباده أن الغلول منتف من صفة الأنبياء وأخلاقهم؛ لأن ذلك جرم عظيم والأنبياء لا تأتي مثله).

وقد أجاد وأفاد الطاهر بن عاشور حين أشار إلى أن هذا الحديث لا يصح أن يكون سبباً لنزول الآية إذ كيف تفقد القطيفة يوم بدر ولا تنزل الآية لأجل هذا إلا يوم أحد مع أن بين الغزوتين سنة وشهراً إذ كانت بدر في رمضان من السنة الثانية، وأحد في شوال من الثالثة، والآية إنما جاءت في سياق الحديث عن غزوة أحد، فهل يمكن أن يتأخر الجواب عن الحدث هذه المدة؟ هذا ما لم يقع والعلم عند الله تعالى.

فإن قال قائل: إن فقد القطيفة إنما كان يوم أحد فنزلت الآية جواباً لهذا.

فالجواب: أن هذا لا يستقيم أيضاً لأن غزوة أحد لم يقع فيها غلول ولم يكن للمسلمين فيها غنيمة اهد بتصرف.

وهذا القول هو الراجح ويعضده من جهة السند أنه مضطرب، فهاتان علتان في المتن والإسناد.

النتيجة:

أن هذا الحديث المذكور لا يصح أن يكون سبباً لنزول الآية الكريمة لما تقدم فإما أن تكون الآية لم تنزل على سبب أصلاً، أو كان لها سبب لا يندرج ضمن نطاق البحث فإله أعلم. [أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، ص ٦٤]

الآية ١٦٥

الوادي

﴿أَوَلَمْآ أَصَآبَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَآذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية ١٦٥.

قال الإمام أحمد رحمه الله ج ١ ص ٣٠ حدثنا أبو نوح قراد أنبأنا عكرمة ابن عمار حدثنا سمك الحنفي أو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قال نظر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى أصحابه وهو ثلثمائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم القبلة ثم مد يديه وعليه رداؤه وإزاره ثم قال "اللهم أين ما وعدتني، اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبداً" قال فما زال يستغيث ربه ﷻ ويدعوه حتى سقط رداؤه فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذ رداءه فرداه ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا بني الله كفك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك وأنزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَوِّفِينَ﴾ ، فلما كان يومئذ والتقوا فهزم الله ﷻ المشركين، فقتل منهم سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون رجلاً، فاستشار رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم فيكونوا عضداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ما ترى يا بن الخطاب قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر ولكن أرى أن تتمكني من فلان قريباً لعمر فأضرب عنقه، وتمكن عليا رضي الله عنه من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن

حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم فهوى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما قال أبو بكر

رضي الله عنه ولم يهو ما قلت فأخذ منهم الفداء فلما أن كان من الغد قال عمر رضي الله عنه غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإذا هو قاعد وأبو بكر رضي الله عنه وإذا هما يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد تبائكيت لبكائكما قال: فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي عرض على أصحابك من الفداء لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة وأنزل الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْجِرَ فِي الْأَرْضِ﴾ - إلى قوله ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ثم أحل الله لهم الغنائم فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه وأنزل الله تعالى ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ بأخذكم الفداء.

الحديث رجاله رجال الصحيح وقد عزاه ابن كثير والسيوطي لابن أبي حاتم مختصراً وإنما سقته بتمامه لما فيه من العبر.

وسأيت ذكر بعض مخرجيه في سورة الأنفال إن شاء الله. [الصحيح المسند، ص ٥٣]

المزني ٣٥ سبب النزول:

أخرج الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: لما كان يوم بدر قال: نظر النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أصحابه وهم ثلاث مئة ونيف^١، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي - صلى الله عليه وسلم - القبلة، ثم مد يديه، وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: (اللهم أين ما وعدتني؟ اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة^٢ من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبداً) قال: فما زال يستغيث ربه - عز وجل -، ويدعوه حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فرداه ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا نبي الله، كذلك^٣ مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك وأنزل الله - عز وجل -: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

فلما كان يومئذ والتقوا فهزم الله - عز وجل - المشركين فقتل منهم سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون رجلاً فاستشار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبا بكر وعلياً وعمر فقال أبو بكر: يا نبي الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة^٤ والإخوان،

^١ حاشية المزني: نيف: ناف ينوف إذا طال وارتمى، وكل ما زاد على عقد فهو نيف بالتشديد النهاية في غريب الحديث والأثر (٥: ١٤١) مادة (نيف).

^٢ حاشية المزني: العصابة: هم الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين ولا واحد لها من لفظها. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣: ٢٤٣)، مادة (عصب).

^٣ حاشية المزني: كذلك: أي حسبك الدعاء. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤: ١٦١) مادة (كذا).

^٤ حاشية المزني: العشيرة: العامة مثل بني تميم، والعشير القبيلة، ومعشر الرجل أهله. لسان العرب (٤: ٥٧٤) مادة (عشر).

فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوةً لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضداً، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما ترى يا ابن الخطاب؟) قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكيني من فلان - قريباً لعمر - فأضرب عنقه وتمكّن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكّن حمزة من فلان، أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هواده^٢ للمشركين، هؤلاء صناديدهم^٣ وأئمتهم وقادتهم فهوي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد، قال عمر: غدوت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فإذا هو قاعد وأبو بكر وإذا هما يبكيان، فقلت: يا رسول الله،

أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما، قال: فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (الذي عرض علي أصحابك من الفداء، لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة) - لشجرة قريبة - وأنزل الله - عز وجل -: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُبْذَرَ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٧، ٦٨] من الفداء ثم أحل لهم الغنائم فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وكسرت ربايعته، وهشمت^٤ البيضة^٥ على رأسه، وسال الدم على وجهه وأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ بأخذكم الفداء^٦.

دراسة السبب:

هكذا جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة وقد أورد ابن كثير - رحمه الله - هذا في تفسيره^٧ لكنه لم يتعقبه.

^١ حاشية المزيني: العضد: القوة لأن الإنسان إنما يقوى بعضه وكل معين فهو عضد، وعضد الرجل: أنصاره وأعوانه لسان العرب (٣:٢٩٣) مادة (عضد).

^٢ حاشية المزيني: الهوادة: السكوت والرخصة والمحابة. النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (هود) (٥:٢٨١).

^٣ حاشية المزيني: الصنديد: هو الشريف والعظيم والرئيس، وكل عظيم غالب صنديد. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣:٥٥) مادة (صند).

^٤ حاشية المزيني: الهشم: الكسر. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥:٢٦٤) مادة (هشم).

^٥ حاشية المزيني: البيضة: الخوذة. النهاية في غريب الحديث والأثر (١:١٧٢) مادة (بيض).

^٦ حاشية المزيني: أخرجه أحمد في المسند (١:٣٣٤) رقم (٢٠٨) وأصل الحديث صحيح باستثناء قوله: (فلما كان يوم أحد من العام المقبل .. وما بعده) فهذه الزيادة ضعيفة لثلاثة أسباب:

أ - أن جماعة من الثقات روه بدونها منهم عمر بن يونس عند مسلم برقم (١٧٦٣)، وعبد الله بن المبارك عند مسلم في نفس الموضع، والنضر بن محمد عند أبي عوانة في المسند (٤:١٥٦) فكون الثلاثة يتفقون على تركها سهواً أو عمداً بعيد عادة.

ب - أن ابن غزوان أحد الرواة له أفراد ولعل هذا منها، انظر تهذيب التهذيب (٦:٢٢٥).

ج - أن عكرمة بن عمار يامي وكذا عمر بن يونس وقد روي الحديث عن عكرمة بدون الزيادة بخلاف قراد الذي روى الزيادة فليس من أهل بلده. وقد قال حماد بن زيد: بلدي الرجل أعراف بالرجل. الكفاية للخطيب (١:١٣٣)، وقال ابن عدي عن رجل: وهو من أهل بلدنا ونحن أعراف به. الكامل (٣:٣٥٩).

^٧ حاشية المزيني: تفسير ابن كثير (١:٤٢٤).

والصحيح والله أعلم أن هذا لا يصح سبباً لنزول الآية الكريمة لأمرين:

الأول: أنه قد تبين أن هذه الزيادة في قصة أحد مما انفرد بها عبد الرحمن بن غزوان الملقب (بقراد) وخالف فيها الثقات فهي شاذة لا تصح.

الثاني: قوله: فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فيقال: سبحان الله وهل يمكن أن يؤخذ الله أحداً بذنب قد عفا عنه وغفر لصاحبه؟ فإن قيل: وكيف كان هذا؟

فالجواب: ما أنزله الله تعالى في سورة الأنفال في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٥٠ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٥١ فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥٢﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٦٩] فانظر قوله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فالكتاب الذي سبق من الله منع من عذابهم وحال دونه.

وانظر قوله: ﴿فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ فقد أحل ذلك لهم وأذن لهم فيه، وختم ذلك بالمغفرة والرحمة. فهل يصح أن يقال بعد ذلك إن ما أصابكم يوم أحد عقوبة على أخذكم الفداء يوم بدر؟
النتيجة:

أن ما ذكر هنا واعتبر سبباً لنزول الآية لا يصح لشذوذ الزيادة وخلو الأحاديث الصحيحة منها مع ما فيها من مخالفة سياق القرآن، والآية إنما نزلت تتحدث عن قصة أحد وما جرى فيها من هزيمة المسلمين وأسباب ذلك ودواعيه... [أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، ص ٦٥]

أحاديث التفسير

الآية ١٦١

الترمذي (٣٠٠٩)

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ فِي قَطِيفَةٍ حَمْرَاءَ افْتَقَدْتُ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ».

الحكم

حكم الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ

حكم الألباني (من حاشية ت شاكر): صحيح

الدرر السننية — الزيلعي، تخریج الکشاف (١/٢٣٩): [فيه] خفيف ضعفه ابن معين

فوائد وتعليقات

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَيِّ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَنَّاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ
 أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا
 لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلُوبًا فَادَّرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ
 مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ * يَسْتَبْشِرُونَ
 بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ
 الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾
 الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
 فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

الغريب

أَصَبَكُمْ

السطر ١ · الآية ١٦٦

(مادة صوب) ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَى الْجُمُعَانِ﴾

الراغب

الْجُمُعَانِ

السطر ١ · الآية ١٦٦

(مادة جمع) وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَى الْجُمُعَانِ﴾

الراغب

، وقال عليه السلام:

قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا^ص

السطر ٢ · الآية ١٦٧

﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا﴾ يقول: كثّروا فإنكم إذا كثّرتم دفعتم القوم بكثرتكم^١.

ابن قتيبة

لَوْ نَعَلَّمُ قِتَالًا

السطر ٣ · الآية ١٦٧

﴿لَوْ نَعَلَّمُ قِتَالًا﴾ أي لو نعرف قتالا.

أبو عبيدة

يَقُولُونَ

السطر ٤ · الآية ١٦٧

(مادة قول) ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فذكر أفواههم تنبيها على أن ذلك كذب مقول، لا عن صحة اعتقاد كما ذكر في الكتابة باليد^٢، فقالتعالى:

الراغب

بِأَفْوَاهِهِمْ

السطر ٤ · الآية ١٦٧

(مادة فوه) ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ، ومن ذلك: فَوْهَةُ النَّهْرِ، كقولهم: فم النَّهْرِ، وَأَفْوَاهُ الطَّيْبِ. الواحد: فُوهُ

الراغب

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: هذا نص تفسير الفراء في معاني القرآن ١/٢٤٦ وانظره من غير نسبة في تفسير الطبري

٠٧/٣٨٠

^٢ حاشية المحقق على المفردات: النقل هذا حرفيا في البصائر ٤/ ٣٠٤.

السطر ٦ · الآية ١٦٨

فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ

﴿فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ﴾ أي ادفخوا عن أنفسكم.

أبو عبيدة

﴿فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ أي ادفخواه. يقال: درأ الله عنك الشرك أي دفعه.

ابن قتيبة

(مادة درأ) قال تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ ، وقوله:

الراغب

﴿فَادْرَءُوا﴾: فادفعوا^١.

ابن الهائم

السطر ٧ · الآية ١٦٩

سَبِيلَ

(مادة سبل) ﴿قَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

الراغب

السطر ٨ · الآية ١٦٩

أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءَ

﴿أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءَ﴾ أي بل هم أحياء.

أبو عبيدة

(مادة موت) ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءَ﴾

الراغب

فقد قيل: نفي الموت هو عن أرواحهم فإنه نبه على تتعمهم، وقيل: نفي عنهم الحزن المذكور في قوله:

السطر ٨ · الآية ١٦٩

عِنْدَ

(مادة عند) عند: لفظ موضوع للقرب، فتارة يستعمل في المكان، وتارة في الاعتقاد، نحو أن

الراغب

يقال: عِنْدِي كذا، وتارة في الزلفى والمنزلة، وعلى ذلك قوله: ﴿بَلْ أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾

السطر ٨ · الآية ١٦٩

يُرْزَقُونَ

(مادة رزق) ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

الراغب

، أي: يفيض الله عليهم النعم الأخروية، وكذلك قوله:

السطر ٩ · الآية ١٧٠

وَيَسْتَبْشِرُونَ

(مادة بشر) قال تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾

الراغب

^١ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: في الأصل: «فادارءوا: فادفعوا» بزيادة ألف بعد الدال في اللفظين، تحريف. ولم أهتم لقراءة متواترة أو شاذة للفظ «ادارءوا»، والمثبت يتفق وما في الزهدة ٣٣.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يفرحون [زه] وقيل: يبالغون البشري، قال ابن عيسى: الاستبشار: السُّرور بالبخارة.

ابن الهائم

السطر ١٠ · الآية ١٧١

*يَسْتَبْشِرُونَ

(مادة بشر) ﴿يَسْتَبْشِرُونَ يَنْعَمَةٌ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٌ﴾

الراغب

السطر ١٢ · الآية ١٧٢

أَسْتَجَابُوا

(مادة جوب) ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾

الراغب

﴿اسْتَجَابُوا﴾: أجابوا.

ابن الهائم

السطر ١٣ · الآية ١٧٢

الْقَرْحُ

(مادة قرح) الْقَرْحُ: الأثر من الجراحة من شيء يصيبه من خارج، والقَرْحُ: أثرها من داخل كالبرثة ونحوها، يقال: قَرَحَتْهُ نَحْو: جرحته، وقَرَحَ:

الراغب

خرج به قرح^١، وقَرَحَ قلبه وأقرحه الله، وقد يقال الْقَرْحُ للجراحة، والقَرْحُ للألم. قال تعالى:

﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾

﴿الْقَرْحُ... الْجِرَاحُ، وَالْأَلَمُ.

السراج

السطر ١٤ · الآية ١٧٣

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾: وقع المعنى على رجل واحد، والعرب تفعل ذلك، فيقول الرجل: فعلنا كذا وفعلنا، وإنما يعنى نفسه، وفي القرآن: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» (٤٩/٥٤) والله هو الخالق.

أبو عبيدة

(مادة جمع) ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾، قيل: جمعوا آراءهم في التدبير عليكم، وقيل:

الراغب

جمعوا جنودهم. وَجَمِعَ وَاجْمَعُ وَاجْمَعُونَ يستعمل لتأكيد الاجتماع على الأمر، فأما أجمعون فتوصف به المعرفة، ولا يصح نصبه على الحال. نحو

السطر ١٥ · الآية ١٧٣

حَسْبُنَا اللَّهُ

(مادة حسب) ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾، أي:

الراغب

^١ حاشية المحقق على المفردات: انظر: الأفعال ٧٧/٢.

كافينا هو

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾: كافينا.

ابن الهائم

﴿حَسْبُنَا﴾ ... كَافِينًا.

السراج

الْوَكِيلُ

السطر ١٥ · الآية ١٧٣

(مادة وكل) ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾

الراغب

﴿الْوَكِيلُ﴾: الكفيل، وقيل: الكافي (زه) وقيل: الحافظ.

ابن الهائم

وقيل غير ذلك.

أسباب النزول

الآية ١٦٩-١٧١

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ الآيات ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١.

الوادعي

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى ج ١ ص ٢٦٥ ثنا يعقوب ثنا أبي عن ابن إسحاق حدثني إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد عن أبي الزبير المكي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله ﷻ أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتهوي إلى قتاديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب شربهم ومأكلهم وحسن منقلبهم قالوا يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله ﷻ أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله ﷻ هؤلاء الآيات على رسوله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا عبد الله بن إدريس عن محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم نحوه.

قال الحافظ ابن كثير: وهذا أثبت يعني الذي فيه واسطة بين أبي الزبير وابن عباس.

الحديث أخرجه أبو داود ج ٢ ص ٣٢٢ وابن هشام في السيرة ج ٢ ص ١١٩ وابن جرير ج ٤ ص ١٧٠ والحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٨٨ وض ٢٩٧ وابن المبارك في الجهاد ص ٦٠ وقال الحاكم في الموضعين صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي ولا يخفي ما فيه، فإن مسلما لم يخرج لابن إسحاق إلا خمسة أحاديث في المتابعات كما في الميزان ولكنه صحيح لغيره لشواهدة فقد أخرج الحاكم ج ٢ ص ٣٨٧ عن ابن عباس أنها نزلت في حمزة وأصحابه وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

وأخرج الترمذي ج ٤ ص ٨٤ وابن ماجه رقم ١٩٠ ورقم ٢٨٠٠ وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية ص ٧٤ وحسنه الترمذي، عن جابر ﷺ قال: لقيني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: "يا جابر مالي أراك منكسرا" فقلت يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالا ودينا فقال: "ألا أبشرك بما لقي الله به أباك"، قال:

بلى يا رسول الله، قال: "ما يكلم الله أحدا قط إلا من وراء حجابهِ وأحيا أباك فكلمه كفاحاً، فقال: ثَمَّنَ عَلَيَّ أعطيك قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب ﷻ: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون قال وأنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ وهو يدور على موسى بن إبراهيم بن كثير وهو مستور الحال لكن الحديث له شواهد فيحسن كما قال الترمذي رحمه الله. وأخرج ابن جرير بسند حسن ج ٤ ص ١٧٣ وفي التاريخ ج ٣ ص ٣٦ أن سبب نزول الآية قتلى بئر معونة قال العلامة الشوكاني في تفسيره: وعلى كل حال فالآية باعتبار عمومها تعم كل شهيد. [الصحيح المسند، ص ٥٤]

الآية ١٦٩

المزني ٣٦ سبب النزول:

- ١ - أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما أُصيب إخوانكم بأحد، جعل الله - عز وجل - أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي^١ إلى قناديل^٢ من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم^٣، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا، لئلا يزهّدوا في الجهاد، ولا ينكولوا^٤ عن الحرب، فقال الله - عز وجل -: (أنا أبلغهم عنكم) فأنزل الله - عز وجل - هؤلاء الآيات على رسوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾^٥.
- ٢ - أخرج الترمذي وابن ماجه عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - لقيني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

^١ حاشية المزني: تأوي: أي تعود. يُقال أويتُ إلى منزلي أي عدتُ. لسان العرب (١٤:٥١) مادة (أوا).

^٢ حاشية المزني: القنديل: مصباح من زجاج وهو معروف، شرح تاج العروس للزبيدي (٨:٨٨) مادة (قندل).

^٣ حاشية المزني: المقيل والقبولة: الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤:١٣٣) مادة (قيل).

^٤ حاشية المزني: نكل عن الأمر: إذا امتنع. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥:١١٦) مادة (نكل).

^٥ حاشية المزني: أخرجه أحمد في المسند (٤:٢١٨) رقم (٢٣٨٨) من طريق إبراهيم بن سعد، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة (٣:٣٢، ٣٣) رقم (٢٥٢٠) من طريق عثمان بن أبي شيبة، وابن أبي عاصم، كتاب الجهاد (٢:٥١١) من طريق ابن فضيل، وابن أبي عاصم أيضاً (٢:٥١١) من طريق إسماعيل بن عياش وعبد بن حميد في المنتخب من مسنده رقم (٦٧٩) عن يوسف بن بهلول كلاهما (عثمان، وابن بهلول) عن عبد الله بن إدريس نخستهم (إبراهيم بن سعد، وابن المبارك، وابن فضيل، وابن عياش، وابن إدريس) عن ابن إسحاق عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن ابن عباس، إلا أن في حديث عثمان بن أبي شيبة عن ابن إدريس قال عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

فجعل بين أبي الزبير وابن عباس سعيد بن جبير، وبالنظر في هذا الإسناد نجد أنه اختلف على ابن إدريس فرواه يوسف بن بهلول عنه (أي عن ابن إدريس) كرواية الجماعة عن ابن إسحاق بينما رواه عثمان بن أبي شيبة فذكر ابن جبير بين أبي الزبير وابن عباس.

وعثمان بن أبي شيبة وإن كان ثقة فإن له أوهاماً كما في التقريب (٤٥١٣) فيحتمل هنا وهمه في ذكر ابن جبير، وعلى هذا فترجح رواية الجماعة بإسقاط ابن جبير، وعليه فالإسناد منقطع لأن أبا الزبير لم يسمع من ابن عباس، كما في المراسيل لابن أبي حاتم (١٩٣)، وقد روى عبد الرزاق (٥:٢٦٤) رقم (٩٥٥٧) عن ابن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس موقوفاً عليه بلفظ: (أرواح الشهداء تحوّل في طير خضر تعلق من ثمر الجنة، وهذا إسناد صحيح، ومثله لا يُقال من قبل الرأي. وحديث ابن عباس المرفوع مع انقطاعه إلا أنه يعتضد بهذا الموقوف وبما رواه مسلم في صحيحه (٣:١٥٠٢) رقم (١٨٨٧) عن مسروق قال: سألت ابن مسعود عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: (أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش. تسرح من الجنة حيث شاءت. الحديث) فذكره بنحو حديث ابن عباس، ولم يذكر نزول الآية.

فقال لي: (يا جابر مالي أراك منكسراً)^١؟ قلت: يا رسول الله استشهد أبي، وترك عيلاً وديناً، قال: (أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك)؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: (ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكله كفاحاً). فقال: يا عبدي تمنّ عليك أعطك. قال: يا ربّ تحييني فأقتل فيك ثانية. قال الرب - عزّ وجل -: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون وأنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^٣.

دراسة السبب:

هكذا جاء في سبب نزول الآية الكريمة وقد أورد المفسرون هذين السببين وغيرهما وجعلوها سبباً لنزول الآية منهم الطبري والبعوي وابن عطية والقرطبي وابن كثير وغيرهم^٤.

قال ابن عطية بعد أن ساق الأسباب المذكورة في نزول الآية: (كثرت الأحاديث في هذا المعنى واختلفت الروايات، وجميع ذلك جائز على ما اقتضته من هذه المعاني) اهـ.

وقال القرطبي بعد ذكر الأسباب: (وبالجملة وإن كان يحتمل أن يكون النزول بسبب المجموع فقد أخبر الله تعالى فيها عن الشهداء أنهم أحياء في الجنة يرزقون ولا محالة أنهم ماتوا وأن أجسادهم في التراب وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين، وفضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم) اهـ.

والظاهر والله تعالى أعلم أن حديث جابر في قصة والده عبد الله بن عمرو بن حرام لا تصح سبباً لنزول الآية:

أولاً: لما تبين من اعتلال إسناده وضعفه.

ثانياً: أن سياق الآيات لا يعين على ذلك لأن الله يتحدث عن هؤلاء الشهداء بصيغة الجمع فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ

^١ حاشية المزني: كسر: أي قتر، وكل من عجز عن شيء فقد انكسر عنه، لسان العرب (٥:١٣٩) مادة (كسر).

^٢ حاشية المزني: كفاحاً: أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤:١٨٥) مادة (كفح).

^٣ حاشية المزني: أخرجه الترمذي، أبواب تفسير القرآن (٥:١١٠) رقم (٣٠١٠)، وابن ماجه، المقدمة رقم الحديث (١٩٠) (١:٦٨) وانظر له، كغلب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله (٢:٩٣٦) رقم (٢٨٠٠)، وابن حبان (١٥:٤٩٠)، والحاكم (٢:٢٠٣) من طرق عن موسى بن إبراهيم بن بشير عن طلحة بن خراش عن جابر - رضي الله عنه -

وفي هذا الإسناد: موسى بن إبراهيم، وثقه ابن حبان، وقال: كان ممن يخطئ كما في الثقات (٧:٤٤٩)، وقال الذهبي في الميزان (٤:١٩٩) صالح، وفي التقریب: صدوق يخطئ (٦٩٤٢)، وشيخ موسى أيضاً طلحة بن خراش، صدوق كما في التقریب (٣٠١٩)، وقد ذكر الأزدی أنه روى عن جابر مناكير كما في تهذيب التهذيب (٥:١٤)، فلعل سبب قول الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم لأجل ما في إسناده من الضعف، وتفرّد هذين الراويين به.

وقد توبع طلحة بن خراش عند الإمام أحمد (٢٣:١٦٣) رقم (١٤٨٨١)، وأبو يعلى (٤:٦) رقم (٢٠٠٢) من قبل عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر، إلا أن في حديثه اختصاراً، ولم يذكر فيه أن الآية نزلت في شأن والد جابر - رضي الله عنهما -، وقد أشار الترمذي إلى ما وقع في رواية ابن عقيل من الاختصار فقال: "وقد روى عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر شيئاً من هذا" اهـ. على أن عبد الله بن محمد بن عقيل متكلم فيه، وخلاصة حاله ما قاله ابن حجر في التقریب (٣٥٩٢): صدوق في حديثه لين. فالحديث لا يثبت وأن الآية في والد جابر - رضي الله عنهما - وما يؤيد عدم ثبوت ذلك ما تقدم في حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - وهو أقوى إسناداً من هذا خصوصاً وأن له شاهداً عند مسلم كما تقدم وهو أن الآية نزلت في شهداء أحد كلهم - رضي الله عنهم - والله أعلم.

^٤ حاشية المزني: جامع البيان (٤:١٧٠ - ١٧٤)، معالم التنزيل (١:٣٧٠)، المحرر الوجيز (٣:٢٩٤)، الجامع لأحكام القرآن (٤:٢٦٨)، (٢٦٩)، تفسير القرآن العظيم (٤:٢٦، ٤:٢٧).

الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١] وهذا يصدق على الجماعة دون الواحد، فضمائر الجمع كثيرة في الآيات المتقدمة مما يبعد إرادة الواحد.

أما حديث ابن عباس: فهو وإن كان فيه انقطاع بين أبي الزبير وابن عباس إلا أنه مؤيد بما روى مسلم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - وبما روى عبد الرزاق بإسناد صحيح إلى ابن عباس موقوفاً عليه.

وسياق الآيات يدل على ذلك فإن الشهداء في حديث ابن عباس قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا} ... {مرغباً لهم في الجهاد مبيناً لهم عاقبته وأثره مخبراً لهم عن حياة وسعادة من ماتوا عليه، بخلاف حديث عبد الله بن حرام الذي ليس فيه إلا سؤاله أن يعيده الله ثانية لأجل الجهاد. النتيجة:

أن حديث جابر - رضي الله عنه - ليس سبباً لنزول الآية لما في سنده من الضعف وعدم موافقته لسياق الآيات، أما حديث ابن عباس فهو وإن تكلم في سنده إلا أن له شواهد تجبره ومع هذا فلفظ الآيات يوافقه وأقوال المفسرين تؤيده والله أعلم. [أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، ص ٦٦]

الآية ١٧٢-١٧٤

الوادي

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ الآيات ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤.

قال الإمام الطبراني رحمه الله ج ١١ ص ٢٧٤ حدثنا علي بن عبد الله ثنا محمد بن منصور الجواز ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس.

وقال سفيان مرة أخرى أخبرني عكرمة قال لما انصرف أبو سفيان والمشركون عن أحد وبلغوا الروحاء قالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتهم شر ما صنعتم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فندب الناس فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد أو بئر أبي عيينة فأنزل الله ﷻ ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ وقد كان أبو سفيان قال للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم موعدك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا فأما الجبان فرجع وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة فأتوه فلم يجدوا به أحدا وتسوقوا فأنزل الله ﷻ ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ﴾ الحديث قال الحافظ الهيثمي في المجمع ج ٦ ص ١٢١ رواه الطبراني

ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز وهو ثقة. كذا في المعجم وفي المجمع الجواز وفي تهذيب التهذيب الطوسي فلعل له نسبتين كما قال ابن الأثير رحمه الله في ترجمة محمد بن عبد الله بن إسحاق الجواز الطوسي قال وهذه النسبة إلى عديد الجوز فيما يظن. اهـ. وقال السيوطي في لباب النقول إن سنده صحيح.

وقال الحافظ في الفتح ج ٩ ص ٢٦٩ أخرجه النسائي^١ وابن مردويه ورجاله رجال الصحيح إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة ليس فيه عن ابن عباس ومن الطريق المرسلة أخرجه ابن أبي حاتم وغيره. اهـ.

قلت: فعلى قول الحافظ ابن حجر رحمته الله يكون الوصل شاذاً والذي أرسله هو محمد بن عبد الله بن يزيد المقرني كما في تفسير ابن كثير.

والذي وصله محمد بن منصور الطوسي وكلاهما قال الحافظ في التقريب إنه ثقة فإذا لم يتابع أحدهما حمل أن سفيان بن عيينة تارة يرويه متصلاً وتارة يرسله كما تفيد به رواية الطبراني ويصح الحديث والحمد لله.

وقال الحافظ في الفتح ج ٩ ص ٢٦٩ أخرجه النسائي وابن مردويه ورجاله رجال الصحيح إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة ليس فيه عن ابن عباس ومن الطريق المرسلة أخرجه ابن أبي حاتم وغيره. [الصحيح المسند، ص ٥٦]

الآية ١٧٢

المزني ٣٧ سبب النزول:

١ - أخرج النسائي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما انصرف المشركون عن أحد وبلغوا الروحاء^٢ قالوا لا محمداً قتلتموه ولا الكواعب^٣ أردفتم^٤ وبئس ما صنعتم ارجعوا، فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فندب^٥ الناس، فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد^٦ وبئر أبي عتبة^٧ فأنزله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ وقد كان أبو سفيان قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - موعذك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أهبته^٨ القتال والتجارة فلم يجدوا بها أحداً وتسوقوا^٩ فأنزله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤] ١٠.

^١ حاشية الصحيح المسند من أسباب النزول: أخرجه النسائي في التفسير ج ١ ص ٣٩.

^٢ حاشية المزني: انظر في تعريفها السبب رقم (١).

^٣ حاشية المزني: الكواعب: جمع كاعب وهي المرأة حين يبدو ثديها للنهود. النهاية في غريب الحديث والأثر (١٧٩: ٤) مادة (كعب).

^٤ حاشية المزني: أردفه: ركب خلفه. لسان العرب (٩: ١١٥) مادة (ردف).

^٥ حاشية المزني: ندبته فانتدب: أي بعثته ودعوته فأجاب. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥: ٣٤) مادة (ندب).

^٦ حاشية المزني: حمراء الأسد: الأسد أحد الأسد بالمد والإضافة وهو موضع على ثمانية أميال من المدينة، إليه انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في طلب المشركين. معجم البلدان (٢: ٣٤٦) رقم (٣٩٠٨).

^٧ حاشية المزني: لم أجد تعريفاً لبيتر تحمل هذا الاسم وربما كان الصواب بئر أبي عتبة: بلفظ واحدة العنب بينها وبين مدينة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقدار ميل. معجم البلدان (١: ٣٥٧) رقم (١٢٢٩)، وقد وقع في تفسير ابن أبي حاتم أو بئر أبي عتبة. قال الراوي الشك من سفيان (٣: ٨١٦). وهو خطأ لأنه يستلزم رجوع المشركين إلى المدينة والعكس هو الصحيح، أنهم ذهبوا إلى مكة.

^٨ حاشية المزني: أهبته: الهباب: النشاط، وهب يهب أي انتبه. لسان العرب (١: ٧٧٨) مادة (هب).

^٩ حاشية المزني: تسوق القوم: إذا باعوا واشتروا. لسان العرب (١٠: ١٦٧) مادة (سوق).

^{١٠} حاشية المزني: أخرجه النسائي في الكبرى كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ (٦: ٣١٧) رقم (١١٠٨٣).

وهذه الرواية فيها نظر لأن محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ خالف محمد بن منصور فرواه عن سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة مرسلًا، ويؤيد هذا أن الحكم بن أبان صدوق له وأهام التقريب (١٤٣٨) تابع المقرئ متابعه قاصرة فرواه عن عكرمة مرسلًا. انظر تفسير ابن أبي حاتم (٣: ٨١٦) وقال ابن حجر: رجاله رجال الصحيح إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة ليس فيه ابن عباس وفي الطريق المرسلة أخرجه ابن أبي حاتم وغيره. فتح الباري (٨: ٧٧).

٢ - وأخرج البخاري عن عائشة - رضي الله عنها : ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ . قالت لعروة: يا ابن أختي، كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه

المشركون، خاف أن يرجعوا، قال: (من يذهب في إثرهم) ^١ فانتدب منهم سبعون رجلاً، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير ^٢.

دراسة السبب:

هكذا جاء في سبب نزول الآية وقد أورد المفسرون ما تقدم وجعلوه سبب نزولها منهم الطبري والبغوي وابن عطية والقرطبي وابن كثير وغيرهم ^٣، وحجتهم في ذلك حديث عائشة - رضي الله عنها - المتقدم عند البخاري. قال الطبري: (إنما عنى الله تعالى ذكره بذلك الذين اتبعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى حمراء الأسد في طلب العدو أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش منصرفهم عن أحد وذلك أن أبا سفيان لما انصرف عن أحد خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أثره حتى بلغ حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة ليرى الناس أن به وأصحابه قوة على عدوهم) اهـ.

وقال ابن عطية: (والمستجيبون لله والرسول هم الذين خرجوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى حمراء الأسد في طلب قريش وانتظارهم لهم وذلك أنه لما كان في يوم الأحد وهو الثاني من يوم أحد نادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الناس باتباع المشركين وقال: لا يخرج معنا إلا من شاهدنا بالأمس وكانت بالناس جراحة وقرح عظيم ولكن تجلدوا... إلى أن قال فأنزل الله تعالى في شأن أولئك المستجيبين هذه الآية ومدحهم لصبرهم) اهـ بتصرف.

ومما يؤيد القول بأنها نزلت في هذه القصة قول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - عند شرحه لحديث عائشة حيث قال: (قوله باب: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي سبب نزولها وأنها تتعلق بأحد) ^٤ اهـ. أما ما أخرجه النسائي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - فقد تقدم أن الصحيح فيه أنه من مرسل عكرمة لكنه يعتضد ويقوى بحديث عائشة.

وإذا نظرت في حديث عائشة وصحة سنده وضمنت إليه حديث ابن عباس وما فيه من التصريح بنزول الآية وجمعت الحديثين إلى سياق القرآن تبين لك أن سبب نزولها ما جرى من استجابة الصحابة لله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - في اتباع المشركين من بعد ما أصابهم القرع وعلى هذا جرى المفسرون.

أما سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ﴾ .. { الآية فستأتي دراسته إن شاء

^١ حاشية المزيبي: إثرهم: أي بعدهم. خرجت في إثره وفي أثره أي بعده. لسان العرب (٤:٥) مادة (أثر).

^٢ حاشية المزيبي: أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (٤:١٤٩٧) رقم (٣٨٤٩).

^٣ حاشية المزيبي: جامع البيان (٤:١٧٦)، معالم التنزيل (١:٣٧٣، ٣٧٤)، المحرر الوجيز (٣:٢٩٦)، الجامع لأحكام القرآن (٤:٢٧٧).

(٢٧٨)، تفسير القرآن العظيم (١:٤٢٨).

^٤ حاشية المزيبي: فتح الباري (٧:٤٣٢).

الله تعالى في النص الذي يليه.
النتيجة:

أن سبب نزول الآية الكريمة ثناء الله سبحانه على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أجابوه لما نذبههم للحاق المشركين مع ما فيهم من الجراح والآلام إظهاراً للجلد والقوة وإرهاباً لأعداء الله وذلك لدلالة سياق القرآن، واتفاق المفسرين، مع ما في الحديثين مجتمعين من صحة السند والتصريح بالنزول والله أعلم. [أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، ص ٦٧]

أحاديث التفسير

الآية ١٦٩

الترمذي (٣٠١٠)

سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: «لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي: يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَشْهَدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدِينًا، قَالَ: أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُخَيِّبُنِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ. قَالَ: وَأَنْزَلْتَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾».

الحكم

حكم الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ

حكم الألباني (من حاشية ت شاكر): حسن

الدرر السنية — أبو نصر السجزي الوائلي، الإبانة للسجزي (٢/ ٢٤٨): غريب حسن

الدرر السنية — الوادعي، صحيح أسباب النزول (٦٤): يدور على موسى بن إبراهيم بن كثير وهو مستور الحال لكن الحديث له شواهد فيحسن كما قال الترمذي

الترمذي (٣٠١١)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ «سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَّقُونَ» فَقَالَ: أَمَّا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي طَيْرٍ خُضِرَ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ أَطْلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئًا فَازِيدُكُمْ؟ قَالُوا: رَبَّنَا وَمَا تَسْتَزِيدُ وَنَحْنُ فِي الْجَنَّةِ نَسْرَحُ حَيْثُ شِئْنَا؟ ثُمَّ أَطْلَعَ عَلَيْهِمُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ: هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئًا فَازِيدُكُمْ؟ فَلَمَّا رَأَوْا

أَنَّهُمْ لَا يُتْرَكُونَ، قَالُوا: تُعِيدُ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَنُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى».

الحكم

حكم الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

حكم الألباني (من حاشية ت شاكر): صحيح

الدرر السنية — الألباني، صحيح الترمذي (٣٠١١): صحيح

الآية ١٧٣

البخاري (٤٥٦٣)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٤٥٦٣): [صحيح]

البخاري (٤٥٦٤)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ».

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٤٥٦٤): [صحيح]

الدرر السنية — الدارقطني، علل الدارقطني (١٨٩٣): [حكى فيه الخلاف على أبي حُصَيْنٍ، ثُمَّ قَالَ]: وَخَالَفَهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبَّاسٍ، رَوَاهُ عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ الصَّحِيحُ. الصَّحِيحُ حَدِيثُ أَبِي الضُّحَى، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

النسائي في الكبرى (١١٠١٥)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "كَانَ آخِرَ كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، قَالَ: وَقَالَ نَبِيُّكُمْ ﷺ مِثْلَهَا ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]

الحكم

الدرر السنية — الدارقطني، علل الدارقطني (١٨٩٣): [حكى فيه الخلاف على أبي حُصَيْنٍ، ثُمَّ قَالَ]: وَخَالَفَهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبَّاسٍ، رَوَاهُ عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ الصَّحِيحُ. الصَّحِيحُ حَدِيثُ أَبِي الضُّحَى، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٤٥٦٤): [صحيح]

النسائي في الكبرى (١١٠١٦)

عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَذَكَرَ إِسْنَادًا آخَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ، وَصَاحِبُ

الصُّورَ قَدْ اتَّخَذَ الْقَرْنَ وَأَصْغَى بِسَمْعِهِ وَحَنَّا بِجَبْهَتِهِ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نَقُولُ؟
قَالَ: ” قُولُوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ”

الحكم

الدرر السنية — الدارقطني، أطراف الغرائب (٢/٣٧١): تَفَرَّدَ بِهِ مُوسَى بْنُ أَعْيُنٍ عَنِ الْأَعْمَشِ جَمَعَ بَيْنَ الْإِسْنَادِ وَفِيهِ ذِكْرُ عَطِيَّةٍ عَنِ الْخَدْرِيِّ.

فوائد وتعليقات

فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلْ لَّمْ يَمَسَّ هُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا
 رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ
 يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۖ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾
 وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ
 شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ
 شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا
 نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ
 عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ
 عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ
 عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُّسُلِهِ ۚ مَنْ يَشَاءُ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ
 وَرُسُلِهِ ۚ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ
 الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَاءِ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ
 بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ ۚ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ
 مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

الغريب

فَانْقَلَبُوا

السطر ١ · الآية ١٧٤

﴿فَانْقَلَبُوا﴾ ... رَجَعُوا.

السراج

بِنِعْمَةٍ

السطر ١ · الآية ١٧٤

(مادة نعم) ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾

الراغب

إلى غير ذلك من الآيات. والإنعام: إيصال الإحسان إلى الغير، ولا يقال إلا إذا كان الموصل إليه من جنس الناطقين، فإنه لا يقال أنعم فلان على فرسه

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ

السطر ٢ · الآية ١٧٥

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي يخوفكم بأوليائه كما قال: ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾^١ أي لينذركم ببأس [شديد].

ابن قتيبة

(مادة خوف) ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، أي: فلا تأتمروا للشيطان واثمروا لله، ويقال: تخوفناهم أي: تنقصناهم تنقضا اقتضاه الخوف منه

الراغب

يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا

السطر ٥ · الآية ١٧٦

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا﴾ أي نصيبا.

أبو عبيدة

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ

السطر ٧ · الآية ١٧٨

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ :

أبو عبيدة

ألف «أن» مفتوحة، لأن «يحسن» قد عملت فيها، «وما» : في هذا الموضع بمعنى «الذي» فهو اسم، والمعنى من الإملاء ومن الإطالة، ومنها قوله:

«وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا» (٤٤ / ١٩) : أي دهرا وتمليت حبيبكوا الملوان: النهار والليل كما ترى، قال ابن مقبل:

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الكهف ٠٢.

ألا يا ديار الحىّ بالسَّبعان ... أملّ عليها بالبلبي الملوّان^١
يعنى الليل والنهار، و «أملّ عليها بالبلبي»: أي رجع عليها حتى أبلاها، أي طال عليها، ثم استأنفت الكلام فقلت:

﴿نُمْلِيْ لَهُمْ﴾ أي نُطِيلْ لَهُمْ. يعني الإمهال والنَّظَرَة. ومنه قوله: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾^٢.

ابن قتيبة

(مادة مَلَا) قال تعالى: ﴿أَنَّمَا نُكَلِّمُ لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ﴾

الراغب

. وأصل أُمليت: أُمليت، فقلب تخفيفا

﴿أَنَّمَا نُكَلِّمُ لَهُمْ﴾: نُطِيلْ لَهُم المدة.

ابن الهائم

﴿نُمْلِيْ﴾ ... نُمْلِهِمْ بِطُولِ الْبَقَاءِ.

السراج

إِنَّمَا نُمْلِيْ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا^ط

السطر ٨ · الآية ١٧٨

﴿إِنَّمَا نُمْلِيْ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ فكسرت ألف «إنما» للابتداء فإنما أبقيناهم إلى وقت آجالهم ليزدادوا إثما وقد قيل في الحديث: الموت خير للمؤمن للنَّجاة من الفتنة، والموت خير للكافر لثلاث: يزداد إثما.

أبو عبيدة

عَذَابٌ مُّهِينٌ^و

السطر ٩ · الآية ١٧٨

﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: فذلك من الهوان.

أبو عبيدة

(مادة هان) ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

الراغب

حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ^ف

السطر ١٠ · الآية ١٧٩

﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ يقول: حتى يَخْلَصَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكُفَّارِ.

ابن قتيبة

(مادة خبث) وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، أي: الأعمال الخبيثة من الأعمال الصالحة، والنَّفوس الخبيثة من النَّفوس الزَّكِيَّة. وقال تعالى: وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْثَ

الراغب

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: ابن مقبل هو تميم بن أبي بن مقبل، شاعر مخضرم، انظر ترجمته في الإصابة رقم ٨٦٢، والخزانة ١/ ١١٣. - والبيت في الكتاب ٢/ ٣٥١- وإصلاح المنطق ٤٣٦ وتهذيب الألفاظ ٥٠٠ والطبري ٤/ ١٢٣ والسمط ٥٣٣ والروض ١/ ٢٦ والافتضاب ٤٧٢ والشتنمري ٢/ ٣٢٢ واللسان (سبع) والعيني ٤/ ٤٥٤، ٥٧٩ والخزانة ٢/ ٢٧٥. ونسبه الحصري في زهر الآداب (٤/ ٦٨) إلى أعرابي من بنى عقيل، ويقاوت في معجم البلدان إليه في قول، وإلى ابن أحرر في قول آخر ٣/ ٣٣٣. - والسبعان: بفتح أوله وضم ثانيه، وآخره نون متصل من ثنية السبع، قال ياقوت: قال أبو منصور هو موضع معروف في ديار قيس نصر، السبعان: جبل قبل فلج وقيل واد شمالي سلم عنده جبل يقال له العبد.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة مريم ٤٦.

﴿يُمَيِّزُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾^١: أي يخلص المؤمنين من الكفار (زه) ويميز ونميز بمعنى.

ابن الهائم

الْغَيْبُ

السطر ١١ · الآية ١٧٩

(مادة غيب) ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾

الراغب

يَجْتَنِي مِنْ رُسُلِهِ

السطر ١١ · الآية ١٧٩

﴿يَجْتَنِي مِنْ رُسُلِهِ﴾: يختار.

أبو عبيدة

«وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ» (١٨٠): انتصب، ولم تعمل «هو» فيه، وكذلك كل ما وقفت فيه فلم يتم إلا بخبر نحو: ما ظننت زيدا هو خيرا منك، وإنما نصبت «خيرا»، لأنك لا تقول: ما ظننت زيدا، ثم تسكت وتقول: رأيت زيدا فيتم [الكلام]، فلذلك قلت: هو خير منك فرفعت وقد يجوز في هذا النصب.

﴿يَجْتَنِي﴾: يختار [زه] وأصل الاجتناء: الجمع، ومنه الجابية كأنه يجعل الشيء له بأجمعه.

ابن الهائم

﴿يَجْتَنِي﴾ ... يَصْطَفِي.

السراج

سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

السطر ١٤ · الآية ١٨٠

﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾: يلزمون، كقولك طوقته الطوق.^٢

أبو عبيدة

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي يلزم أعناقهم إثمهم. ويقال: هي الزكاة يأتي مانعها يوم القيامة قد طوق شجاعاً أقرع يقول: أنا الزكاة^٣.

ابن قتيبة

(مادة طوق) أصل الطوق: ما يجعل في العنق، خلقة كطوق الحمام، أو صنعة كطوق الذهب والفضة، ويتوسع فيه فيقال: طوقته كذا، كقولك: قلدته.

الراغب

قال تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ﴾

، وذلك على التشبيه، كما روي في الخبر «يأتي أحدكم يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان فيتطوق به فيقول أنا الزكاة التي منعتني»^٤، والطاقة: اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة،

^١ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: قرأ يميز بفتح الباء وكسر الميم والتخفيف هنا وفي الأنفال/ ٣٧ أبو عمرو ونافع وأبو جعفر وابن كثير وعاصم وابن عامر. وقرأ غيرهم من العشرة يميز بضم الياء وفتح الميم وتشديد الياء (المبسوط ١٤٩، ١٥٠).

^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «سيطوقون ... الطوق»: رواه ابن حجر في فتح الباري ١٧٣/ ٨ عن أبي عبيدة.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: راجع الأحاديث في ذلك، في الدر المنثور ٢/ ١٠٥ وتفسير الطبري ٣٧/ ٤٧.

^٤ حاشية المحقق على المفردات: الحديث ذكره المؤلف بمعناه، فقد جاء عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالا فلم

وذلك تشبيه بالطوق المحيط بالشيء، فقوله:

﴿سَيَطُوقُونَ مَا خَلُّوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: قال النبي - ﷺ: «يأتي كنز أحدكم شجاعا أقرع له زبيبتان فيطوق في حلقة فيقول: أنا الزكاة التي منعتني، ثم ينهشه»^١ (زه) وقال المؤرج^٢: يلزمون أعمالهم مثلها يلزم الطوق العنق. وقال ابن بحر^٣: سيكون عليهم وباله فيصير طوقا في العنق.

ابن الهائم

مِيرَاثُ

السطر ١٥ · الآية ١٨٠

(مادة ورث) قال الله تعالى:

الراغب

﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

أسباب النزول

الآية ١٧٤

سبب النزول:

المزي ٣٨

أخرج النسائي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما انصرف المشركون عن أحد وبلغوا الروحاء قالوا: لا محمداً قتلتموه ولا الكواعب أردفتم وبئس ما صنعتم، ارجعوا فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فندب الناس فالتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد وبئر أبي عتبة فأنزله الله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ وقد كان أبو سفيان قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - موعداً موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع، فأخذ أهبّة القتال والتجارة فلم يجدوا بها أحداً وتسوقوا فأنزل الله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾^٤.

دراسة السبب:

هكذا جاء عن عكرمة في سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ {..} الآية وبهذا قال مجاهد أيضاً ● لكن هذا مخالف لقول جمهور المفسرين وغيرهم من العلماء ولهذا قال ابن عطية: (وشذ مجاهد رحمه الله - فقال: إن

يؤدّ زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شذقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا: لَا يَحْسِنُ الَّذِينَ يَخْلَوْنَ ... الآية، سورة آل عمران: آية ١٨٠. أخرجه البخاري ٣/ ٢١٤ في الزكاة.

^١ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: انظر: صحيح البخاري كتاب الزكاة ٣/ ٨ رقم ١٢٧٠ باختلاف. وفي هامشه: الشجاع هنا: الذكر من الحيات، وإنما كان أقرع لكثرة سمه حتى أسقط شعره. وزبيبتاه: النكتتان السوداءوان فوق عينيه. وما كان كذلك كان أحبب الحيات. وانظر كذلك جمع الفوائد ١/ ٢١٣، والدر المنثور ٢/ ١٨٤، ١٨٥.

^٢ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: هو أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي، أحد أئمة اللغة والتفسير، بصري أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وشعبة والخليل، ثم سكن نيسابور. ومن مصنفاته «غريب القرآن» وتوفي سنة ١٩٥ هـ. (تاريخ الإسلام ٥/ ٥٤٩، ٥٥٠. وانظر: طبقات المفسرين ٢/ ٣٤٠، ٣٤١، ومقدمة الدكتور رمضان عبد التواب لكتاب الأمثال لمؤرج).

^٣ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: هو علي بن إبراهيم بن سلمة بن بحر أبو الحسن القطان القزويني محدث قزوين وعالمها. كان ذا باع طويل في التفسير والفقه والنحو واللغة. مات سنة خمس وأربعين وثلاث مائة. (طبقات المفسرين ١/ ٣٨٢-٣٨٨، وتاريخ الإسلام ٩/ ٥٥٠، ٥٥١، والعبر ٢/ ٢٧٤، ٢٧٥، وشذرات الذهب ٢/ ٣٧).

^٤ حاشية المزي: تقدم تحريجه والحكم عليه وتفسير غريبه في النص الذي سبقه.

هذه الآية من قوله: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ} إلى قوله ﴿فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ إنما نزلت في خروج النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى بدر الصغرى، وذلك أنه خرج لميعاد أبي سفيان في أحد إذ قال: موعدنا بدر من العام المقبل فقال النبي

- صلى الله عليه وسلم -: قولوا: نعم. نفرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل بدر وكان بها سوق عظيم، فأعطى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أصحابه دراهم وقرب من بدر فجاءه نعيم بن مسعود الأشجعي فأخبره أن قريشاً قد اجتمعت وأقبلت لحربه هي ومن انضاف إليها، فأشفق المسلمون من ذلك لكنهم قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وصمموا حتى أتوا بدرًا فلم يجدوا عدوًّا ووجدوا السوق فاشتروا بدراهمهم أدمًا وتجارة وانقلبوا ولم يلقوا كيداً وربحوا في تجارتهم فذلك قوله تعالى: ﴿يَنْعَمُ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ أي فضل في تلك التجارة والصواب ما قاله الجمهور أن هذه الآية نزلت في غزوة حراء الأسد^١ اهـ.

وقال القرطبي: (وشد مجاهد وعكرمة رحمهما الله تعالى فقالا: إن هذه الآية من قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ إلى قوله ﴿عَظِيمٍ﴾ إنما نزلت في خروج النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى بدر الصغرى^٢ ثم ذكر ما تقدم عن ابن عطية.

وقد ساق ابن القيم - رحمه الله - ما جرى سياقاً جميلاً مرتباً فقال: (ولما انقضت الحرب انكفأ المشركون، فظن المسلمون أنهم قصدوا المدينة لإحراز الذراري والأموال فشق ذلك عليهم فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لعلي - رضي الله عنه -: (أخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون، فإن هم جنَّبوا الخيل وامتنطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم ثم لأناجزنهم فيها). قال علي: نفرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجنَّبوا الخيل، وامتنطوا الإبل ووجهوا إلى مكة، ولما عزموا على الرجوع إلى مكة أشرف على المسلمين أبو سفيان، ثم ناداهم: موعدكم الموسم ببدر فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (قولوا نعم قد فعلنا) قال أبو سفيان: (فذلكم الموعد) ثم انصرف هو وأصحابه فلما كان في بعض الطريق، تلاوموا فيما بينهم، وقال بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئاً، أصبتم شوكتهم وحدهم، ثم تركتموهم وقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم فارجعوا حتى نستأصل شأقتهم، فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنادى في الناس، وندبهم إلى المسير إلى لقاء عدوهم وقال: (لا يخرج معنا إلا من شهد القتال) فقال له عبد الله بن أبي: أركب معك؟ قال: (لا) فاستجاب له المسلمون على ما بهم من القرح الشديد والخوف، وقالوا: سمعاً وطاعة. واستأذنه جابر بن عبد الله وقال: يا رسول الله إني أحب ألا تشهد مشهداً إلا كنت معك وإنما خلفني أبي على بناته فأذن لي أسير معك فأذن له فصار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون معه حتى بلغوا حراء الأسد) وأقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسلم فأمره أن يلحق بأبي سفيان فيخذه، فلحقه بالروحاء ولم يعلم بإسلامه، فقال: ما وراءك يا معبد؟ فقال: محمد وأصحابه، قد تحرقوا

^١ حاشية المزيني: المحرر الوجيز (٣: ٢٩٩).

^٢ حاشية المزيني: الجامع لأحكام القرآن (٤: ٢٧٩).

عليكم وخرجوا في جمع لم يخرجوا في مثله. وقد ندم من كان تخلف عنهم من أصحابهم، فقال: ما تقول؟ فقال: ما أرى أن ترتحل حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة. فقال أبو سفيان: والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم. قال: فلا تفعل، فإني لك ناصح، فرجعوا على أعقابهم إلى مكة، ولقي أبو سفيان بعض المشركين يريد المدينة، فقال: هل لك أن تبلي محمدًا رسالةً، وأوفر لك راحلتك زبيباً إذا أتيت إلى مكة؟ قال: نعم. قال: أبلغ محمدًا أنا قد أجمعنا الكرة لنستأصله ونستأصل أصحابه، فلما بلغهم قوله قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} ^١.

فتبين بما ذكره ابن عطية والقرطبي، شذوذ ما ذكره عن مجاهد وعكرمة رحمهما الله تعالى، من أن السبب خروج النبي - (ص) - إلى بدر الصغرى.

وتبين بما ذكره ابن القيم أن ذلك حصل عند خروجهم إلى حمراء الأسد، وإن كان قد ذكر أن أبا سفيان قد ناداهم فقال: موعدكم الموسم ببدر، وهو ما ذكره عكرمة أيضاً في الحديث الذي معنا، لكن عكرمة جعله سبب النزول، وابن القيم وغيره جعلوه موعداً، وسبب النزول خروجهم إلى حمراء الأسد. والله أعلم. فإن قيل: ما الدليل الصحيح على هذا الترجيح؟

فالجواب: أن الدليل ما تقدم في حديث عائشة عند البخاري في استجابتهم لله والرسول وسياق الآيات واحد لا يختلف في خروجهم ثم تخويفهم ثم توكلهم على الله ثم انقلابهم بالنعمة والفضل.

النتيجة:

أن الآية الكريمة نزلت لما استجابوا وخرجوا للقتال بعد تحذيرهم وتخويفهم منه فلم يفت ذلك في عزيمتهم بل زادهم إيماناً بتوكلهم على الله وكانت العاقبة السارة لهم حيث انقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء بل واتبعوا رضوان الله والله عظيم الفضل والإحسان حيث قادهم إلى مواقع فضله ورحمته في خروجهم إلى حمراء الأسد وإنما اخترت هذا لدلالة السياق القرآني عليه والموافقة بين تاريخ النزول وزمن القصة. والله أعلم. [أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، ص ٦٨]

أحاديث التفسير

الآية ١٧٤

النسائي في الكبرى (١١٠١٧)

عَنْ عُرْمَةَ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ عَنْ أُحُدٍ وَبَلَّغُوا الرِّوَحَاءَ، قَالُوا: لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمُوهُ، وَلَا الْكُوَاعِبَ أَرَدْتُمْ، وَبَسَّ مَا صَنَعْتُمْ أَرْجِعُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَبَّ النَّاسَ فَاتَّبَعُوا حَتَّى بَلَغُوا حَمْرَاءَ الْأَسَدِ وَبَرَّ أَبِي عَنبَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢] وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَوْعِدُكَ مَوْسِمَ بَدْرٍ حَيْثُ قَتَلْتُمْ أَصْحَابَنَا، فَأَمَّا الْجَبَانُ فَرَجَعُوا، وَأَمَّا الشُّجَاعُ

^١ حاشية المزيني: زاد المعاد (٣: ٢٤١، ٢٤٢).

فَأَخَذَ أَهْبَةَ الْقِتَالِ وَالتِّجَارَةِ، فَلَمْ يَجِدُوا بِهِ أَحَدًا وَاسْقَوْا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤]

الحكم

الدرر السنية: لم يُعثر على حكم مطابق

الآية ١٨٠

البخاري (٤٥٦٥)

عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ مَالَهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ، يَطْوِقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلَهْزِمَتِهِ يَعْنِي بِشِدْقِيهِ يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ، أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ».

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٤٥٦٥): [صحيح]

الدرر السنية — شعيب الأرنؤوط، تخریج المسند لشعيب (٨٦٦١): صحيح

الترمذي (٣٠١٢)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ رَجُلٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَ مَالِهِ» إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي عُنُقِهِ شُجَاعًا، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الْآيَةَ، وَقَالَ مَرَّةً: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وَمَنْ اقْتَطَعَ مَالَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ بَيْنَ لِقَائِي اللَّهِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ الْآيَةَ.

الحكم

حكم الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

حكم الألباني (من حاشية ت شاكر): صحيح

الدرر السنية — الترمذي، سنن الترمذي (٣٠١٢): حسن صحيح

الدرر السنية — الألباني، صحيح الترمذي (٣٠١٢): صحيح

النسائي في الكبرى (١١٠١٨)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ لَهُ مَالٌ لَا يُؤَدِّي حَقَّ مَالِهِ إِلَّا جُعِلَ لَهُ طَوْقًا فِي عُنُقِهِ شُجَاعٌ أَقْرَعَ فَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ وَهُوَ يَتَّبِعُهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]

الحكم

الدرر السنية — الألباني، صحيح الجامع (٥٧٠٧): صحيح

فوائد وتعليقات

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنْ بَرَّ اللَّهُ
عَهْدَ إِيَّاَنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ
تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ
وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا
بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ
ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ * لَتَبْلُوتَ فِي
أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا
وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

الغريب

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ

السطر ١ · الآية ١٨١

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ قال رجل من اليهود^١ حين نزلت ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾^٢ :- إنما يستقرض الفقير من الغني والله الغني فكيف يستقرض؟ فأنزل الله هذه الآية.

ابن قتيبة

(مادة سمع) ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ ، وقوله:

الراغب

(مادة غني) ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ ، قالوا ذلك حيث سمعوا: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا^٣ ، وقوله:

الراغب

عَذَابَ الْحَرِيقِ

السطر ٣ · الآية ١٨١

﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ : النار اسم جامع تكون نارا وهى حريق وغير حريق، فإذا التهبت فهى حريق.

أبو عبيدة

إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا

السطر ٤ · الآية ١٨٣

﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ : أمرنا،

أبو عبيدة

(مادة عهد) ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾

الراغب

أَلَا نُؤْمِنُ لِرَسُولٍ

السطر ٥ · الآية ١٨٣

﴿أَلَا نُؤْمِنُ لِرَسُولٍ﴾ :

أبو عبيدة

أن لا ندين له فنقرّ به.

بِقُرْبَانٍ

السطر ٥ · الآية ١٨٣

(مادة قرب) ﴿حَتَّى يَأْتِيََنَا بِقُرْبَانٍ﴾ ، وقوله:

الراغب

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: هو حيي بن أخطب، كما في الدر المنثور ٢/١٠٦ وتفسير الطبري ٥/٤٤٤.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة البقرة ٢٤٥، وسورة الحديد ١١.

^٣ حاشية المحقق على المفردات: سورة البقرة: آية ٢٤٥. وانظر: الدر المنثور ٢/٣٩٧، وأسباب النزول للواحدي ص ٧٦.

﴿يُقْرَبَانِ﴾: القربان: ما تقرب به إلى الله- ﷻ من ذبح أو غيره وهو فعلاَن من القربة.
﴿يُقْرَبَانِ﴾ ... بِصَدَقَةٍ يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ.

ابن الهائم

السراج

السطر ٩ · الآية ١٨٤

وَالزُّبُرِ

(مادة زبر) وقال:

الراغب

﴿وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾

﴿الزُّبُرِ﴾: الكتب، جمع زبور (زه) قال الزجاج: كل كتاب ذي حكمة فهو زبور، من الزبر وهو الكتابة والقراءة^١، وقيل: من زيره، إذا دفعه. والزبر: الإحكام أيضا.

ابن الهائم

﴿وَالزُّبُرِ﴾ ... الْكُتُبِ الْكَاشِفَةِ لِلظُّلُمَاتِ.

السراج

السطر ٩ · الآية ١٨٥

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾: أي ميتة، قال: الموت كأس والمرء ذائقها^٢
في هذا الموضع شاربها.

أبو عبيدة

(مادة موت) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ فعبرة عن زوال القوة الحيوانية وإبانة الروح عن الجسد، وقوله:

الراغب

السطر ١١ · الآية ١٨٥

فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ

﴿زُحِرَ عَنِ النَّارِ﴾ أي نُحِيَ عنها وأبعد.

ابن قتيبة

(مادة زح) ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ﴾

الراغب

، أي: أزيل عن مقره فيها

﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ﴾: نُحِيَ وبعد عنها.

ابن الهائم

﴿زُحِرَ﴾ ... أَبْعَدَ.

السراج

^١حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: معاني القرآن للزجاج ١/ ٤٩٥.

^٢حاشية المحقق على مجاز القرآن: عجز بيت في ديوان أمية بن أبي الصلت رقم ٤٠، والبيت في عيون الأخبار ٢/ ٣٧٤ والكمال ٤٣،

١٩٤ والأغاني ٣/ ١٧٩ والقرطبي ٤/ ٢٩٧ واللسان (عبط) والعيني ٢/ ١٨٨.

فَازَ

السطر ١١ · الآية ١٨٥

(مادة فوز) ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾

الراغب

، وقوله:

الْغُرُورِ

السطر ١٢ · الآية ١٨٥

(مادة غرر) وقال: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

الراغب

السطر ١٢ · الآية ١٨٦

* لَتَبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ

﴿لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ أي: لَتُخْتَبَرَنَّ. ويقال: لَتُصَابَنَّ. والمعنيان متقاربان.

ابن قتيبة

أسباب النزول

الآية ١٨٦

﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ الآية ١٨٦.

الوادعي

قال الإمام أبو دواد رحمه الله ج ٣ ص ١١٤ حدثنا محمد بن يحيى بن فارس أن الحكم بن نافع حدثهم أن شعيب عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله

بن كعب بن مالك عن أبيه وكان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم وكان كعب بن الأشرف يهجو النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين قدم المدينة وأهلها أخلاط منهم المسلمون والمشركون يعبدون الأوثان واليهود وكانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه فأمر الله ﷻ نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالصبر والعفو ففهم أنزل الله تعالى ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الآية.

فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً يقتلونه فبعث محمد بن مسلمة وذكر قصة قتله فلما قتلوه فزعت يهود والمشركون فغدوا على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالوا طرق صاحبنا فقتل فذكر لهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي كان يقول، ودعاهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى أن يكتب بينه وبينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه فكتب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بينه وبينهم وبين المسلمون عامة صحيفة.

الحديث قال المنذري قوله عن أبيه فيه نظر فإن أباه عبد الله بن كعب ليست له صحبة ولا هو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ويكون الحديث على هذا مرسلًا ويحتمل أن يكون أراد بأبيه جده وهو كعب بن مالك فيكون

الحديث على هذا مسندا إذ قد سمع عبد الرحمن من جده كعب بن مالك وكعب هو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم وقد وقع مثل هذا في الأسانيد في غير موضع ا. هـ. من عون المعبود بتصرف وذكره الواحدي في أسباب النزول بهذا السند وبهذا اللفظ.

هذا وقد ذكر لها سبب آخر، قال الحافظ في الفتح ج ٩ ص ٢٩٨ وروى

ابن أبي حاتم وابن المنذر بإسناد حسن أنها نزلت فيما بين أبي بكر وبين فنحاص اليهودي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ - تعالى الله عن قوله - فغضب أبو بكر فزلت.

وذكره السيوطي في اللباب وقال إن سنده حسن. ولا تنافي بينهما إذ يحتمل أن الآية نزلت في هذا وهذا. [الصحيح المسند، ص ٥٧]

المزني ٣٩ سبب النزول:

أخرج أبو داود عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه، وكان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم وكان كعب بن الأشرف يهجو النبي - صلى الله عليه وسلم - ويحرض^٢ عليه كفار قريش، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - حين قدم المدينة وأهلها أخلاط منهم المسلمون والمشركون يعبدون الأوثان^٣ واليهود، وكانوا يؤذون النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، فأمر الله - عز وجل - نبيه بالصبر والعفو، ففهم أنزل الله: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع^٤ عن أذى النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً يقتلونه، فبعث محمد بن مسلمة وذكر قصة قتله، فلما قتله فزعت اليهود والمشركون، فغدوا^٥ على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: طُرق^٦ صاحبنا فقتل فذكر لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي كان يقول ودعاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى أن يكتب بينه وبينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه، فكتب النبي - صلى الله عليه وسلم - بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة^٨.

^١ حاشية المزني: هجا: هجا يهجو: شتمه بالشعر وهو خلاف المدح. لسان العرب (١٥:٣٥٣) مادة (هجا).

^٢ حاشية المزني: حرض: التحريض: التحريض، والتحريض على القتال الحث والإجاء عليه. لسان العرب (٧:١٣٣) مادة (حرض).

^٣ حاشية المزني: الوثن: كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدي تعمل وتتصب فتعبد بخلاف الصنم فهو الصورة بلا جثة ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقهما على المعنيين. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥:١٥١) مادة (وثن).

^٤ حاشية المزني: نزع: أصل النزع الجذب والقلع. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥:٤١) مادة (نزع) والمعنى أنه أبى أن يكف عن أذاه.

^٥ حاشية المزني: الرهط: عشيرة الرجل وأهله، والرهط من الرجال ما دون العشرة وقيل إلى الأربعين ولا تكون فيهم امرأة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢:٢٨٣) مادة (رهط).

^٦ حاشية المزني: الغدوة: السير أول النهار، والغدوة: ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣:٣٤٦)

مادة (غدا) والمعنى أنهم ساروا إليه بين هذين الوقتين.

^٧ حاشية المزني: طرق: الطروق الإتيان ليلاً، وكل آتٍ بالليل طارق وسمي الآتي بالليل طارقاً لحاجته إلى دق الباب. المصدر السابق

(٣:١٢١) مادة (طرق).

^٨ حاشية المزني: أخرجه أبو داود، كتاب الخراج والإمارة والقيء، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة (٤:٤٠١، ٤:٤٠٢) رقم

(٣٠٠٠)، والبخاري في التاريخ الكبير (٥:٣٠٨) من طريق شعيب بن أبي حمزة، وعبد الرزاق في المصنف (٥:٢٠٣)

رقم (٩٣٨٨)، ومن طريق ابن جرير (٣:٢٠١) عن الحسن بن يحيى عنه وابن سعد في الطبقات (٢:٣٣) عن محمد بن حميد العبدي.

دراسة السبب:

هكذا جاء في سبب نزول الآية وقد أورد المفسرون هذا الحديث وجعلوه من أسباب نزول الآية منهم الطبري والبعوي وابن عطية والقرطبي^١، وغيرهم.

وقد ذكر المفسرون أيضاً في نزولها قصة أبي بكر - رضي الله عنه - مع فنحاص اليهودي وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث أبا بكر الصديق إلى فنحاص يستمده، وكتب إليه بكتاب، وقال لأبي بكر: (لا تفتأن عليّ بشيء حتى ترجع) فجاء أبو بكر وهو متوشح بالسيف، فأعطاه الكتاب، فلما قرأه قال: قد احتاج ربكم أن نمده، فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لا تفتأن عليّ بشيء حتى ترجع، فكف ونزلت: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ .. { إلى قوله: } {لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ} [آل عمران: ١٨٠]٢.

وقد تبين من دراسة الإسنادين أن حديث كعب بن الأشرف مرسل، وحديث فنحاص اليهودي في قصة أبي بكر فيه انقطاع وإرسال، وبهذا يسقط الاحتجاج بهما على السببية وربما كان هذا هو السبب في إعراض ابن كثير - رحمه الله - عن هذين الحديثين حيث لم يذكرهما مع أنه شديد العناية بالروايات وأسانيدها، ولعل مما يعين على هذا الظن ويؤمئ إليه قوله - رحمه الله - عند هذه الآية: (يقول تعالى للمؤمنين عند مقدمهم المدينة قبل وقعة بدر مسلماً لهم عما ينالهم من الأذى من أهل الكتاب والمشركين وأمراً لهم بالصفح والصبر والعفو حتى يفرج

كلاهما (عبد الرزاق، ومحمد) عن معمر والطبراني في الكبير (١٩:٧٦) رقم (١٥٤) من طريق عقيل بن خالد.

ثلاثتهم (شعيب، ومعمر، وعقيل) عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه أن كعب بن الأشرف فذكر الحديث بخوه، إلا أن في حديث عبد الرزاق في مصنفه عن ابن كعب بن مالك أن كعب بن الأشرف فلم يذكر عن أبيه، وفي حديث الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق - عند ابن جرير - ومحمد بن حميد قالا في حديثهما عن الزهري أن كعب بن الأشرف، فلم يذكر ابن كعب ولا أباه. وهذا كما هو ظاهر - خلاف كثير - وقد أشار إليه الحافظ ابن حجر في النكت الظراف على تحفة الأشراف (٨:٣٢٢) حيث قال: (وفيه اختلاف كثير). والحديث بكل حال لا يثبت لما وقع فيه من الاختلاف، ولأن رواية عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن جده كعب - رضي الله عنه - مرسله إذ لم يسمع منه كما رجح ذلك الذهلي والدارقطني كما في تهذيب التهذيب (٦:١٩٤)، ولهذا قال البخاري في التاريخ الكبير (٥:٣٠٨) عن هذا الطريق مرسل ومما يؤيد ضعف الحديث بهذا السياق أن الحديث ثابت في الصحيحين عند البخاري برقم (٣٨١١)، وعند مسلم برقم (١٨٠١) في قصة قتل كعب بن الأشرف وليس فيها ذكر سبب النزول.

وأما ما رواه ابن جرير في تفسيره (٣:٢٠٠) من طريق ابن جريج قال: قال عكرمة في قوله: {لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ} .. { الآية أنها نزلت في قصة أبي بكر وفنحاص اليهودي سيد بني قينقاع فإن هذا إسناد ضعيف لوجهين:

١ - لانقطاعه فإن ابن جريج لم يسمع من عكرمة كما نص عليه ابن المديني. جامع التحصيل للعلاني (٢٣٠).

٢ - أنه مرسل لأن عكرمة لم يشهد القصة قطعاً.

وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣:٨٣٤)، وابن المنذر كما في الفتح (٨:٧٩) من طريق محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس فذكره مختصراً لعدم الدليل على ذلك وقد حسن إسناده الحافظ في هذا الموضع، وفي تحسينه نظر؛ فإن محمد بن أبي محمد لا يعرف قال الذهبي في الميزان (٤:٢٦). وقال الحافظ في التقریب (٦٢٧٦) (مجهول تفرد عنه ابن إسحاق)، وكون هذا الأثر لا يروى عن عكرمة إلا من طريق محمد هذا - حسب البحث - فإن هذا مما يزيد الإسناد غرابة والله أعلم.

^١ حاشية المزيني: جامع البيان (٤:٢٠٠)، معالم التنزيل (١:٣٨١)، المحرر الوجيز (٣:٣١٢)، الجامع لأحكام القرآن (٤:٣٠٣).

^٢ حاشية المزيني: جامع البيان (٣:٢٠٠).

الله فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ثم ساق حديث أسامة بن زيد - رضي الله عنه - حين أردفه في عيادته لسعد بن عباد فذكر الحديث إلى أن قال: فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً، فلا تؤذنا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاعشنا به في مجالسنا فإننا نحب ذلك. فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يثأورون، فلم يزل النبي - صلى الله عليه وسلم - يخفضهم حتى سكتوا فذكر الحديث ... إلى أن قال: وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يعفون

عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى، قال الله - عز وجل -: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ وقال الله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩] وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم، فلما غزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدرًا فقتل الله به صناديد كفار قريش قال ابن أبي ابن سلول ومن معه من المشركين وعبيدة الأوثان هذا أمر قد توجه فباعوا الرسول ٢١ - صلى الله عليه وسلم - على الإسلام فأسلموا) فرجما أراد ابن كثير - رحمه الله - بسياق هذا الحديث التنبيه إلى أنه سبب نزول الآية والله أعلم.

النتيجة:

أن الأسباب المذكورة لنزول الآية الكريمة قد تبين ضعفها وعدم حجيتها ولا أعلم سبباً صحيحاً يمكن أن أسطره بين يدي القارئ، وأما حديث أسامة بن زيد فإن سياقه يتفق ولفظ الآية كثيراً لكني لا أجزم بأنه سبب نزولها لعدم الدليل على ذلك والعلم عند الله تعالى. [أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، ص ٧٠]

أحاديث التفسير

الآية ١٨٥

الترمذي (٣٠١٣)

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مَوْضِعَ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،

^١ حاشية المزيني: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (١٦٦٣: ٤، ١٦٦٤) رقم (٤٢٩٠).

^٢ حاشية المزيني: تفسير ابن كثير (٤٣٥: ١، ٤٣٦).

أَقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَارَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

الحكم

حكم الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

حكم الألباني (من حاشية ت شاكر): حسن

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٣٢٥٠): [صحيح]

الدرر السنية — البزار، البحر الزخار (١٢/٣٥٥): [فيه] صالح بن محمد بن زائدة لا نعلمه روى عن أنس إلا هذا الحديث

النسائي في الكبرى (١١٠١٩)

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " قَالَ اللَّهُ ﷻ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَأَقْرَأُوا ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] وَقَالَ: " فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ، فَأَقْرَأُوا ﴿وَوَظِلٌّ مَمْدُودٌ﴾ [الواقعة: ٣٠]، وَمَوْضِعٌ سَوَاطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، فَأَقْرَأُوا ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَارَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٧٤٩٨): [صحيح]

الدرر السنية — أبو نعيم، حلية الأولياء (٢/٢٩٧): غريب من حديث قتادة

الآية ١٨٦

البخاري (٤٥٦٦)

أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ، عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِّيَّةٍ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَرَاءَهُ، يَعُودُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، قَالَ: حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْصَةَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْصَةَ، فَإِذَا فِي الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبْدَةُ الْأَوْثَانِ، وَالْيَهُودُ وَالْمُسْلِمِينَ، وَفِي الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ، نَحَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْصَةَ بَرْدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا تَغَيِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ ثُمَّ وَقَفَ، فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْصَةَ: أَيُّهَا الْمَرْءُ، إِنَّهُ لَا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ إِنْ كَانَ حَقًّا، فَلَا تُؤْذِينَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، أَرْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَاعْشِنَا بِهِ فِي مَجْلِسِنَا، فَإِنَّا نَحِبُ ذَلِكَ. فَاسْتَبَدَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَنَاقَرُونَ، فَلَمَّ يَزِلُّ النَّبِيُّ ﷺ يَخْفِضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا، ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ دَابَّتَهُ، فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: يَا سَعْدُ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ، يُرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْصَةَ، قَالَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اعْفُ عَنْهُ، وَاصْفَحْ

عَنْهُ، فَوَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، لَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ، لَقَدْ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحِيرَةِ عَلَى أَنْ يَتَوَجَّهَ فَيَعَصِبُونَهُ بِالْعَصَابَةِ، فَلَمَّا أَبَى اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ شَرِّقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ. فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الْأَذَى، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ الْآيَةُ. وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَأَوَّلُ الْعَفْوَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ فِيهِمْ، فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَدْرًا، فَقَتَلَ اللَّهُ بِهِ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، قَالَ ابْنُ أَبِي سَلُولَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَعَبْدَةَ الْأَوْثَانِ: هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ، فَبَايَعُوا الرَّسُولَ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمُوا.

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٤٥٦٦): [صحيح]

فوائد وتعليقات

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ
وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا
قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا
آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ
بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا
وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ
ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى
رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

الغريب

فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ

السطر ٢ · الآية ١٨٧

﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي لم يلتفتوا إليه يقال: نبذت حاجتي خلف ظهرك، إذا لم يلتفت إليها، قال أبو الأسود الدؤلي:

أبو عبيدة

نظرت إلى عنوانه فنبدته ... كنبدك نعلا أخلقت من نعالكا (٥٦)

(مادة نبذ) ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾

الراغب

لقلة اعتدادهم به

بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ

السطر ٥ · الآية ١٨٨

﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ : أي ترحح زحج بعيد.

أبو عبيدة

﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ أي بمنجاة ومنه يقال: فاز فلان أي نجا.

ابن قتيبة

(مادة فوز) ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾

الراغب

، فهي مصدر فاز، والاسم الفوز، أي: لا تحسبنهم يفوزون ويخلصون من العذاب. وقوله:

(مادة الباء) قوله تعالى:

الراغب

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ أي: بموضع الفوز. والله تعالى أعلم.

تم كتاب الباء

﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾: أي بمنجاة، مفعلة من الفوز، يقال:

ابن الهائم

فاز فلان: نجا [زه] والفوز: الظفر.

قِيَمًا

السطر ٨ · الآية ١٩١

(مادة قوم) ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ ، وقوله:

الراغب

﴿قِيَامًا﴾: القيام على ثلاثة أوجه:

ابن الهائم

جمع قائم، كما هنا.

ومصدر قمت قياما.

وقيام الأمر وقوامه: ما يقوم به الأمر.

وَقُودًا

السطر ٨ · الآية ١٩١

الراغب

(مادة قعد) ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُودًا﴾ ، والمقعد:

مكان القعود، وجمعه: مقاعد

جُنُوبِهِمْ

السطر ٩ · الآية ١٩١

الراغب

(مادة جنب) ﴿قِيَامًا وَقُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ .

ثم يستعار من الناحية التي تليها كعادتهم في استعارة سائر الجوارح لذلك، نحو: اليمين والشمال، كقول الشاعر:

-١٠٠-

من عن يميني مرّة وأمامي^١ وقيل: جنب الحائط وجنبه

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا

السطر ٩ · الآية ١٩١

أبو عبيدة

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾ : العرب تختصر الكلام ليخففوه لعلم المستمع بتمامه فكأنه في تمام القول: ويقولون: ربنا ما خلقت هذا باطلا.

أَخْزَيْتُهُ

السطر ١١ · الآية ١٩٢

الراغب

(مادة خزي) وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتُهُ﴾ ، فن الخزية، ويجوز أن يكون من الخزي، وكذا قوله:

﴿أَخْزَيْتُهُ﴾ : أهلكته.

ابن الهائم

يُنَادِي لِلْإِيمَانِ

السطر ١٢ · الآية ١٩٣

أبو عبيدة

﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ أي ينادي إلى الإيمان، ويجوز: إننا سمعنا مناديا للإيمان ينادي.

وَكَفَرًا

السطر ١٣ · الآية ١٩٣

السراج

﴿وَكَفَرًا﴾ ... اسْتَرَّ.

^١ حاشية المحقق على المفردات: هذا عجز بيت، وشرطه:

فلقد أراني للرماع دريئة

وهو لقطري بن الفجاءة، في معني اللبيب ص ١٩٩، وشرح ابن عقيل ١/ ٢٤٣، وخزانة الأدب ١٠/ ١٦٣.

تُخْزِنَا

السطر ١٥ · الآية ١٩٤

(مادة خزي) ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

الراغب

أسباب النزول

الآية ١٨٨

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ - الآية ١٨٨.

الوادعي

قال البخاري ج ٨ ص ٢٣٣ طبعة سلفية مع الفتح حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر قال حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا من المنافقين على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه وأحبوا أن يحمدهوا بما لم يفعلوا فنزلت ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾.

الحديث أخرجه مسلم ج ١٧ ص ١٢٣ وابن جرير ج ٤ ص ٢٠٥.

سبب آخر: قال الإمام البخاري رضي الله عنه ج ٩ ص ٣٠١ حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام أن ابن جريج أخبرهم عن ابن أبي مليكة أن علقمة بن وقاص أخبره أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمده بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون فقال ابن عباس مالك ولهذا الآية إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم يهودا وسألهم عن شيء فكنتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه

بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم. ثم قرأ ابن عباس ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ كذلك حتى قوله ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ تابعه عبد الرزاق عن ابن جريج. حدثنا ابن مقاتل أخبرنا الحجاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أنه أخبره مروان بهذا.

الحديث أخرجه مسلم ج ١٧ ص ١٢٣ والترمذي وقال هذا حديث حسن غريب صحيح والإمام أحمد في المسند ج ١ ص ٢٩٨ وابن جرير ج ٤ ص ٢٠٧.

هذا ويمكن الجمع بين الحديثين بأن تكون الآية نزلت في الفريقين معا، قاله الحافظ في الفتح ج ٩ ص ٣١ وأقول: ولو رجح حديث أبي سعيد لكان أولى لأن حديث ابن عباس مما انتقد على الشيخين كما في مقدمة الفتح ج ٢ ص ١٣٢.

وكما في الفتح ج ٩ ص ٣٠٢ ولا معنى لقصرها على أهل الكتاب، قال الحافظ في الفتح وعمومها يشمل كل من أتى بحسنة ففرح بها فرح إعجاب وأحب أن يحمده الناس ويثبوا عليه بما ليس فيه. هذا وما يؤيد ما قلته في الترجيح أن الحافظ رضي الله عنه قال في الفتح في أبي رافع الرسول إلى ابن عباس الذي يدور عليه: لم أره ذكرا في كتب الرواة إلا

بما أتى في الحديث والذي يظهر لي من سياق الحديث أنه توجه إلى مروان فبلغه الرسالة ورجع مروان بالجواب فلولاً أنه معتمد عند مروان ما قنع برسالته إلى آخر ما قال ﷺ فعلى هذا فأبو رافع مجهول. [الصحيح المستند، ص ٥٩]

المزني ٤٠ سبب النزول:

١ - أخرج مسلم وأحمد والبخاري، والترمذي والنسائي أن مروان قال: اذهب يا رافع - لبوابه - إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل، معذباً لنعذب أجمعون. فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية؟ إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب. ثم تلا ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾. هذه الآية. وتلا ابن عباس: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾. وقال ابن عباس: سألهم النبي - صلى الله عليه وسلم - عن شيء فكتموا إياه وأخبروه بغيره فخرجوا قد أرواه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألهم عنه^١.

٢ - أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الغزو تخلّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اعتذروا إليه وحلفوا، وأجواباً أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ .. { الآية ٢. دراسة السبب:

هكذا جاء في سبب نزول الآية الكريمة وقد أورد المفسرون هذين السببين وغيرهما مما لا يستند إلى حجة في الإسناد وتباينت مواقفهم عند النظر فيهما فذهب بعضهم إلى الجمع بينهما وأن الآية نزلت بسببهما ومن هؤلاء القرطبي وابن كثير رحمهما الله تعالى.

قال القرطبي: (والحديث الأول خلاف مقتضى الحديث الثاني، ويحتمل أن يكون نزولها على السببين لاجتماعهما في زمن واحد فكانت جواباً للفرقتين والله أعلم)^٣.

وقال ابن كثير: (ولا منافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء - أي نزولها بشأن المنافقين - لأن الآية عامة في جميع ما ذكر والله أعلم)^٤.

وذهب بعض المفسرين إلى أنها في أهل الكتاب خاصة ومن هؤلاء الطبري وابن عاشور قال الطبري بعد أن

^١ حاشية المزني: أخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. (٤: ٢١٤٣) رقم (٢٧٧٨)، وأحمد في المسند (٤: ٤٤٤) رقم (٢٧١٢)، والبخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ (٤: ١٦٦٥) رقم (٤٢٩٢)، والترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران (٥: ١١٣) رقم (٣٠١٤)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ (٦: ٣١٨) رقم (١١٠٨٦).

^٢ حاشية المزني: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ (٤: ١٦٦٤) رقم (٤٢٩١)، ومسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٤: ٢١٤٢) رقم (٢٧٧٧).

^٣ حاشية المزني: الجامع لأحكام القرآن (٤: ٣٠٦، ٣٠٧).

^٤ حاشية المزني: تفسير ابن كثير (١: ٤٣٧).

ساق الأقوال في نزولها: (وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ .. { الآية قول من قال: عنى بذلك أهل الكتاب الذين أخبر الله جل وعز أنه أخذ ميثاقهم ليعين للناس أمر محمد- صلى الله عليه وسلم- ولا يكتُمونه ﴿لأن قوله: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا} في سياق الخبر عنهم، وهو شبهه بقصتهم، مع اتفاق أهل التأويل على أنهم المعنيون بذلك)¹.

وقال ابن عاشور بعد أن ساق الآية: (تكلمة لأحوال أهل الكتاب المتحدث عنهم ببيان حالة خلقتهم بعد أن بين اختلال أمانتهم في تبليغ الدين، وهذا

ضرب آخر جاء به فريق آخر من أهل الكتاب فلذلك عبر عنهم بالموصول للتوصل إلى ذكر صلة العجبية من حال من يفعل الشر والخسة ثم لا يقف عند حد الانكسار لما فعل أو تطلب الستر على شئته، بل يرتقي فيترقب ثناء الناس على سوء صنعه ويتطلب المحمدة عليه)² والراجح - والله أعلم - ما ذكره ابن عباس - رضي الله عنهما - في شأن نزولها في أهل الكتاب وما ذكره من الدليل على ذلك؛ لأنه لما قال: ما لكم ولهذا الآية إنما أنزلت في أهل الكتاب تلا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ وهذا نظر ظاهر منه - رضي الله عنه - إلى السياق القرآني وأثره في تفسير كلام الله وهذا هو اللائق بترجمان القرآن - رضي الله عنه - وهو أقرب طريق إلى الصواب في معرفة التفسير والله أعلم.

النتيجة:

أن سبب نزول الآية الكريمة ما ذكره ابن عباس - رضي الله عنهما - في سؤال النبي - صلى الله عليه وسلم - اليهود عن شيء فكتُموه إياه وأخبروه بغيره وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه ما سألم عنهم وذلك لصحة سند الحديث، وتصريحه بالنزول وموافقته لسياق القرآن. ولم يظهر لي من وجه صحيح ما هو الشيء الذي سألم عنهم فكتُموه. وأما الحديث عن المنافقين وتخلفهم عن رسول الله - (ص) - فسيأتي في موضعه مع قصته في سورة براءة إن شاء الله تعالى. والله أعلم. [أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، ص ٧١]

أحاديث التفسير

الآية ١٨٨

البخاري (٤٥٦٧)

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْغَزَا تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَفَرَحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

¹ حاشية المزيني: جامع البيان (٤: ٢٠٨).

² حاشية المزيني: التحرير والتنوير (٤: ١٩٣).

اعْتَدُّوا إِلَيْهِ وَحَلِّفُوا، وَأَحْبُوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يُفْعَلُوا، فَزَلَّتْ: ﴿لَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ (الآية).

الحكم

الدرر السنية: لم يُعثر على حكم مطابق

البخاري (٤٥٦٨)

أَنَّ عَلْقَمَةَ بِنْتُ وَقَّاصٍ أَخْبَرَهُ: «أَنَّ مَرْوَانَ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ: اذْهَبْ يَا رَافِعُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْ: لَيْتَنِي كَانَتْ كُلُّ أَمْرِي فَرِحَ بِمَا أُوتِي، وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يُفْعَلْ، مُعَذِّبًا، لِنُعَذِّبَ أَجْمَعُونَ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَمَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ، إِنَّمَا دَعَا النَّبِيُّ ﷺ يَهُودَ فَسَأَلَهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَكْتَمُوهُ إِيَّاهُ، وَأَخْبَرُوهُ بغيرِهِ، فَأَرَوْهُ أَنَّ قَدْ اسْتَحْمَدُوا إِلَيْهِ بِمَا أَخْبَرُوهُ عَنْهُ فِيمَا سَأَلَهُمْ، وَفَرَحُوا بِمَا أُوتُوا مِنْ كِتْمَانِهِمْ، ثُمَّ قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ كَذَلِكَ حَتَّى قَوْلِهِ: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُجِيبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يُفْعَلُوا﴾. تَابَعَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ. حَدَّثَنَا ابْنُ مِقَاتٍ: أَخْبَرَنَا الْحَجَّاجُ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّ مَرْوَانَ بِهَذَا.

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٤٥٦٨): [أورده في صحيحه] وقال: تابعه عبد الرزاق عن ابن جريج. حدثنا ابن مقاتل أخبرنا الحجاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي مليكة عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أنه أخبره أن مروان بهذا...
الدرر السنية — ابن حجر العسقلاني، هدي الساري (٣٩١): اختلف فيه على ابن مليكة وهو اختلاف غير قادم

الترمذي (٣٠١٤)

أَنَّ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَخْبَرَهُ «أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ» قَالَ: اذْهَبْ يَا رَافِعُ - لِإِبْرَاهِيمَ - إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْ لَهُ: لَيْتَنِي كَانَتْ كُلُّ أَمْرِي فَرِحَ بِمَا أُوتِي وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يُفْعَلْ مُعَذِّبًا، لِنُعَذِّبَ أَجْمَعُونَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ الْآيَةُ؟ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ تَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُخْبِتُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ وَتَلَا: ﴿لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُتُوا وَيُجِيبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يُفْعَلُوا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَأَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ فَكْتَمُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بغيرِهِ، نَفَرُوا وَقَدْ أَرَوْهُ أَنَّ قَدْ أَخْبَرُوهُ بِمَا قَدْ سَأَلَهُمْ عَنْهُ، وَاسْتَحْمَدُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ وَفَرَحُوا بِمَا أُوتُوا مِنْ كِتْمَانِهِمْ مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ.

الحكم

حكم الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ
حكم الألباني (من حاشية ت شاكر): صحيح
الدرر السنية — الألباني، صحيح الترمذي (٣٠١٤): صحيح
الدرر السنية — المباركفوري، تحفة الأحادي (٧/٤٣٩): صحيح

النسائي في الكبرى (١١٠٢٠)

أَنَّ مَرْوَانَ قَالَ: اذْهَبْ يَا رَافِعُ، لِبَوَائِهِ، إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْ: لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ مِنَّا فَرِحَ بِمَا أَتَى وَأَحَبَّ أَنْ يُحَمَّدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ مُعَذِّبًا، لَتُعَذِّبَنَّ أَجْمَعُونَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ الْآيَةِ، إِنَّمَا تَزَلَّتْ هَذِهِ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ تَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُصَيِّتَنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، تَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونُ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٨٨] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَأَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ، وَأَخْبَرُوهُ بغيرِهِ، فَخَرَجُوا وَقَدْ أَرَوْهُ أَنَّهُمْ أَخْبَرُوهُ بِمَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ وَاسْتَحْمَدُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ، وَفَرَحُوا بِمَا أَتَوْا مِنْ كِتْمَانِهِمْ إِيَّاهُ مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ”

الحكم

الدرر السنية — مسلم، صحيح مسلم (٢٧٧٨): [صحيح]

الدرر السنية — شعيب الأرنؤوط، تحريج المسند لشعيب (٢٧١٢): إسناده صحيح على شرط الشيخين

الآية ١٩٠

البخاري (٤٥٦٩)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «بُتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَهْلِ سَاعَةٍ ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ قَعَدَ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنْ، فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ».

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٤٥٦٩): [صحيح]

الدرر السنية — الدارقطني، أطراف الغرائب (١/٤٤٠): غريبٌ من حديث مسعر عنه، تفرَّد به عثمان بن عمرو بن ساج، عن محمد بن إسحاق، عن مسعر، عن أبي إسحاق، عنه.

النسائي في الكبرى (١١٠٢١)

عَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ خَالَتُهُ، فَاضْطَجَعَتْ فِي عَرْضِ الْوَسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طَوْلِهَا، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ اسْتَيْقِظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنْ مَعْلَقَةٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا وَضوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، وَذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي، وَأَخَذَ بِأُذُنِي يَفْتُلُهَا، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ فَاضْطَجَعَ حَتَّى جَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى

رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ

الحكم

الدرر السنية: لم يُعثر على حكم مطابق

النسائي في الكبرى (١١٠٢٢)

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا جَاءَ نَبِيَّ النَّجَاشِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلُّوا عَلَيَّ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُصَلِّي عَلَى عَبْدٍ حَبَشِيٍّ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ﴾ [آل عمران: ١٩٩] الآية، ١١٠٢٣ - أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ مِهْرَانَ أَبُو خَالِدٍ الْخُبَّازِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ، مِثْلُهُ

الحكم

الدرر السنية - الطبراني، المعجم الأوسط (٥/٢٢٢): لم يرو هذا الحديث عن حميد إلا أبو بكر بن عياش ومعتمر بن سليمان

الآية ١٩١

البخاري (٤٥٧٠)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «بُتْ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَقُلْتُ: لَأَنْظُرَنَّ إِلَى صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَطَرَحَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَادَةً، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَوْلِهَا، فَجَعَلَ يَمْسُحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْآيَاتِ الْعَشَرَ الْأَوَّلَى مِنَ آلِ عِمْرَانَ حَتَّى خَفَمَ، ثُمَّ أَتَى سَنًا مُعْلَقًا، فَأَخَذَهُ فِتْوَصًا، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي، ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِي فَجَعَلَ يِفْتِلُهَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ».

الحكم

الدرر السنية - البخاري، صحيح البخاري (٤٥٧٠): [صحيح]

الدرر السنية — الدارقطني، أطراف الغرائب (١/٤٥٤): غريبٌ من حديث عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت، عن محمد بن علي، عن أبيه، تفرد به عنه ابنه يزيد ولم يكتبه إلا من حديث ابن عقده بالرواية في كتاب يزيد بن عبد العزيز.

الآية ١٩٢

البخاري (٤٥٧١)

أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ: «أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهِيَ خَالَتُهُ، قَالَ: فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوَسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ، أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَلَّ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنْ مُعَلَّقَةٍ فَوَضَّأَ مِنْهَا، فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يَصِلِّي، فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا

صَنَعَ، ثُمَّ ذَهَبَتْ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي، وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى يَفْتِلُهَا، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى جَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ».

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (١٨٣): [صحيح]
الدرر السنية — ابن حجر العسقلاني، توالي التأسيس (١/٢٤٢): صحيح

الآية ١٩٣

البخاري (٤٥٧٢)

أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ: «أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهِيَ خَالَتُهُ، قَالَ: فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوَسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ، أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَيْءٍ مُعْلَقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، فَأَحْسَنَ وُضُوئَهُ، ثُمَّ قَامَ يَصِلِّي، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي، وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى يَفْتِلُهَا، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى جَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ».

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (١٨٣): [صحيح]
الدرر السنية — ابن حجر العسقلاني، توالي التأسيس (١/٢٤٢): صحيح

فوائد وتعليقات

فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ
ذَكَرٍ وَأُنَتِّبُ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا أُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾
لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ
ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا
رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلَّائِزِينَ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشَعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا
وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

الغريب

السطر ١ · الآية ١٩٥

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ﴾ :

أبو عبيدة

فتحت ألف «أن» لأنك أعملت «فاستجاب لهم ربهم بذلك، ولو كان مختصرا على قولك. وقال إني لا أضيع أجر العاملين فكسرت الألف.

(مادة جوب) ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾

الراغب

(مادة ضيع) ضَاعَ الشَّيْءُ يَضِيعُ ضِيعًا، وَأَضَعْتُهُ وَضَعْتُهُ.

الراغب

قال تعالى: ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ﴾

السطر ٣ · الآية ١٩٥

لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

﴿لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي لأذهبنا عنهم أي لأحونها عنهم «فاستجاب لهم» أي أجابهم، وتقول العرب: استجبتك، في معنى استجبت لك، قال الغنوي:

أبو عبيدة

وداع دعا يا من يجب إلى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب (٨٣)

(مادة كفر) وقال:

الراغب

﴿لَا تُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾

السطر ٥ · الآية ١٩٥

ثَوَابًا

(مادة ثوب) ﴿ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾

الراغب

﴿ثَوَابًا﴾: الثواب: الجزاء على العمل.

ابن الهائم

السطر ٦ · الآية ١٩٦

لَا يَغْرَنَّكَ تَغْلِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ

﴿لَا يَغْرَنَّكَ تَغْلِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ أي تصرفهم في التجارات وإصابتهم الأموال.

ابن قتيبة

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: فاستجاب ... يجب: وورد في البخاري: استجابوا أجابوا ويستجيب يجب قال ابن جر (٨ / ١٧١) : هو قول أبي عبيدة، قال في قوله تعالى «فاستجاب لهم» أي أجابهم، تقول العرب استجبتك أي أجبتك، قال كعب الغنوي: «وداع» البيت، وقال في قوله تعالى «وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» (٢٦ / ٤٢) أي يجب الذين آمنوا. - (٨٣) الغنوي: راجع رقم ٨٣ حيث تجد الاختلاف فيمن هو الغنوي.

﴿تَقَلُّبُ﴾ ... سَعَةُ عَيْشٍ، وَكَثْرَةُ تَنَقُّلٍ وَتَصَرُّفٍ.

السراج

السطر ٧ · الآية ١٩٧

الْمِهَادُ

﴿الْمِهَادُ﴾ ... الْفِرَاشُ.

السراج

السطر ٩ · الآية ١٩٨

نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ

﴿نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي ثواباً، ويجوز منزلاً من عند الله من قولك: أنزلته منزلاً.

أبو عبيدة

﴿نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي ثواباً ورزقاً.

ابن قتيبة

(مادة نزل) وقال:

الراغب

﴿نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وقال في صفة أهل النار: لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ إِلَى قَوْلِهِ: هَذَا زُلْهُمُ

يَوْمَ الدِّينِ^١

﴿نُزُلًا﴾ ... ضِيَافَةً، وَمَنْزِلًا.

السراج

السطر ١١ · الآية ١٩٩

يَشْتَرُونَ

(مادة شرى) ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾

الراغب

السطر ١٢ · الآية ١٩٩

أَجْرُهُمْ

(مادة أجر) قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾

الراغب

السطر ١٣ · الآية ١٩٩

الْحِسَابِ

(مادة حسب) وقال تعالى:

الراغب

﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ، وقوله عَزَّ:

السطر ١٣ · الآية ٢٠٠

أَصْبِرُوا

(مادة صبر) وقوله تعالى: ﴿أَصْبِرُوا وَاصْبِرُوا﴾

الراغب

^١ حاشية المحقق على المفردات: الآيات: لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ فَأَلْوَنُ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شَرْبَ الْحَمِيمِ هَذَا زُلْهُمُ يَوْمَ الدِّينِ [الواقعة/ ٥٢-٥٦] .

، أي: احبسوا أنفسكم على العبادة وجاهدوا أهواءكم، وقوله:
﴿وَصَابِرُوا﴾ ... غَالِبُوا الْأَعْدَاءَ بِالصَّبْرِ حَتَّى تَكُونُوا أَكْثَرَ صَبْرًا مِنْهُمْ.

السراج

وَرَابِطُوا

السطر ١٤ · الآية ٢٠٠

أبو عبيدة

﴿وَرَابِطُوا﴾ أي اثبتوا ودوموا، قال الأخطل:

ما زال فينا رباط الخيل معلمة ... وفي كليب رباط اللوم والعار (بسم الله الرحمن الرحيم)

ابن قتيبة

سورة
﴿وَرَابِطُوا﴾ في سبيل الله ٢. وأصل المراقبة والرباط: أن يربط هؤلاء خيولهم، ويربط هؤلاء خيولهم في الثغر. كل يُعَدُّ لصاحبه. وسمي المقام بالثغور رباطًا.

ابن الهائم

﴿وَرَابِطُوا﴾: اثبتوا ودوموا، وأصل المراقبة والرباط: أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم في الثغر. كل يُعَدُّ لصاحبه، فسمي المقام بالثغور رباطًا.

السراج

﴿وَرَابِطُوا﴾ ... أَقِيمُوا عَلَى جِهَادٍ عَدُوِّكُمْ.

ترتيبها

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

السطر ١٤ · الآية ٢٠٠

ابن قتيبة

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: تفوزون ببقاء الأبد. وأصل الفلاح: البقاء. وقد بيناه فيما تقدم ٣.

أسباب النزول

الآية ١٩٥

سبب النزول:

المزي ٤١

أخرج الترمذي عن أم سلمة - رضي الله عنها - أنها قالت: يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة فأنزل الله تعالى: ﴿أَتَى لَا أَضِيعُ عَمَلٍ غَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ ٤.

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: ديوانه ٢٠٦ - وفي الأساس (ربط).

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في مجاز القرآن ١١٢ "أي اثبتوا ودوموا".

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: راجع ص ٣٩.

^٤ حاشية المزي: أخرجه الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران (٥: ١١٨) رقم (٣٠٢٣) عن ابن أبي عمر العدني وسعيد بن منصور في سننه (٣: ١١٣٦) رقم (٥٥٢)، والحميدي (١: ١٤٤) رقم (٣٠١)، وأبو يعلى (١٢: ٣٩١) رقم (٦٩٥٨)، عن داود بن عمرو، وابن جرير (٣: ٢١٥) من طريق أسد بن موسى وعبد الرزاق في تفسيره (١: ١٤٤)، والطبراني (٢٣: ٢٩٤) رقم (٦٥١) من طريق يحيى الحماني، والحاكم في المستدرک (٢: ٣٠٠) من طريق يعقوب بن حميد، والواحدي (٩٣) من طريق قتيبة بن سعيد تسعته (ابن أبي عمر، وسعيد، والحميدي، وداود، وأسد، وعبد الرزاق، ويعقوب، والحماني، وقتيبة) عن ابن عيينة، عن عمرو بن دينار عن رجل من ولد أم

سلمة - سماه بعضهم: سلمة بن عمر بن أبي سلمة (فنسبه إلى جده وإلا فهو: سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة كما في التهذيب (٤:١٣١) عن أم سلمة قالت: يا رسول الله، لا أسمع الله ... الحديث بخوه، زاد سعيد بن منصور في حديثه: قالت الأنصار: هي أول طعينة قدمت علينا، والحديث في سنده هذا الرجل من ولد أبي سلمة، وهو مجهول الحال، كما في التقريب (٢٥٠٠) حيث قال عنه (مقبول) ولم أقف - بعد البحث - على ما يبين سماعه من أم سلمة مع أن في الخبر - في سياق صيغ الأداء - إشارة إلى أن فيه إرسالاً وبين ذلك أن يقال: مدار هذا الحديث على ابن عيينة، وقد رواه عنه جمع من الرواة الذين اختلفوا - في الظاهر في ذكر صيغة التحمل التي روى بها الرجل من ولد أم سلمة هذا الحديث عن أم سلمة، فقال كل من: قتيبة، وعبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وداود بن عمرو، ويحيى الحماني، عن سفيان عن عمرو عن رجل من ولد أم سلمة قال: قالت أم سلمة ... ، وهذه الصيغة ظاهرة في الإرسال، وأما الحميدي، وأسد، ويعقوب، وابن أبي عمر، فقالوا: عن رجل من ولد أم سلمة، عن أم سلمة قالت ... ، وهذا الاختلاف في أداء الصيغة يقع عند المتقدمين، فيقولون في مثل حديثنا هذا - عن أم سلمة ويريدون بذلك: عن قصة أم سلمة لا أن الإسناد متصل بدليل رواية قتيبة ومن تابعه الذين روه بصيغة ظاهرة في الإرسال، وقد نبه الحافظان ابن رجب، وابن حجر - رحمهما الله تعالى - على وقوع مثل هذا الصنيع عند المتقدمين، ينظر شرح العلل (٢:٦٠٢)، والنكت (٢:٥٨٦ - ٥٨٩) فقد ذكرا عدة أمثلة لهذه المسألة.

وخلاصة القول في هذا الحديث أنه ضعيف من وجهين:

- جهالة ولد أبي سلمة.

- عدم ثبوت سماع هذا الرجل من أم سلمة، مع وجود قرينة ترجح عدم السماع وهي قوع الإرسال في الرواية.

وقد جاء للحديث طريق أخرى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: يغزو الرجال ولا تغزو النساء، وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، قال مجاهد: وأنزل فيها: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ وكانت أم سلمة أول طعينة قدمت المدينة مهاجرة. والحديث أخرجه بهذا اللفظ الترمذي (٥:١١٨) رقم (٣٠٢٢) عن ابن أبي عمر، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة فذكره.

وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١:١٥٦)، ومن طريقه ابن جرير (٤:٤٧)، وسعيد بن منصور (٤:١٢٣٦) رقم (٦٢٤)، وأحمد (٤:٣٢٠) رقم (٦٧٣٦)، وأبو يعلى (١٢:٣٩٣) رقم (٦٩٥٩)، عن داود بن عمرو، والواحدي في أسباب النزول (٩٩) من طريق قتيبة، خمستهم (عبد الرزاق، وسعيد، وأحمد، وداود، وقتيبة) عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: قالت أم سلمة ... فذكره بخوه، إلا أنهم جميعاً لم يذكروا قول مجاهد: وكانت أم سلمة أول طعينة قدمت إلى المدينة، وبعضهم يقتصر على ذكر نزول آية ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ﴾ ... { وبعضهم يذكر آية الأحزاب ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ وبعضهم يقتصر على آية النساء ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ وبهذا يتبين أن ابن أبي عمر شيخ الترمذي تفرد بقوله في الإسناد (عن مجاهد عن أم سلمة) عن سائر أصحاب ابن عيينة الذين قالوا: عن مجاهد قال: قالت أم سلمة هكذا مرسلًا.

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣:٩٣٥) رقم (٥٢٢٤، ٥٢٢٥) من طريق يحيى القطان، ووكيع، ويعلى بن شداد، وابن جرير (٣:٢١٥)، (٤:٤٦) من طريق مؤمل بن إسماعيل وفي (٤:٤٧) من طريق معاوية بن هشام، والطبراني في الكبير (٢٣:٢٨٠) رقم (٦٠٩)، من طريق محمد بن كثير، والحاكم في (٢:٣٠٥)، من طريق قبيصة بن عقبة، وفي (٢:٤١٦)، من طريق الحسين بن حفص ثمانيتهم (القطان، ووكيع، ويعلى، ومؤمل، ومعاوية، وابن كثير، وقبيصة، والحسين) عن الثوري، عن ابن أبي نجيح، به، باختلاف مشابه لاختلاف الرواة على ابن عيينة في متنه، إلا أن يعلى، ومعاوية، ومحمد بن كثير، ومؤملًا قالوا: في حديثهم: عن مجاهد قال: قالت أم سلمة، هكذا مرسلًا، ورواه الباقر فقالوا: عن مجاهد، عن أم

سلمة وأخرجه ابن جرير (٤:٤٧)، من طريق شبل بن عباد، وفي (٤:٤٧) من طريق عيسى بن ميمون كلاهما (شبل، وعيسى) عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مرسلًا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾، قول النساء ليتنا رجال فنغزو، ونبلغ ما يبلغ الرجال ولم يذكر أم سلمة، وهذا لفظ عيسى. وبالنظر في هذه الطرق إلى ابن أبي نجيح، نجد أن الراجح في حديث ابن عيينة هو روايته عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قالت أم سلمة، كما هي رواية الجماعة، وأما رواية الثوري فتبين أن بعض أصحابه روه كما رواه عامة أصحاب ابن عيينة، وخالفهم من هو أوثق منهم فرووه بالنعنة بين مجاهد وأم سلمة، وهذا في الحقيقة ليس اختلافًا بل مراد من حكاها بالنعنة أي عن قصة أم سلمة لما قالت للنبي صلى الله عليه وسلم كذا وكذا كما سبق توضيحه قريباً، ويؤيده رواية ابن عيينة، وكذا رواية عيسى بن ميمون، وشبل بن عباد الذين رواه عن مجاهد مرسلًا بدون ذكر أم سلمة، وهذا يدل على أن المعروف في هذا الحديث أنه من رواية مجاهد مرسلًا، وهذا الذي صوبه الإمام الترمذي - رحمه الله - حيث قال عقب

دراسة السبب:

هكذا جاء في سبب نزول الآية الكريمة. وقد أورد جمهور المفسرين هذا الحديث عند تفسير الآية كالطبري والبغوي وابن عطية والقرطبي^١.

قال الطبري: (وذكر أنه قيل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما بال الرجال يذكرون ولا تذكر النساء في الهجرة فأُنزل الله هذه الآية) اهـ.

وقال ابن عطية: (وروي أن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: يا رسول الله، قد ذكر الله تعالى الرجال في الهجرة ولم يذكر النساء في شيء من ذلك فنزلت الآية) اهـ.

والراجح - والله أعلم - أن الآية لم تنزل بسبب قول أم سلمة - رضي الله عنها - لوجهين:

الأول: أن هذا لم يصح عنها - رضي الله عنها - للعلة المذكورة في إسناد الحديث.

الثاني: أن السياق القرآني لا يؤيد هذا ولا يسعفه، وإنما يؤيد أن الآية جاءت جواباً من الله لهؤلاء الذين يدعونهم رهباً ورغباً بقولهم: ﴿فَقِنَا غَذَابَ النَّارِ﴾ .. { إلى قولهم } .. { رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ } { رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ } [آل عمران: ١٩١ - ١٩٤] ثم قال: { فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ } .. {

ولو كانت الآية نزلت بسبب قول أم سلمة - رضي الله عنها - لانقطع الاتصال بين الدعاء والجواب وهذا لا يخفى على من تأمله.

ولهذا قال الطبري مؤيداً لهذا المعنى بعد سياق الآية: (يعني تعالى ذكره فأجاب هؤلاء الداعين بما وصف الله عنهم أنهم دعوا به ربههم بأني لا أضيع عمل عامل منكم عمل خيراً ذكراً كان العامل أو أنثى)^٢ اهـ.

وقال ابن كثير بعد سياق الآية: (ومعنى الآية أن المؤمنين ذوي الأبواب لما سألو ما سألو مما تقدم ذكره فاستجاب لهم ربههم عقب ذلك بفاء التعقيب كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقوله

إخراج أثر أم سلمة من رواية مجاهد عنها: "وهذا مرسل، ورواه بعضهم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مرسلًا، أن أم سلمة قالت: كذا وكذا" اهـ. وخلاصة القول: أن الراجح في هذا الحديث أنه من مراسلات مجاهد - رحمه الله - واختلاف مخرج هذا المرسل - مع صحته إلى مجاهد - مع مخرج المرسل الذي رواه بعض ولد أم سلمة - مع صحته إليه - لعله مما يقوي بعضهما بعضاً، والله أعلم.

فإن قال قائل: كيف قلت وقد جاء للحديث طريق أخرى بعد سياق حديث أم سلمة في نزول آية آل عمران مع أن الحديث عند الترمذي (أعني الطريق الأخرى) ليس فيه ذكر لآية آل عمران؟

فالجواب: أن جميع أصحاب الثوري ما عدا قبيصة ومعاوية ذكروا في حديثهم أن سبب نزول آية آل عمران هي هذه القصة. وهذا يدل على أن بعض الرواة أو المصنفين يختصر في سياق متن الحديث، ويؤيده أن ابن جرير أخرج الحديث عن مؤمل بن إسماعيل في موضعين فذكر في أحدهما آية آل عمران لكونه أورد الحديث في تفسير تلك الآية، فلما جاء إلى تفسير آية النساء أورد فيها ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾ ولم يذكر آية آل عمران

^١ حاشية المزيني: جامع البيان (٤: ٢١٥)، معالم التنزيل (١: ٣٨٦، ٣٨٧)، المحرر الوجيز (٣: ٣٢٣)، الجامع لأحكام القرآن (٤: ٣١٨).

^٢ حاشية المزيني: جامع البيان (٤: ٢١٥).

تعالى: ﴿أَتَى لَا أَضِيعُ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَى﴾ هذا تفسير للإجابة أي قال لهم مخبراً أنه لا يضيع عمل عامل منكم لديه، بل يوفي كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثى^١ اهـ.

النتيجة:

أن الآية لم تنزل بسبب قول أم سلمة - رضي الله عنها - وإنما جاءت جواباً من الله سبحانه لهؤلاء الخاشعين الذين يدعون ربهم رغبةً في جزائه وعطائه ورهبةً من عقابه فأجابهم المنعم المتفضل إلى ما طلبوا ونجاهم مما هربوا والله ذو الفضل العظيم، وإنما اخترت هذا لدلالة سياق الآيات عليه وعدم وجود معارض راجح صحيح والله أعلم. [أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، ص ٧٢]

الآية ١٩٩

الوادي

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ الآية ١٩٩.

قال الإمام أبو بكر البزار رحمه الله ج ١ ص ٣٩٢ حدثنا محمد عبد الرحمن بن المفضل الحارثي ثنا عثمان بن عبد الرحمن ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حميد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم. "ح" وحدثنا أحمد بن بكار البايلي ثنا المعتمر بن سليمان ثنا حميد الطويل عن أنس أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلى على التجاشي حين نعي فقيل يا رسول الله تصلي على عبد حبشي فأنزله ﷺ ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ... الْآيَةِ﴾ الحديث بالسند الأول ينظر في بعض رجاله ورجال الإسناد الثاني صالحون للحجية إلا أن حميد مدلس ولم يصرح بالتحديث. ولكن للحديث طريق أخرى إلى حميد قال النسائي رحمه الله في التفسير ج ١ ص ٤١ أنا عمرو بن منصور أنا يزيد بن مهران أنا أبو بكر بن عياش عن حميد عن أنس قال لما جاء نعي التجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم "صلوا عليه". قالوا يا رسول الله تصلي على عبد حبشي. فأنزله الله ﷻ ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ﴾.

أنا عمرو بن منصور أنا يزيد بن هارون^٢ أو خالد الخباز أنا أبو بكر بن عياش عن حميد عن الحسن مثله. وهذا أيضاً حميد مدلس ولم يصرح بالتحديث والظاهر أنه رواه على الوجهين عن الحسن مرسلًا وعن أنس والله أعلم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله ج ١ ص ٤٤٣ وروى ابن أبي حاتم وأبو بكر بن مردويه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك وذكره نحوه ثم قال ورواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم من طريق أخرى عن حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ا. هـ المراد منه.

والحافظ الهيثمي يقول في مجمع الزوائد من حديث أنس ج ٣ ص ٣٨ رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال الطبراني رجال الصحيح. ثم ذكره من حديث أبي سعيد الخدري وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو ضعيف.

^١ حاشية المزيني: تفسير القرآن العظيم (١: ٤٤١).

^٢ حاشية الصحيح المسند من أسباب النزول: كذا وصوابه ابن مهران كما في تهذيب التهذيب وليس بيزيد بن هارون الواسطي.

وعن وحشي قال لما مات النجاشي قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم قال رواه الطبراني في الكبير وفيه سليمان بن أبي داود الحراني وهو ضعيف. ١٠ هـ المراد منه من مجمع الزوائد.

قال أبو عبد الرحمن ورواه الحاكم من حديث عبد الله بن الزبير وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه كذا وقال وهو من طريق مصعب بن ثابت وهو ضعيف ولكن الحديث بجموع طرقه يرتقي إلى الحجية والله أعلم. [الصحيح المسند، ص ٦٠]

المزيبي ٤٢ سبب النزول:

أخرج النسائي عن أنس - رضي الله عنه - قال: لما جاء نبي النجاشي قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (صلُّوا عليه) قالوا: يا رسول الله، نصلي على عبد حبشي؟ فأنزل الله - عز وجل -: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ﴾^١.

^١ حاشية المزيبي: أخرجه النسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٦:٣١٩) رقم (١١٠٨٨) عن عمرو بن منصور، والطبراني في الأوسط (٥:٣٩٤) رقم (٥١٤٧) من طريق محمد بن علي بن شعيب كلاهما (عمرو، ومحمد) عن يزيد بن مهران، عن أبي بكر بن عياش، والبخاري في مختصر زوائده لابن حجر (١:٣٦٠) رقم (٥٨٩) - عن محمد بن عبد الرحمن الحراني، عن عثمان بن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن بن ثابت، والبخاري أيضاً في الموضع السابق - عن أحمد بن بكار، عن المعتمر بن سليمان، ثلاثتهم (ابن عياش، وعبد الرحمن، والمعتمر) عن حميد، عن أنس بن بكرة، إلا أن أبا بكر بن عياش رواه مرة عن حميد، عن الحسن مرسلاً، وهذا من قبله هو، فليس هو بالمتقن، بل له أغلاط وأوهام، كما يتبين ذلك من ترجمته في تهذيب التهذيب (١٢:٣٧)، وأخرجه الطبراني في الأوسط (٣:١٨٨) رقم (٢٦٨٨) من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن سبلة، عن ثابت البناني عن أنس فذكره بخوه. وبالنظر في هذه الأسانيد، نجد أن للحديث طريقين إلى أنس.

الأول: من رواية حميد، وله عنه ثلاثة طرق:

الأولى: التي رواها أبو بكر بن عياش واضطرب في إسنادها كما تقدم، وقد أورد النسائي الطريق المرسلة عقب الموصولة إشارة منه إلى إعلاها للموصولة، وقد أشار الطبراني إلى إلال هذا الخبر بقوله: (لم يرو هذا الحديث عن حميد إلا أبو بكر بن عياش والمعتمر بن سليمان. الثانية: الطريق التي رواها البخاري عن محمد بن عبد الرحمن الحراني، عن عثمان، عن عبد الرحمن بن ثوبان، وهذا إسناد غريب وضعيف، فشيخ البخاري، وهو الحراني لم أظفر له - بعد البحث الشديد - بترجمة، وشيخه عثمان: (صدوق

أكثر الرواية عن الضعفاء والمجاهيل فضعف بسبب ذلك، حتى نسب ابن عمير إلى الكذب، وقد وثقه ابن معين) كما في التقريب (٤٤٩٤)، وأما عبد الرحمن بن ثابت، فهو أيضاً (صدوق يخطئ ورمي بالقدر) كما في التقريب (٣٨٢٠)، فهذه الطريق لغرابتها الشديدة، لم يتعرض لها الحافظان الطبراني والدارقطني عند نقدهما لبعض طرق هذا الحديث - كما تقدم وكما سيأتي قريباً - وعليه فلا عبرة بها ولا أثر لها.

الثالثة: الطريق التي رواها أحمد بن بكار، عن المعتمر، عن حميد. قال الدارقطني - كما في: (أطراف الغرائب) (٢:٨٠) رقم (٨٠٦) -: (غريب من حديث حميد، عن أنس، تفرد به المعتمر، ولا نعلم رواه غير أبي هانئ أحمد بن بكار).

وقوله - رحمه الله -: إن المعتمر تفرد به، متعقب بما تقدم من رواية أبي بكر عن حميد، لكن تبقى العلة الأخرى قائمة وهي تفرد أحمد بن بكار به عن المعتمر، مع كثرة أصحابه، فأين الإمام أحمد، وابن المديني، ومسدود وغيرهم من كبار الحفاظ من أصحاب المعتمر؟ وأحمد بن بكار صدوق كما في التقريب (١٦)، أي: أن في حفظه شيئاً تفرد به هذا الخبر دليل على وهمه وغلطه والله أعلم.

الطريق الثاني من طرق الحديث إلى أنس: ما رواه مؤمل بن إسماعيل، عن حماد، عن ثابت عن أنس، وقد أعله الطبراني بقوله: (لم يرو هذا الحديث عن حماد إلا مؤمل) ومؤمل بن إسماعيل قال عنه البخاري: منكر الحديث، ومشاه بعض الأئمة، إلا أن الراجح أنه إلى الضعف أقرب، كما يتبين من ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠:٣٣٩) ومع ضعفه فقد تفرد به عن حماد، الذي يروى عنه أمثال ابن المبارك والقنيني وابن مهدي وغيرهم من كبار الأئمة وبهذا يتبين أن طرق هذا الحديث كلها معلولة، ولا يثبت منها شيء وقد جاء في معناه حديثان:

أحدهما: عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عند الطبراني في الأوسط (٥:١١٨) رقم (٤٦٤٥) لكنه ضعيف لتفرد عبد الرحمن بن

دراسة السبب:

هكذا جاء في سبب نزول الآية الكريمة وقد أورد المفسرون هذا الحديث وغيره عند تفسير الآية منهم الطبري والبخاري وابن عطيّة والقرطبي وابن كثير وغيرهم.

والظاهر عندي والله أعلم أن الآية إنما تتحدث عن مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام - رضي الله عنه - وغيره وبيان ذلك أن يقال:

إن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] قد تقرر أنها نزلت في اليهود كما تقدم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ثم ذكر - سبحانه وتعالى - حال المؤمنين في تفكيرهم وذكرهم لربهم ودعائهم إياه وما أجابهم به وتفضل عليهم ثم عاد بعد ذلك إلى ذكر الطائفة الأخرى من أهل الكتاب فأثنى عليهم بإيمانهم وخشوعهم وما لهم من الأجر عند الله على ذلك.

ولعل مما يعضد هذا الفهم وأن الحديث عن طائفتين من أهل الكتاب كافرة ومؤمنة أن الله قال عن الكافرة: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ أي نبذوا الكتاب. بينما وصف الأخرى بأنهم ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ فهاتان طائفتان متقابلتان.

فإن قال قائل: لماذا قدم الحديث عن الفئة الكافرة وأخر الحديث عن الطائفة المؤمنة ولم يجعل الحديث عنهما متصلاً؟

فالجواب: أن الحديث عن الفئة الكافرة قدمه لصلته بما قبله من الحديث عنهم في وصفهم لربهم بأنه فقير وهم أغنياء وما تلى ذلك من مقالات السوء التي لا ينقطعون عنها.

وأخر الحديث عن مؤمني أهل الكتاب لأنهم يتلون في الرتبة والمنزلة الذين آمنوا وهاجروا وهذا ليس بغريب في القرآن، فلو نظرت إلى الآيات في سورة الحشر لوجدت الله قدم المهاجرين بقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ { .. } ثم أتبعهم بالأنصار في قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ثم أتبعهم ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ { ... } [الحشر: ١٠، ١١، ١٢] ومثله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧].

أما الحديث عن النجاشي، فضعيف لضعف الحديث في ذلك، وعدم المناسبة بين سياق القرآن وسياق الحديث.

النتيجة:

أن الآية لم تنزل على سبب صحيح بل هي تتحدث عن المؤمنين من أهل الكتاب في إيمانهم وخشوعهم لله وما أعد

زيد بن أسلم به عن أبيه - كما يقول الطبراني - وهو - أي عبد الرحمن - (ضعيف) كما في التقريب (٣٨٦٥).

الحديث الثاني: عن وحشي بن حرب - رضي الله عنه - عند الطبراني في الكبير (٢٢: ١٣٦) رقم (٣٦١)، وفي إسناده ضعف أيضاً، قال في المجمع (٣: ٣٩): (وفيه سليمان بن أبي داود الحراني، وهو ضعيف) وفيه أيضاً وحشي بن حرب بن وحشي بن حرب، قال صالح جزرة: لا يشتغل به، ولا بأبيه ميزان الاعتدال (٤: ٣٣١).

ومما يؤيد ضعف هذه الأحاديث التي فيها أن سبب نزول الآية هو قصة موت النجاشي، مما يؤيد ضعفها أن الحديث مخرج في الصحيحين من غير وجه عن بعض الصحابة وليس فيها كلها ذكر لسبب نزول الآية، غاية ما فيها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه ثم خرج بهم إلى المصلى وكبر عليه أربعاً كما في حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري برقم (١٢٥٥)، ومسلم برقم (٩٥١).

^١ حاشية المزيني: جامع البيان (٤: ٢١٨)، (٢١٩)، معالم التنزيل (١: ٣٨٨)، المحرر الوجيز (٣: ٣٢٧)، الجامع لأحكام القرآن (٤: ٣٢٢)، ابن كثير (١: ٤٤٣).

سورة النساء

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَعَاتُوا أَلْيَتِي أَمْوَالَهُمْ
وَلَا تَتَّبَدَّلُوا الْحَيْثُ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ
كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي أَلْيَتِي فَانكِحُوا
مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَّةَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا
فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَعَاتُوا
النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هَيْنًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ
قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا
أَلْيَتِي حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا
إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ
غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا
دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

الغريب

خَلَقَكُمْ

السطر ٢ · الآية ١

(مادة خلق) نحو:

الراغب

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾

وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

السطر ٣ · الآية ١

ابن قتيبة

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ أي نشر في الأرض.

الراغب

(مادة كثر) وقال:

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾

ابن الهائم

﴿وَبَثَّ﴾: نشر.

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ

السطر ٣ · الآية ١

أبو عبيدة

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾: ١ اتقوا الله والأرحام نصب، ومن جرها فإنما يجرها بالباء.

ابن قتيبة

﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ مَنْ نَصَبَ أَرَادَ: اتقوا الله الذي تساءلون به واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

ابن الهائم

وَمَنْ خَفَضَ أَرَادَ: الذي تساءلون به وبالأرحام ٢. وهو مثل قول الرجل: نَشَدْتُكَ بالله وبالرحم ٣.

﴿الْأَرْحَامَ﴾: القربات، واحدها رحم. والرحم في غير هذا الموضع: ما يشتمل على ماء الرجل

من المرأة ويكون منه الحمل (زه) وفي الرحم أربع لغات: فتح الراء مع كسر الحاء وسكونها، وكسر الراء معهما.

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: قرأ حمزة بالخفض «تساءلون به والأرحام»، والباقون بالنصب، انظر الداني ٩٣.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: الذين قرءوا بالجر: حمزة، والنخعي، وقتادة، والأعمش، كما في تفسير القرطبي ٥/٢ والبحر المحيط ٣/١٥٧، وقد تكلم فيها النحويون فقال رؤساء البصريين: هو لحن لا تحل القراءة به، وقال الكوفيون: هو قبيح. ومن ردها: المبرد والزجاج، وابن عطية في تفسيره، والزمخشري في الكشاف ١/٢٤١ وقد دافع عنها: عبد الرحيم القشيري وأبو حيان الأندلسي كما دافع عن حمزة. وتفصيل ذلك في البحر المحيط وتفسير القرطبي.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في تفسير القرطبي ٥/٣ «هكذا فسر الحسن والنخعي ومجاهد وهو الصحيح في المسألة..» وفي البحر ٣/١٥٧ «ويؤيده قراءة عبد الله: «وبالأرحام» وكانوا يتناشدون بذكر الله والرحم».

كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

السطر ٤ · الآية ١

أبو عبيدة

﴿كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ : حافظا، وقال أبو دؤاد الإيادي:

كمقاعد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد^١ الضرب الذي يضرب بالقداح نهدت أي مدوها.

ابن الهائم

﴿رَقِيبًا﴾: حافظا [زه] وقيل: علما.

الَّتِي تَمَنَّى

السطر ٤ · الآية ٢

الراغب

(مادة يتم) قال تعالى: ﴿وَأَتُوا التَّيْمَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾

الْحَيْثِ

السطر ٥ · الآية ٢

الراغب

(مادة خبث) ﴿بِالطَّيِّبِ﴾ ، أي: الحرام بالحلال

بِالطَّيِّبِ

السطر ٥ · الآية ٢

الراغب

(مادة طيب) قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَيْثِ بِالطَّيِّبِ﴾

، أي:

الأعمال السيئة بالأعمال الصالحة، وعلى هذا

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ

السطر ٥ · الآية ٢

ابن قتيبة

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: مع أموالكم مضمومة إليهما.

والحوب الإثم. وفيه ثلاث لغات: حُوب. وَحُوب. وَحَابٌ.

إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا

السطر ٥ · الآية ٢

أبو عبيدة

﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ أي إثمًا، قال أمية بن الأسكر الليثي:

وإنّ مهاجرين تكتنفاه... غداة إذ لقد خطئا وحابا^٢ وقال الهذلي:

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: أبو دؤاد: شاعر جاهلي، وهو أحد وصافي الخليل المجيدين، له ترجمة في الشعراء ١٢٠، والأغاني ١٥/٩١، والسمط ٨٧٩ - والبيت في الجهرة ٢/٣٠٤، والأغاني ١٥/٩٤، واللسان والتاج (رقب) .

^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «أمية بن الأسكر الليثي» ويقال الأشكر بالمعجمة شاعر مخضرم، أدرك الإسلام فأسلم، انظر المعمرين

ولا تخنوا على ولا تشطوا... بقول الفخر إن الفخر حوب^١
(مادة حوب) الحوب: الإثم، قال عنه: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ ، والحوب المصدر منه، وروي:
(طلاق أم أيوب حوب)^٢ ، وتسميته بذلك لكونه مزجورا عنه، من قولهم: حاب حوبا
وحوبا وحياة، والأصل فيه حوب لزجر الإبل، وفلان يتحوب من كذا، أي: يتأثم، وقولهم:
ألقى الله به الحوبة^٣ ، أي: المسكنة والحاجة.

الراغب

وحقيقتها: هي الحاجة التي تحمل صاحبها على ارتكاب الإثم، وقيل: بات فلان بحبة سوء^٤ .

والحوباء قيل هي النفس^٥ ، وحقيقتها هي النفس المرتكبة للحوب، وهي الموصوفة بـ
﴿حُوبًا كَبِيرًا﴾: إنما كبيراء والحوب^٦ ، بالفتح المصدر (زه) وقال ابن عيسى: أصله الحوب،
وهو زجر للجمل فيسمى به الاسم للزجر عنه، يقال: حاب الرجل يحوب حوبا وحوبا، وقد
تحوب: تأثم منه.

ابن الهائم

﴿حُوبًا﴾... إلخ.

السراج

السطر ٦ · الآية ٣

وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ

﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ وإن أيقنتم ألا تعدلوا.
﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ أي: فإن علمتم أنكم لا تعدلون بين اليتامى. يقال: أقسط
الرجل: إذا عدل. ومنه قول النبي صلى الله عليه وعلى آله: "المقسطون في الدنيا على منابر من
لؤلؤ يوم القيامة" ويقال: قسط الرجل: إذا جار بغير ألف. ومنه قول الله: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ
فَكَانُوا لِحَبَّتِهِمْ حَاطًا﴾^٧ .

أبو عبيدة

ابن قتيبة

(مادة خوف) وقال: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾

الراغب

، وقوله:

رقم ٦٩ والأغاني ١٨/١٥٦، والإصابة ١/١٥٠، والخزانة ٢/٥٠٥ - والبيت في طبقات الجمحي ٤٤، والطبري ٤/١٥٤، والأغاني
١٨/١٥٨، والإصابة ١/١٥٠، والخزانة ٢/٥٠٢ وهو من كلمة قالها في ابنه كلاب الذي لقي ذات يوم طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام
فسألهما: أي الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقالا: الجهاد، فسأل عمر فأغراه في جيش، وكان أبوه كبير وضعف فطالت غيبته عنه فقال... إلخ.
^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: الهذلي: أبو ذؤيب. - والبيت في ديوان الهذليين ١/٩٨، وفي الأضداد لابن الأنباري ١١٠. [.....]
^٢ حاشية المحقق على المفردات: الحديث عن ابن عباس أن أبا أيوب طلق امرأته، فقال له النبي ﷺ: «إن طلاق أم أيوب كان حوبا» .
أخرجه الطبراني، وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني، وهو ضعيف، انظر: مجمع الزوائد: باب فضائل أم أيوب ٩/٢٦٥.
قال ابن سيرين: الحوب: الإثم.

^٣ حاشية المحقق على المفردات: انظر: المجمل ١/٢٥٥.

^٤ حاشية المحقق على المفردات: انظر: اللسان (حوب) ١/٣٣٩، والمجمل ١/٢٥٥.

^٥ حاشية المحقق على المفردات: انظر: الغريب المصنف ورقة ٨ نسخة الظاهرية.

^٦ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: قرأ حوبا بفتح الحاء وسكون الواو الحسن وابن سيرين (مختصر في شواذ القرآن ٢٤) .

^٧ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة الجن ١٥.

﴿تَقْسِطُوا﴾ ... تَعْدِلُوا.

السراج

طَابَ

السطر ٧ · الآية ٣

(مادة طيب) يقال: طَابَ الشيءُ يَطِيبُ طَيْبًا، فهو طَيِّبٌ.

الراغب

قال تعالى: ﴿فَأَنذِكُوهَا مَا طَابَ لَكُمْ﴾

مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ

السطر ٧ · الآية ٣

﴿مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى﴾ أي ثنتين، ولا تنوين فيها، قال ابن عنمة الضبي:

أبو عبيدة

يباعون بالبعران مثنى وموحدا^١

وقال الشاعر:

ولكنما أهلى بواد أنيسه ... ذئاب تبغى الناس مثنى وموحدا^٢ قال النحويون: لا ينون^٣ «مثنى» لأنه مصروف عن حده، والحد أن يقولوا: اثنين وكذلك ثلاث ورباع لا تنوين فيهما، لأنه ثلاث وأربع في قول النحويين، قال صخر بن عمرو بن الشريد السلمي:

ولقد قتلتم ثناء وموحدا ... وتركت مرة مثل أمس المدبره

فأخرج اثنين على مخرج ثلاث، قال صخر الغي الهذلي:

منت لك أن تلاقيني المنيا ... أحاد أحاد في شهر حلال^٤ منت لك، تقول: قدّرت لك، والمنيا: الأقدار، يقال: منت تمنى له منيا فأخرج الواحد مخرج ثناء وثلاث، ولا تجاوز العرب رباع، غير أن الكهيت بن زيد الأسدي قال:

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: ابن عنمة: هو عبد الله بن عنمة الضبي من الشعراء المخضرمين، انظر الاشتقاق ١٢٣ والمؤتلف ٩٤ والخزانة ٣/ ٥٨٠.

^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: البيت لساعدة بن جؤية في ديوان الهذليين ١/ ٢٧٧. وفي اللّكّاب ٢/ ١٥، والمذكر والمؤنث لأبي حاتم ١١٠ آوازجاج ١/ ٥٧ ب، والاقضاب ٤٦٧ والشتيمرى ٢/ ١٥، والقرطبي ٥/ ١٦ واللسان (بغى) والعيني ٤/ ٣٥٠.

^٣ حاشية المحقق على مجاز القرآن: - س ٤ من ص ١١٦ «لا ينون ... عشارا». ورد في البخاري: مثنى وثلاث ورباع اثنين وثلاثا وأربعا، ولا تجاوز العرب رباع. وقال ابن حجر (٨/ ١٧٨): كذا وقع لأبي ذر، فأوهم أنه عن ابن عباس، وإنما هو تفسير أبي عبيدة قال: لا تنوين ... وأربع. ثم أنشد شواهد لذلك ثم قال ولا تجاوز العرب «رباع» غير أن الكهيت قال: «فلم يستريوك» البيت: انتهى.

^٤ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «لأنه»: أي لأن الحد.

^٥ حاشية المحقق على مجاز القرآن: صخر: هو أخو الخنساء، ترجمته مع ترجمتها في مقدمة ديوانها والشعراء ١٩٧ والأغانى ١٣/ ١٣٩. - والبيت: في الطبري ٤/ ١٥٩ والمذكر والمؤنث لأبي حاتم ١١٠ آوازجاج ١/ ١٣٩ والعقد الفريد ٣/ ٣٢١ والاقضاب ٢٧٠، ٤٦٦ والخزانة ٢/ ٤٧٤. صوب ابن السيد رواية البيت هذه كما أنشد عن أبي عبيدة ثم قال: والشعر لصخر ... يقوله لبني مرة بن سعد بن ذبيان.

^٦ حاشية المحقق على مجاز القرآن: صخر الغي الهذلي: أخباره في الأغاني ٢٠/ ٢٠. - والبيت قد نسب في الأصلين إلى صخر الغي الهذلي، ولم أجده في أشعاره، وهو في كلمة لعمرؤ ذى الكلب الهذلي في ديوان الهذليين ٣/ ١١٧ وفي الجمهرة (٢/ ١٢٧) وفي الطبري ٤/ ١٥٩ واللسان (منى) من غير عزو.

فلم يستريوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا^١ فجعل عشار على مخرج ثلاث ورباع.
وَقَالَ غَيْرُهُ: ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ﴾: يَعْنِي اثْنَتَيْنِ وَثُلَاثًا وَأَرْبَعًا، وَلَا تُجَاوِزُ الْعَرَبُ رُبَاعًا.
(مادة ثني) وقال: ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعًا﴾

البخاري

الراغب

فيقال: ثَنَيْتُهُ ثَنِيَّةً: كنت له ثانيا، أو أخذت نصف ماله، أو ضمنت إليه ما صار به اثنين.
وَالثَنَى: ما يعاد مرتين، قال ^{الثاني}:

«لا ثني في الصدقة»^٢ أي: لا تؤخذ في السنة مرتين. قال الشاعر:

-٨٤-

لقد كانت ملامتها ثني

«

وامرأة ثني: ولدت اثنين، والولد يقال له:

ثَنِيٌّ، وحلف مينا فيها ثنياً وثنوى وثنيةً ومثنويةً^٣، ويقال للآوي الشيء: قد ثناه، نحو

(مادة ربع) وقال:

الراغب

﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعًا﴾

، وَرَبَعْتُ الْقَوْمَ أَرْبَعُهُمْ: كنت لهم رابعا، وأخذت ربع أموالهم، وَرَبَعْتُ الْحَبْلَ: جعلته على أربع قوى، والرَّيْعُ من أظماء الإبل، والحمى^٤، وَأَرْعَ إِبْلَهُ: أوردتها ربعا، ورجل مربع، ومربع:

أخذته حمى الربيع. والأربعاء في الأيام رابع الأيام من الأحد، والربيع: رابع الفصول الأربعة. ومنه قولهم: ربع فلان وأربع: أقام في الربيع، ثم يتجوز به في كل إقامة، وكل وقت، حتى سمي كل منزل ربعا، وإن كان ذلك في الأصل مختصا بالربيع. والرُّبْعُ، والرُّبْعِيّ: ما نتج في الربيع، ولما كان الربيع أولى وقت الولادة وأحمدته استعير لكل ولد يولد في الشباب فقيل:

-١٧٨-

أفلح من كان له ربيعون^٥ والمرباع: ما نتج في الربيع، وغيث مُرْبِع:

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: في الطبري ١٥٩ / ٤ والكشف والبيان ٢٧٢ (نسخة جامعة إستانبول) والاقتضاب ٤٦٧ والقرطبي ٥ / ١٦ والصحاح واللسان والتاج (عشر) وابن يعين ٧٥ / ١ والخزانة ٨٢ / ١.

^٢ حاشية المحقق على المفردات: الحديث أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ٩٨ / ١، وابن الأثير في النهاية ٢٤٤ / ١، والفاقي ١٥٨ / ١، ورواته ثقات.

^٣ حاشية المحقق على المفردات: هذا كله بمعنى الاستثناء.

^٤ حاشية المحقق على المفردات: الربيع في الحمى: إتيانها في اليوم الرابع.

^٥ حاشية المحقق على المفردات: هذا مجز بيت، وشطره:

إِنَّ بَنِي صَبِيَةَ صَبِيَّوْنَ

وهو لسعد بن مالك بن ضبيعة، وقيل: لأكرم بن صيفي، وهو الأشهر.

والرجز في اللسان (ربيع) ، والمجمل ٤١٥ / ٢، والوادد ص ٨٧، والحليوان ١٠٩ / ١.

يَأْتِي فِي الرَّبِيعِ. وَرَبَعَ الْحَجَرَ وَالْحَمْلَ: تناول جوانبه الأربع، والمربّع: خشب يربع به، أي: يؤخذ الشيء به، وسمي الحجر المتناول ربعة.
وقولهم: أربّع على ظلعك^١، يجوز أن يكون من الإقامة، أي: أقم على ظلعك، ويجوز أن يكون من ربع الحجر، أي: تناوله على ظلعك^٢.
والمربّاع: الرُّبُع الذي يأخذه الرئيس من الغنم، من قولهم: رَبَعْتُ الْقَوْمَ، واستعيرت الرِّبَاعَةُ للرئاسة، اعتباراً بأخذ المرباع، فقيل: لا يقيم رِبَاعَةَ الْقَوْمِ غَيْرُ فُلَانٍ. والرَّبْعَةُ: الجونة^٣، لكونها في الأصل ذات أربع طبقات، أو لكونها ذات أربع أرجل. والرِّبَاعِيَتَانِ قيل: سميتا لكون أربع أسنان بينهما، ولي
﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾: ثنتين ثنتين وثلثا ثلاثا وأربعا أربعا (زه) وهذه الألفاظ لا تنصرف للعدل والوصف.

ابن الهائم

السطر ٧ · الآية ٣

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾: ٤ مجازة: أيقنتم، قالت ليلي بنت الحماس:

أبو عبيدة

قلت لكم خافوا بألف فارس ... مقتعين في الحديد اليباس

أي أيقنوا. قال: ٥ لم أسمع هذا من أبي عبيدة.

(مادة عدل) ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾

الراغب

، فإشارة إلى العدل الذي هو القسم والنفقة

السطر ٨ · الآية ٣

مَلَكَتْ

(مادة ملك) ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾

الراغب

^١ حاشية المحقق على المفردات: قال ابن فارس: أربع على ظلعك، أي: تمكث، ويقال: انتظر. المجلد ٢ / ٤١٥، والأمثال ص ٣٢٣.

^٢ حاشية المحقق على المفردات: الظَّلْعُ كالغَمَزِ، ظلع الرجل والدابة في مشيه، عرج وغمز في مشيه.

وفي النوادر: فلان يرقأ على ظلعه، أي: يسكت على دائه وعييه.

وقيل معنى: ارق على ظلعك، أي: تصعد في الجبل، وأنت تعلم أنك ظالع لا تجهد نفسك. انظر: اللسان (ظلع).

^٣ حاشية المحقق على المفردات: انظر: اللسان (ربع) ١٠٧ / ٨. وهي سلة مستديرة مغطاة أدماء يجعل فيها الطيب. وقيل: مولدة.

^٤ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «فإن خفتهم ... إلخ»: قال أبو حاتم في الأضداد (٨٨): وكان أبو عبيدة يقول: خاف من الخوف ومن

اليقين، وكان يقول: «فإن خفتهم أَلَّا تَعْدِلُوا» يريد أيقنتم، ولا علم لي بهذا لأنه قرآن، وإنما نحكيه عن رب العالمين، ولا ندرى لعله ليس كما يظن.

^٥ حاشية المحقق على مجاز القرآن: قال: القائل هو أبو الحسن الأثرم.

ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا

السطر ٨ · الآية ٣

أبو عبيدة

﴿ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ أي أقرب ألا تجوروا، تقول: علت على أي جرت على.

ابن قتيبة

﴿ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ أي: ذلك أقرب إلى ألا تجوروا وتميلوا. يقال: علت على أي جرت على. ومنه العول في الفريضة^١.

الراغب

(مادة عول) عَالَهُ وَغَالَهُ يتقاربان. العول يقال فيما يهلك، والعول فيما يثقل، يقال: ما عالك فهو عائلٌ لي^٢، ومنه: العول، وهو ترك النصفة بأخذ الزيادة. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾، ومنه: عالت الفريضة: إذا زادت في القسمة المسماة لأصحابها بالنص، والتعويل: الاعتماد على الغير فيما يثقل، ومنه:

العول وهو ما يثقل من المصيبة، فيقال: وبله وعوله^٣، ومنه: العيال، الواحد

ابن الهائم

﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾: [ألا]؛ تجوروا وتميلوا. وأما من قال: أَلَّا تَعُولُوا: أَلَّا تَكْثُرُوا عِيَالَكُمْ، فهو غير معروف في اللغة. وقال بعض العلماء: إنما أراد بقوله: أَلَّا تَكْثُرُوا عِيَالَكُمْ: أَلَّا تَنْفَقُوا عَلَى عِيَال. وليس ينفع على عيال حتى يكون ذا عيال فكأنه أراد: ذلك أدنى ألا تكونوا ممن يعول قوما [زه] والأول قول الجمهور، وأصله الخروج عن الحد، ومنه القول في الفريضة والعويل: الخروج عن الحد في النداء. والقول الثاني معزو إلى الشافعي - رحمه الله - وأنكر ذلك قوم. وقال الكرماني وغيره: ليس بالمتكر فهو من هذا الأصل، أي أدنى أن لا تجاوزوا حدكم في الإنفاق.

قلت: وفيه أقوال أخر ومزيد بسط أوردته في التعليق على «الحاوي الصغير» أعان الله على تكميله.

السراج

﴿أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ ... أَقْرَبُ إِلَىٰ عَدَمِ الْجَوْرِ.

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ١٣/٥١٢ "عالت الفريضة، أي ارتفعت وزادت. وفي حديث علي: أنه أتى في ابنتين، وأبوين؛ وامرأة؛ فقال: صار ثلثا تسعا. قال أبو عبيد: أراد أن السهام عالت حتى صار للمرأة التسع. ولها في الأصل الثمن، وذلك أن الفريضة لو لم تعلق كانت من أربعة وعشرين، فلما عالت صارت من سبعة وعشرين. فلا بد من: الثلاثين ستة عشر سهما. وللأبوين: السدسان ثمانية أسهم. وللزوجة: ثلاثة من سبعة وعشرين. وهو التسع، وكان لها قبل العول: ثلاثة من أربعة وعشرين، وهو الثمن. وهذه المسألة تسمى "المنبرية" لأن عليا سئل عنها وهو على المنبر فقال من غير روية: صار ثلثا تسعا؛ لأن مجموع سهامها: واحد وثمان واحد، فأصلها ثمانية والسهام تسعة".

^٢ حاشية المحقق على المفردات: انظر: المجمل ٣/ ٦٣٩.

^٣ حاشية المحقق على المفردات: قال الأزهري: وأما قولهم: وبله وعوله، فإن العول البكاء، وقال أبو طالب: النصب فيهما على الدعاء والذم. انظر: اللسان (عول)، (بصرف).

^٤ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: زيادة تنسق مع اللفظ القرآني.

^٥ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: في الأصل: «أن تكونوا»، والمثبت من النزعة ٥٠. [.....]

السطر ٨ · الآية ٤

وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ أي مهرهن عن طيب نفس بالفريضة بذلك.

أبو عبيدة

﴿النساء﴾

أبو عبيدة

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ يعني المهور. واحداها صدقة. وفيها لغة أخرى: صدقة.

ابن قتيبة

﴿نِحْلَةً﴾ أي: عن طيب نفس. يقول ذلك لأولياء النساء لا لأزواجهن^١؛

ابن قتيبة

لأن الأولياء كانوا في الجاهلية لا يعطون النساء من مهرهن شيئا. وكانوا يقولون لمن ولدت له بنت: هنيئا لك النأخفة. يريدون أنه يأخذ مهرها إبلا فيضمها إلى إبله. فتَنفِجُها. أي تعظمها وتكثرها. ولذلك قالت إحدى النساء في زوجها:

* لا يأخذ الحلوآن من بناتياً^٢*

تقول: لا يفعل ما يفعله غيره. والحلوآن هاهنا: المهور.

وأصل النحلة العطية. يقال: نحلته نحلة حسنة. أي أعطيته عطية حسنة. والنحلة لا تكون إلا عن طيب نفس. فأما ما أخذ بالحكم فلا يقال له نحلة.

(مادة صدق) قال تعالى:

الراغب

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾

(مادة نحل) قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾

الراغب

والانتحال: ادعاء الشيء وتناوله، ومنه يقال: فلان ينتحل الشعر.

ونحل جسمه تحولا: صار في الدقة كالتحل، ومنه: التواحل للسيوف أي: الرقاق الطُّبَات تصورا لنحوها، ويصح أن يجعل النحلة أصلا، فيسمى النحل بذلك اعتبارا بفعله. والله أعلم

﴿صَدُقَاتِهِنَّ﴾: مهرهن، واحدها صدقة.

ابن الهائم

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: لا، بل الخطاب للأزواج، لأن الله ابتدأ ذكر الآية بخطاب التاكين النساء، ونهاهم عن ظلمهن والجور عليهن وعرفهم سبيل النجاة من ظلمهن. ولا دلالة في الآية على أن الخطاب قد صرف عنهم إلى غيرهم. فإذا كان ذلك كذلك، فنعلم أن الذين قبل لهم: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) هم الذين قبل لهم: (وأتوا النساء صدقاتهن) ، وأن معناه: وأتوا من نكحتهم من النساء صدقاتهن نحلة؛ لأنه قال في أول الآية: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) ولم يقل: "فانكحوا"، فيكون قوله: (وأتوا النساء صدقاتهن) مصروفا إلى أنه معني به أولياء النساء دون أزواجهن. وهذا أمر من الله أزواج النساء المدخول بهن والمسمى لهن الصداق، أن يؤتوهن صدقاتهن، دون المطلقات قبل الدخول ممن لم يسم لها في عقد النكاح صداق". راجع تفسير الطبري ٧/٥٥٤.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: أمالي القالي ٢/٢٧٦ وفي اللسان ١٨/٢١٠ "بناتياً".

﴿نَحْلَةً﴾: أي هبة أو فريضة بلغة قيس عيلان^١. يقال: المهور هبة من الله - ﷻ للنساء وفريضة عليكم.

ويقال: نحلة: ديانة، يقال: ما نخلتك أي ما دينك. (زه) والنحلة عطية تملك لا عن مثامنة وهو أصل.

﴿صَدَقَاتِهِنَّ﴾ ... مُوْرِهِنَّ.

السراج

﴿نَحْلَةً﴾ ... فَرِيضَةٌ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ.

السراج

السطر ٩ · الآية ٤

طِبْنٌ

(مادة طيب) ﴿فَإِنْ طِبْنٌ لَكُمْ﴾

الراغب

، وأصل الطَّيِّب:

ما تستلذه الحواس، وما تستلذه النفس، والطعام الطَّيِّبُ في الشرع: ما كان متناولاً من حيث ما يجوز، ومن المكان الذي يجوز فإنه متى كان كذلك كان طيباً عاجلاً وآجلاً لا يستوخم، وإلا فإنه - وإن كان طيباً عاجلاً - لم يطب آجلاً، وعلى ذلك قوله:

السطر ١٠ · الآية ٤

هَنِئًا مَرِيئًا

(مادة هئا) ﴿فَكُلُوْهُ هَنِئًا مَرِيئًا﴾

الراغب

(مادة [مري]) والمُرْوَةُ: كمال المرء، كما أنَّ الرجولية كمال الرجل، والمرء: رأس المعدة والكرش اللاصق بالحلقوم، ومُرْوُ الطعام وأمرأ: إذا تخصص بالمرء لموافقة الطبع، قال تعالى: ﴿فَكُلُوْهُ هَنِئًا مَرِيئًا﴾ .

مري

المَرِيَّةُ: التردد في الأمر، وهو أخص من الشك

﴿هَنِئًا مَرِيئًا﴾: قال ابن عباس: هنيئاً بلا إثم، مريئاً بلا داء. وقيل:

ابن الهائم

هنيئاً في الدنيا بلا مطالبة، مريئاً في الآخرة بلا تبعة. وقال ابن عيسى: الهنيء مشتق من هناء الإبل فإنه شفاء من الجرب.

﴿هَنِئًا مَرِيئًا﴾ ... حَلَالًا طَيِّبًا.

السراج

^١ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: ما ورد في القرآن من لغات العرب ١ / ١٢٩، والإتيان ٢ / ٩٨. وليس في الزهرة ٣٠٣ «بلغة قيس عيلان».

السطر ١٠ · الآية ٥

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ أي: لا تعطوا الجاهل أموالكم، والسفه الجهل. وأراد هاهنا النساء والصبيان^١.

ابن قتيبة

(مادة سفه) ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾

الراغب

، وقال في الأخرى:

﴿السُّفَهَاءُ﴾ ... مَنْ لَا يُحْسِنُونَ التَّصَرُّفَ فِي الْمَالِ.

السراج

السطر ١٠ · الآية ٥

الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا

﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ : مصدر يقيمكم، ويحيى في الكلام في معنى قوام فيكسر، وإنما هو من الذي يقيمك، وإنما أذهبوا الواو لكسرة القاف، وتركها بعضهم كما قالوا: ضياء للناس وضواء للناس.

أبو عبيدة

﴿قِيَمًا﴾ وقواماً بمنزلة واحدة. يقال: هذا قوام أمرك وقيامه أي: ما يقوم به أمرك.

ابن قتيبة

(مادة قوم) ﴿اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ ، أي:

الراغب

جعلها مما يمسككم. وقوله:

﴿قِيَمًا﴾: أي قواما، أي ما يقوم به أمركم.

ابن الهائم

السطر ١١ · الآية ٥

وَأَكْسُوهُمْ

(مادة كسا) ﴿وَأَرَزُّوهُمْ فِيهَا وَأَكْسُوهُمْ﴾

الراغب

السطر ١١ · الآية ٦

وَابْتَلُوا الَّتِي تَمَى

﴿وَابْتَلُوا الَّتِي تَمَى﴾ أي اختبروهم.

أبو عبيدة

﴿وَابْتَلُوا الَّتِي تَمَى﴾ أي: اختبروهم.

ابن قتيبة

﴿وَابْتَلُوا﴾ ... اخْتَبَرُوا.

السراج

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: قال الطبري ٧/٥٦٥ "والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا، أن الله عم بقوله: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) ، فلم يخص سفهاء دون سفهاء. فغير جائز لأحد أن يؤتي سفهاء ماله، صبيا صغيرا كان أو رجلا كبيرا، ذكرا كان أو أنثى".

السطر ١٢ · الآية ٦

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ أي: بلغوا أن ينكحوا النساء.

ابن قتيبة

السطر ١٣ · الآية ٦

فَإِنْ آتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا

﴿فَإِنْ آتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ أي: علمتم وتبينتم. وأصل آتست: أبصرت.

ابن قتيبة

(مادة إنس) ﴿فَإِنْ آتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾

الراغب

أي:

أبصرتم أنسا بهم

(مادة رشد) وقال تعالى: ﴿فَإِنْ آتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾

الراغب

﴿آتَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾: أي علمتم ووجدتم. والإيناس: الرؤية والعلم والإحساس بالشيء (زه)
والرشد: قيل: العقل، وقيل: العقل والدين والهداية إلى المعاملة.

ابن الهائم

﴿آتَسْتُمْ... عَلَيْهِمْ﴾

السراج

﴿رُشْدًا﴾... حُسْنُ تَصَرُّفٍ فِي الْأَمْوَالِ.

السراج

السطر ١٣ · الآية ٦

فَادْفَعُوا

(مادة دفع) الدَّفْعُ إذا عَدَّى بِإِلَى اقْتَضَى معنى الإنالة، نحو قوله تعالى: ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾
، وإذا عَدَّى بَعْن اقْتَضَى معنى الحماية

الراغب

السطر ١٣ · الآية ٦

إِسْرَافًا

﴿إِسْرَافًا﴾ الإسراف: الإفراط.

أبو عبيدة

(مادة سرف) ﴿وَلَا تُأْكُلُوها إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾

الراغب

، ويقال تارة اعتبارا بالقدر، وتارة بالكيفية، ولهذا قال سفيان: (ما أنفقت في غير طاعة الله
فهو سرف، وإن كان قليلا)^١

^١ حاشية المحقق على المفردات: انظر: البصائر ٣/ ٢١٦.

وَبَدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا^٦

السطر ١٣ · الآية ٦

﴿وَبَدَارًا﴾ أي مبادرة قبل أن يدرك فيؤنس منه الرشد فيأخذ منك.

أبو عبيدة

﴿وَبَدَارًا﴾: مُبَادَرَةٌ.

البخاري

﴿وَبَدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ أي: تأكلوها مُبَادَرَةً أَنْ يَكْبَرُوا فيأخذوها منكم.

ابن قتيبة

(مادة بدر) قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾

الراغب

أي: مسارعة، يقال: بَدَرْتُ إِلَيْهِ وَبَادَرْتُ، ويعبر عن الخطأ الذي يقع عن حدة:

بَادِرَةٌ^١. يقال: كانت من فلان بَوَادِرٍ في هذا الأمر، والبَدْرُ قيل سمي بذلك لمبادرته الشمس بالطلوع، وقيل: لامتلائه تشبيهاً بالبَدْرَةِ^٢، فعلى ما قيل يكون مصدراً في معنى الفاعل، والأقرب عندي أن يجعل البدر أصلاً في الباب، ثم تعتبر معانيه التي تظهر منه، فيقال تارة: بَدَرَ كَذَا، أي: طلع طلوع البدر، ويعتبر امتلاؤه تارة فشبه البدر به. واليَدْرُ: المكان المرشح لجمع الغلة فيه وملئه منه لامتلائه من الطعام

﴿بِدَارًا﴾: مبادرة (زه) .

ابن الهائم

﴿وَبَدَارًا﴾ ... مُبَادَرَةٌ.

السراج

وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ^٦

السطر ١٣ · الآية ٦

﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ﴾ أي: ليرك ولا يأكل.

ابن قتيبة

(مادة غنى) كقولهم: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ﴾

الراغب

(مادة عف) العَفَّةُ: حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة، والمتَعَفِّفُ: المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر، وأصله: الاقتصار على تناول الشيء القليل الجاري مجرى العَفَافَةِ، والعَفَّةُ، أي: البقية من الشيء، أو مجرى العَفَفِ، وهو ثمر الأراك، والاستغفاف: طلب العَفَّةِ. قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ﴾

الراغب

﴿فَلْيَسْتَغْفِرْ﴾: أي عن مال اليتيم. والعَفَّةُ: الامتناع عن مقاربة المحرم.

ابن الهائم

وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ^٦

السطر ١٤ · الآية ٦

﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي لا يتأكل مالا، التأكل: اتخاذ أصل مال، والأثلة: الأصل، قال

أبو عبيدة

^١ حاشية المحقق على المفردات: قال ابن منظور: والبادرة: الحدة، وهو ما يدبر من حدة الرجل عند غضبه من قول أو فعل.

^٢ حاشية المحقق على المفردات: البدر: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، سميت ببدر السخلة.

الأعشى:

ألست منتها عن نحت أثلتنا ... ولست ضائرها ما أطت الإبل اجمد مؤثّل: قديم له أصل.

﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي يقتصد ولا يسرف.

ابن قتيبة

٧- قال قتادة^٢ وكانوا لا يُورثون النساء فنزلت: ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ

مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ مُوجِبًا فرضه الله. أي أوجبه.

(مادة عرف) نحو: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾

الراغب

السطر ١٥ · الآية ٦

حَسِبًا

(مادة حسب) ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ ، أي: رقيباً يحاسبهم عليه، وقوله:

الراغب

﴿حَسِيبًا﴾ ... مُحَاسِبًا، وَشَاهِدًا.

السراج

أسباب النزول

الآية ٣

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ الآية ٣.

الوادعي

البخاري ج ٩ ص ٣٠٧ حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام عن ابن جريج قال: أخبرني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها وكان له عذق، وكان يمسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء فنزلت فيه ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ - أحسبه^٣ قال كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله.

الحديث أخرجه ابن جرير في تفسيره ج ٤ ص ٢٣٢ وأخرجه مسلم ج ١٨ ص ١٥٥ [الصحيح المسند، ص ٦٣]

سبب النزول:

المزيبي ٤٣

١ - أخرج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة - رضي الله عنها -: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قالت: هي اليتيمة^٤ في حجره وليها^٥ فيرغب في جمالها ومالها

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: ديوانه ٤٦- والسمط ٥٣ والأساس واللسان والتاج (أثّل) والخزانة ١/ ١٥٩.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: قوله في تفسير الطبري ٧/ ٥٩٧ وانظر الدر المنثور ٢/ ١٢٢ وأسباب النزول ١٠٦.

^٣ حاشية الصحيح المسند من أسباب النزول: هو شك من هشام بن يوسف ا. ه فتح.

^٤ حاشية المزيبي: اليتيم في الناس: فقد الصبي أباه قبل البلوغ، وفي الدواب؛ فقد الأم. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥: ٢٩١) مادة

(يتيم).

^٥ حاشية المزيبي: حجر: إما من الحجر وهو المنع من التصرف أو من حجر الثوب وهو طرفه المقدم لأن الإنسان يربي ولده في حجره. النهاية في

غريب الحديث والأثر (١: ٣٤٢) مادة (حجر).

^٦ حاشية المزيبي: وليها: أي متولي أمرها. المصدر السابق (٥: ٢٢٩) مادة (ولا).

ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة^١ نسائها فنهوا عن نكاحهن، إلا أن يقسطوا^٢ لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن من النساء.

قالت عائشة: ثم استفتى الناس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد، فأنزل الله - عز وجل -: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [النساء: ١٢٧] قالت: فبين الله في هذه أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها بإكمال الصداق فإذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها واتمسوا غيرها من النساء، قال: فكما يتركونها حين يرغبون عنها، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها الأوفى من الصداق ويعطوها حقها^٣.

٢ - أخرج البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها وكان لها عذق^٤ وكان يمسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء فنزلت فيه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ أحسبه قال: كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله^٥.

دراسة السبب:

هكذا جاء في سبب النزول عن عائشة - رضي الله عنها - وقد أورده جمهور المفسرين مع غيره من الأسباب التي ذكرت لهذه الآية وقبل الكلام على حديث عائشة الأول سأنتقل كلام الحافظ ابن حجر على حديثها الثاني وفيه: (أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها) فقال: (هكذا قال هشام عن ابن جريج فأوهم أنها نزلت في شخص معين، والمعروف عن هشام ابن عروة التعميم، وكذلك أخرجه الإسماعيلي، من طريق ججاج بن محمد عن ابن جريج ولفظه: (أنزلت في الرجل يكون عنده اليتيمة ..) وكذا هو عند المصنف من طريق ابن شهاب عن عروة، وفيه شيء آخر نبه عليه الإسماعيلي، وهو قوله: (فكان لها عذق فكان يمسكها عليه) فإن هذا نزل في التي يرغب عن نكاحها، وأما التي يرغب في نكاحها فهي التي يعجبها مالها وجمالها فلا يزوجه لغيره، ويريد أن يتزوجها بدون صداق مثلاً^٦ اهـ محل الشاهد. ومراد الإسماعيلي بالتنبيه الآخر أن لفظ الحديث يخالف سياق القرآن.

وبهذا يتبين أن حديث عائشة - رضي الله عنها - الثاني قد وقع فيه وهم فلا يحتج به على السببية أما الحديث الأول لعائشة - رضي الله عنها - في حكم نكاح اليتامى فهو أحد الأقوال في سبب نزول الآية ولهذا قال الطبري: (اختلف

^١ حاشية المزيبي: سنة: أي طريقة. انظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (٤: ٣٨٩). وانظر المادة في لسان العرب (١٣: ٢٢٦) مادة (سنن) وإنما قدمت قول القسطلاني لأنه من شراح الحديث ولم أجد معنى ملائماً في كتب اللغة.

^٢ حاشية المزيبي: يُقْسِطُ: أي يعدل النهاية في غريب الحديث والأثر (٤: ٦٠) مادة (قسط).

^٣ حاشية المزيبي: أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ (٣: ١٠١٦) رقم (٢٦١٢) وانظر رقم (٢٣٦٢، ٤٢٩٨، ٦٥٦٤)، ومسلم، كتاب التفسير، (٤: ٢٣١٣) رقم (٣٠١٨)، وأبو داود، كتاب النكاح، باب ما يكره أن يجمع بينهن من النساء (٢: ٥٥٥) رقم (٢٠٦٨)، والنسائي في

الكبرى، كتاب التفسير، قوله جل ثناؤه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ (٦: ٣١٩، ٣٢٠) رقم (١١٠٩٠)، وفي المجتبى، كتاب النكاح، القسط في الأصدقة (٦: ٤٢٥) رقم (٣٣٤٦).

^٤ حاشية المزيبي: العذق: بالفتح النحلة، وبالكسر العرجون بما فيه من الشماريح. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣: ١٩٩) مادة (عذق).

^٥ حاشية المزيبي: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ (٤: ١٦٦٨) رقم (٤٢٩٧).

^٦ حاشية المزيبي: فتح الباري (٨: ٨٧).

أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم: معنى ذلك: وإن خفتم يا معشر أولياء اليتامى ألا تقسطوا في صدقاتهن فتعدلوا فيه وتبلغوا بصدقاتهن صدقات أمثلهن، فلا تتكوهن، ولكن انكحوا غيرهن من الغرائب اللواتي أحلهن الله لكم وطيبهن من واحدة إلى أربع.

وقال بعضهم: بل معنى ذلك النهي عن نكاح ما فوق الأربع، حذراً على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم وذلك أن قريباً كان الرجل منهم يتزوج العشر من النساء والأكثر والأقل فإذا صار معدماً، مال على مال يتيمه الذي في جره فأنفقه أو تزوج به فنهوا عن ذلك.

ومن طريق عكرمة فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾^١. وقال بعضهم: كانوا يشددون في اليتامى ولا يشددون في النساء ينكح أحدهم النسوة فلا يعدل بينهن فنزلت الآية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾^٢.

لكن هذه الأسباب المذكورة لا تقارب حديث عائشة - رضي الله عنها - من جهة الإسناد والرتبة لأنها مراسيل لعكرمة وسعيد بن جبير والحسن.

ولعل هذا هو السبب في اقتصار ابن كثير - رحمه الله - على حديث عائشة - رضي الله عنها - دون سائر المذكورات. وقد قال أبو العباس القرطبي - رحمه الله - بعد أن ساق الأسباب السابقة: (وأقرب هذه الأقوال وأصحها: قول عائشة - إن شاء الله تعالى - وقد اتفق كل من يعاني العلوم على أن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ ليس له مفهوم، إذ قد أجمع المسلمون على أن من لم يخف القسط في اليتامى له أن ينكح أكثر من واحدة اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً كمن خاف فدل ذلك على أن الآية نزلت جواباً لمن خاف وأن حكمها أعم من ذلك)^٣. فإن قال قائل: عائشة لم تسند هذا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

فالجواب من ابن عاشور: (وهو أن سياق كلامها يؤذن بأنه عن توقيف، ولذلك أخرجه البخاري في باب تفسير سورة النساء بسياق الأحاديث المرفوعة اعتداداً بأنها ما قالت ذلك إلا عن معينة حال النزول، وأفهام المسلمين التي أقرها الرسول - عليه الصلاة والسلام - لا سيما وقد قالت: ثم إن الناس استفتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعليه فيكون إيجاز لفظ الآية اعتداداً بما فهمه الناس مما يعلمون من أحوالهم)^٣. النتيجة:

أن سبب نزول الآية الكريمة ما ذكرته عائشة - رضي الله عنها - في اليتيمة التي يرغب في مالها وجمالها ويريد أن يتزوجها ولياً لكنه لا يقسط لها في صداقها ولا يعطيها حقها منه، فأمرها أن تتركوهن ويلتمسوا غيرهن من النساء اللاتي يطالبن بحقوقهن أو يطالب بها أولياؤهن لصحة سنده، وتصريحه بالنزول وموافقته للفظ الآية واتفاق جمهور المفسرين عليه. وسيأتي مزيد بحث لهذا إن شاء الله تعالى عند نزول قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ

^١ حاشية المزيني: جامع البيان (٤: ٢٣١ - ٢٣٥).

^٢ حاشية المزيني: المفهم (٧: ٣٣٠).

^٣ حاشية المزيني: التحرير والتنوير (٤: ٢٢٢، ٢٢٣).

يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ^١ . والله أعلم . [أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، ص ٧٤]

الآية ٦

الوادي

﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الآية ٦.

البخاري ج ٩ ص ٣٠٩ حدثني إسحاق أخبرنا عبد الله بن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها في قوله تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أنها نزلت في مال اليتيم إذا كان فقيراً فإنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف.

الحديث أخرجه مسلم ج ١٨ ص ١٦٥ و ١٦٦ [الصحيح المسند، ص ٦٣]

سبب النزول:

المزني ٤٤

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أنزلت في والي^٢ اليتيم^٣ الذي يقيم عليه ويصلح في ماله، إن كان فقيراً أكل منه بالمعروف^٤.

دراسة السبب:

هكذا جاء عن عائشة - رضي الله عنها - في ذكر نزول الآية بدون قصة وقد أورده بعض المفسرين عند ذكر الآية كالقرطبي وابن كثير والطاهر بن عاشور^٥ لكنهم لم يسيروا إلى أن الحديث سبب نزولها.

وقد أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إني فقير ليس لي شيء، ولي يتييم، قال: فقال: (كل من مال يتييمك غير مسرف^٦ ولا مبادر^٧ ولا متأثل^٨)^٩.

وهذا الحديث ليس فيه ذكر لسبب النزول لكن إذا ضممته إلى حديث عائشة في قولها: أنزلت في والي اليتيم، وقولها: إن كان فقيراً أكل منه بالمعروف، فإنه يوافق من وجهين:
الأول: أن الرجل في حديث عمرو بن شعيب هو ولي اليتيم، والآية أنزلت في والي اليتيم.

^١ حاشية المزني: انظر: السبب رقم (٦٦).

^٢ حاشية المزني: تقدم شرح هذه الألفاظ عند دراسة السبب رقم (٤٣).

^٣ حاشية المزني: تقدم شرح هذه الألفاظ عند دراسة السبب رقم (٤٣).

^٤ حاشية المزني: أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم (٢: ٧٧٠) رقم (٢٠٩٨) وانظر

رقم (٢٦١٤)، وأخرجه مسلم، كتاب التفسير (٤: ٢٣١٥) رقم (٣٠١٩).

^٥ حاشية المزني: الجامع لأحكام القرآن (٥: ٤١)، تفسير ابن كثير (١: ٤٥٣)، التحرير والتنوير (٤: ٢٤٥).

^٦ حاشية المزني: السرف والإسراف: مجاوزة القصد. لسان العرب (٩: ١٤٨) مادة (سرف).

^٧ حاشية المزني: بدرت الشيء: أسرعت إليه. لسان العرب (٤: ٤٨) مادة (بدر).

^٨ حاشية المزني: التأثل: اتخاذ أصل مال، والمعنى: غير جامع مال. لسان العرب (١١: ٩) مادة (أثل).

^٩ حاشية المزني: أخرجه أبو داود، كتاب الوصايا، باب ما جاء في مال لولي اليتيم (٣: ٢٩٢) رقم (٢٨٧٢)، والنسائي، كتاب الوصايا، باب

ما لوصي من مال اليتيم (٦: ٥٦٧) رقم (٣٦٧٠)، وابن ماجه، كتاب الوصايا، باب قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (٢: ٩٠٧)

رقم (٢٧١٨)، وإسناده حسن وله شاهد صححه ابن حبان عن جابر (١٠: ٥٥) رقم (٤٢٤٤)، وقال ابن حجر في الفتح (٨: ٩٠) إسناده قوي.

الثاني: أن الرجل قال إني فقير ليس لي شيء، وهذا يوافق قولها: إن كان فقيراً أكل منه بالمعروف ولعل مما يعضد هذا النظر سياق الآية فإنه يوافق كثيراً حديث عمرو بن شعيب ففي الآية: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ وفي الحديث: (كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر).

ولقائل أن يقول إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال هذا الحديث أخذاً واستنباطاً من الآية فوافق لفظه لفظها.

فالجواب: أن هذا ممكن لكن يعكر عليه قول عائشة: أنزلت في والي اليتيم فإن هذا مشعر بوجود سبب، ولو لم يوجد حديث عمرو بن شعيب لكان الجزم ممكناً بأنها أرادت التفسير ولم ترد الحديث عن سبب نزول معين والله أعلم.

النتيجة:

الحديث المذكور لا يتضمن التصريح بالسببية، لكن بضم الحديثين إلى بعضهما، وانضمامهما إلى الآية الكريمة يغلب على الظن نزول الآية بسبب سؤال الرجل للنبي - صلى الله عليه وسلم - عن أكله من مال اليتيم والعلم عند الله تعالى. [أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، ص ٧٥]

أحاديث التفسير

الآية ٣

مسلم (٣٠١٨)

عَنْ عَائِشَةَ « فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَى﴾ قَالَتْ: أُنْزِلَتْ فِي الرَّجُلِ تَكُونُ لَهُ الْيَتِيمَةُ، وَهُوَ وَلِيُّهَا وَوَارِثُهَا، وَلَهَا مَالٌ وَلَيْسَ لَهَا أَحَدٌ يُخَاصِمُ دُونَهَا، فَلَا يَنْكِحُهَا إِلَّا مَا فِيْهَا فَيَضُرُّ بِهَا، وَيُسِيءُ صُحْبَتَهَا، فَقَالَ: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ يَقُولُ: مَا أَحَلَّتْ لَكُمْ، وَدَعِ هَذِهِ الَّتِي تَضُرُّ بِهَا. »

الحكم

الدرر السنية — مسلم، صحيح مسلم (٣٠١٨): [صحيح]

الآية ٦

البخاري (٤٥٧٥)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: « فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي مَالِ الْيَتِيمِ إِذَا كَانَ فَقِيرًا: أَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْهُ مَكَانَ قِيَامِهِ عَلَيْهِ بِمَعْرُوفٍ. »

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٤٥٧٥): [صحيح]

مسلم (٣٠١٩)

عَنْ عَائِشَةَ « فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قَالَتْ: أُنْزِلَتْ فِي وَالِي مَالِ الْيَتِيمِ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ

وَيُضْلِحُهُ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ.»

الحكم

الدرر السنية — مسلم، صحيح مسلم (٣٠١٩): [صحيح]

مسلم (٣٠١٩)

عَنْ عَائِشَةَ « فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قَالَتْ: أُنْزِلَتْ فِي وَلِيِّ الْيَتِيمِ أَنْ يُصِيبَ مِنْ مَالِهِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا بِقَدْرِ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ » وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

الحكم

الدرر السنية — مسلم، صحيح مسلم (٣٠١٩): [صحيح]

فوائد وتعليقات

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلِيَخَشَّ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

الغريب

وَالْأَقْرَبُونَ

السطر ١ · الآية ٧

(مادة قرب) وقال: ﴿الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾

الراغب

نَصِيبًا مَّفْرُوضًا

السطر ٢ · الآية ٧

﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: نصب على الخروج من الوصف.

أبو عبيدة

حَضَرَ

السطر ٣ · الآية ٨

(مادة حضر) ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾

الراغب

الْقُرْبَى

السطر ٣ · الآية ٨

(مادة قرب) نحو: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى﴾

الراغب

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا

السطر ٥ · الآية ٩

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا﴾ مبنية في كتاب "المشكّل" ٢١.

ابن قتيبة

قَوْلًا سَدِيدًا

السطر ٦ · الآية ٩

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾: أي قصدا.

أبو عبيدة

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ من السداد وهو الصواب والقصد في القول.

ابن قتيبة

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾: أي قصدا.

ابن الهائم

^٩ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص ١٩٥) [مع الشك - لم يُراجع]: «وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩) [النساء: ٨، ٩].»

أحدهما أن تكون القسمة: الوصية. يقول: إذا حضرها أقرباؤكم الذين لا يرثونكم، والمساكين، واليتامى- فاجعلوا لهم فيها حظا، وألبنوا لهم القول. وليخش من حضر الوصية، وهو لو كان له ولد صغار خاف عليهم بعده الضيعة- أن يأمر الموصي بالإسراف فيما يعطيه اليتامى والمساكين وأقاربه الذين لا يرثون فيكون قد أمره بما لم يكن يفعل له لو كان هو الميت. وهو معنى قول سعيد بن جبير وقتادة.

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: بينها في صفحة ٢٤٨.

يَأْكُلُونَ

السطر ٧ · الآية ١٠

(مادة أكل) وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ ، فأكل المال بالباطل صرفه إلى ما ينافيه الحق

الراغب

(مادة أكل) وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ ، تنبها على أن تناولهم لذلك يؤدي بهم إلى النار.

الراغب

والأَكُول والأَكَال: الكثير الأكل

الْيَتَامَىٰ

السطر ٧ · الآية ١٠

(مادة يتم) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ﴾

الراغب

وَسَيَصْلُونَ

السطر ٨ · الآية ١٠

﴿وَسَيَصْلُونَ﴾ ... سَيَدْخُلُونَ.

السراج

سَعِيرًا

السطر ٨ · الآية ١٠

﴿سَعِيرًا﴾: أي إيقادا. والسَّعِير أيضا: اسم من أسماء جهنم (زه) السَّعِير: فاعل بمعنى مفعول، تقول: سعرت النار، إذا ألهبها.

ابن الهائم

حَظَّ الْأُنثِيَّاتِ

السطر ٩ · الآية ١١

(مادة حَظَّ) وقال تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ﴾

الراغب

﴿حَظَّ الْأُنثِيَّاتِ﴾: الحَظَّ: النَّصِيب.

ابن الهائم

فَوْقَ

السطر ١٠ · الآية ١١

(مادة فوق) ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾

الراغب

الرابع: في الكبر والصغر

النِّصْفِ

السطر ١١ · الآية ١١

(مادة نصف) ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾

الراغب

السُّدُسُ

السطر ١١ · الآية ١١

الراغب

(مادة سدس) السُّدُسُ: جزء من ستّة، قال تعالى: ﴿فَلَأُمِّيهِ السُّدُسُ﴾ ، والسُّدُسُ في الإِظْمَاءِ، وَبِتُّ أَصْلُهُ سُدُسٌ ١ ، وَسَدَسْتُ الْقَوْمَ: صرّت سادسهم، وأخذت سُدُسَ أَمْوَالِهِمْ، وجاء سَادِسَاءٌ وَسَاتَاءٌ وَسَادِيًا بِمَعْنَى

وَلَدٌ

السطر ١٢ · الآية ١١

الراغب

(مادة ولد) الْوَلَدُ: الْمَوْلُودُ. يقال للواحد والجمع والصّغير والكبير. قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ﴾

وَوَرِثَهُ

السطر ١٢ · الآية ١١

الراغب

(مادة ورث) ﴿وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ﴾

الثَّلَاثُ

السطر ١٢ · الآية ١١

الراغب

(مادة ثل) ث

الثَّلَاثَةُ وَالثَّلَاثُونَ، وَالثَّلَاثُ وَالثَّلَاثُمِائَةُ، وَثَلَاثَةُ آلَافٍ، وَالثُّلُثُ وَالثُّلُثَانِ. قال ﷻ: ﴿فَلَأُمِّيهِ الثُّلُثُ﴾ ، أي: أحد أجزائه الثلاثة، والجمع أثلاث

فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ

السطر ١٢ · الآية ١١

أبو عبيدة

﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ أي أخوان فصاعدا، لأن العرب تجعل لفظ الجميع على معنى الإثنين، قال الراعي:

أخيلد إنَّ أباك ضاف وساده ... هَمَّانَ باتا جنبه ودخيلاً^٢
طرقا فتلك هماهمي أقريهما ... قلصا لواحق كالقسي وحولا

^١ حاشية المحقق على المفردات: في اللسان، قال الليث: البِتُّ والبِتَّةُ في الأصل: سدس وسدسة، ولكنهم أرادوا إدغام الدال في السين، فالتقيا عند مخرج التاء، فغلبت عليها، كما غلبت الحاء على العين في لغة سعد، فيقولون: كنت معهم. راجع: اللسان (بت)، وعمدة الحفاظ: سدس.

^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: الراعي: اسمه عبيد بن معاوية من بني ثمير، يكنى أبا جندل، شاعر إسلامي (الأغاني ٢٠ / ١٦٨ والخزانة ١ / ٥٠٤) - والبيتان من قصيدة في آخر ديوان جرير (مصر ١٣١٣) ٢ / ٢٠٢ وجمهرة الأشعار ١٧٢ - والبيت الأول في السمت ٨٩٧ والثاني في اللسان (همم).

فجعل الإثنين في لفظ الجميع وجعل الجميع في لفظ الاثنين.
﴿إِخْوَةٌ﴾ ... اثنانِ فَأَكْثَرُ.

السراج

بَعْدُ

السطر ١٣ · الآية ١١

(مادة وعد) ﴿لِلَّذِكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ﴾^١ تفسير الوصية. وقوله:

الراغب

دَيْنٌ

السطر ١٤ · الآية ١١

(مادة دين) وقال: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ ، والدَّيْنُ يقال للطاعة والجزاء، واستعير
للشريعة، والدَّيْنُ كالملة، لكنه يقال اعتبارا بالطاعة والانقياد للشريعة، قال

الراغب

أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا

السطر ١٤ · الآية ١١

﴿أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ أدنى نفعا لكم.

أبو عبيدة

أسباب النزول

الآية ١١-١٢

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ الآيتان ١١ و١٢.

الوادعي

البخاري ج ٩ ص ٣١١ حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام أن ابن جريج قال أخبرني ابن المنكر عن جابر رضي الله تعالى عنه قال قال عادي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبو بكر في بني سلمة ماشيين فوجدني النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا أعقل فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش علي فأفقت فقلت ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله، فنزلت ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ .

الحديث أخرجه البخاري ج ١ ص ٣١٣ وفيه نزلت آية الفرائض، وج ١٢ ص ٢١٨ وفيه فنزلت آية الموارث، وج ١٥ ص ٤ وفيه حتى نزلت آية الموارث وج ١٧ وفيه حتى نزلت آية الموارث وأخرجه مسلم ج ١١ ص ٥٥ وفيه نزلت ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ﴾ وص ٥٦ وفيه نزلت آية الميراث والترمذي ج ٣ ص ١٧٩ وقال هذا حديث حسن صحيح وفيه فنزلت ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ وج ٤ ص ٨٦ وقال هذا حديث حسن صحيح وفيه نزلت ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ﴾ وابن الجارود - في المنتقى ص ٣١٩ وابن جريج ج ١٤ ص ٢٧٦.

سبب آخر للآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ج ٣ ص ١٧٩ وأبو داود ج ٣ ص ٨٠ وابن ماجه رقم

^١ حاشية المحقق على المفردات: الآية: يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ.

٢٧٢٠ والإمام أحمد ج ٣ ص ٣٥٢ وابن سعد في الطبقات جزء ٣ قسم ٢ ص ٧٨ والحاكم وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي عن جابر رضي الله عنه قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا فقال: "يقضي الله في ذلك" فنزلت آية الميراث فأرسل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى عمها فقال: "أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقي فهو لك".

وقصة جابر أصح لأنها متفق عليها وأما قصة بنات سعد بن الربيع ففيها عبد الله بن محمد بن عقيل وهو صدوق ضعيف الحفظ على أنه لا تنافي بين القصتين فيحتمل أنها نزلت فيهما معا. قال الحافظ في الفتح ويحتمل أن يكون نزول أولها في قصة البنيتين وآخرها وهي قوله ﴿وَأِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ في قصة جابر ويكون مراد جابر فنزلت ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ أي ذكر الكلاله المتصل بهذه الآية والله أعلم. هـ. وأقول في كلام الحافظ رضي الله عنه نظر فإن قوله ﴿وَأِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ في ميراث الأخوة لأم فالأولى أن يقال: لا مانع من نزول الآية في الأمرين معا كما قرره هو قبل والله أعلم. [الصحيح المسند، ص ٦٣]

الآية ١١

المزني ٤٥ سبب النزول:

١ - أخرج أحمد والترمذي وابن ماجه عن جابر - رضي الله عنه - قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بابنتها من سعد، فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قُتل أبوهما معك في أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما، فلم يدع لهما مالا، ولا ينكحان إلا ولهما مال قال: فقال: (يقضي الله في ذلك) قال: فنزلت آية الميراث فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى عمهما، فقال: (أعط ابنتي سعد الثلثين، وأمهما الثمن، وما بقي فهو لك) ١. ولفظ أبي داود: (فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقضي الله في ذلك) قال: ونزلت سورة النساء: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ الآية ٢.

^١ حاشية المزني: أخرجه أحمد في المسند (٢٣:١٠٨) رقم (١٤٧٩٨)، والترمذي، أبواب الفرائض، باب ما جاء في ميراث البنات (٣:٥٩٨) رقم (٢٠٩٢) من طريق عبيد الله بن عمرو، وابن ماجه، كتاب الفرائض، باب فرائض الصلب (٢:٩٠٨) رقم (٢٧٢٠) من طريق ابن عينة.

^٢ حاشية المزني: أخرجه أبو داود، كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث الصلب (٣:٣١٤) رقم (٢٨٩١) من طريق بشر بن المفضل، وفي رقم (٢٨٩٢)، من طريق داود بن قيس، أربعتهم (بشر، وداود، وعبيد الله، وابن عينة) عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر - رضي الله عنه - فذكره إلا أن في حديث بشر، قال: جاءت امرأة ثابت بن قيس، وهو خطأ ظاهر، لأن ثابت بن قيس قتل في حروب الجامة، كما نبه على ذلك أبو داود عقب إخراج حديث بشر.

وبالنظر في هذه الطرق، نجد أنها تدور على عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو مقدوح في حفظه عند جمهور الأئمة، ومن تكلم فيه تلميذه ابن عينة، وابن المديني، وابن معين والترمذي، والعقيلي، ويعقوب بن شيبه، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم وغيرهم. قال يعقوب بن شيبه: صدوق، وفي حفظه ضعف شديد جداً، وقال ابن سعد والإمام أحمد في رواية: منكر الحديث، وقال ابن المديني، والنسائي - في رواية عنهما -

٢ - أخرج البخاري ومسلم والنسائي عن جابر - رضي الله عنه - قال: عادني النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر في بني سُلَمة^١ ماشيين، فوجدني النبي - صلى الله عليه وسلم - لا أعقل^٢، فدعا بماء فتوضأ منه، ثم رش عليّ فأفقت^٣، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله، فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾^٤.

ضعيف، وقال أبو حاتم: لين الحديث ليس بالقوي، وقال البخاري فيما نقله الترمذي: كان أحمد وإسحاق والحميدي يحتجون به، ثم قال البخاري: وهو مقارب الحديث، وقد صحح الإمام أحمد له حديثاً في رواية عنه في كلامه على ذلك الحديث، وحسن البخاري ذلك الحديث نفسه الذي صححه أحمد كما في علل الترمذي الكبير (٥٨) رقم (٧٤)، وقال عمرو بن علي الفلاس: (رأيت يحيى - يعني القطان - وعبد الرحمن - يعني ابن مهدي - يحدثان عنه والناس يختلفون فيه) وقال الحاكم: (مستقيم الحديث) وقال مرة: (فساء حفظه فحدث على التخمين) وقال الذهبي مبيناً مرتبة حديثه: (حديثه في

مرتبة الحسن). ينظر المرح والتعديل (٥: ١٥٣)، الضعفاء للعقيلي (٢: ٢٩٩)، الميزان (٢: ٤٨٤)، تهذيب التهذيب (٦: ١٣). والذي يظهر من حاله أنه كما قال البخاري والذهبي - مقارب الحديث، فهو في مرتبة الحسن لا هو ثقة، ولا هو ضعيف لا يكتب حديثه، كما أنه لا يحتاج بكل حديثه، ولهذا قال ابن حجر ملخصاً أقوال الأئمة فيه - كما في التقریب (٣٥٩٢) -: (صدوق، في حديثه لين، ويُقال تغير بأخرة) اهـ.

ولكن تفرد ابن عقيل بهذا الحديث علة قوية فيه إلا أن الطرق إلى ابن عقيل دلت على أنه ضبط حديثه، إذ لم يختلف عليه، كما أن متن الحديث لا غرابة فيه، بل قسمة الفريضة فيه موافقة لما دلت عليه آية الفرائض، ولعله لأجل ذلك حسنه الترمذي حيث قال عقب إخرجه: (حسن صحيح) اهـ.

وخلاصة القول: أن مدار الحديث على ابن عقيل، وأكثر النقاد تكلموا في حفظه، وتفرد به عن جابر علة قوية فيه، لكن نظراً لضبط ابن عقيل لهذا الحديث، وسلامة متنه من الغرابة فإنه محتمل للتحسين كما حسنه الترمذي. والله أعلم.

^١ حاشية المزيني: بنو سُلَمة: بالكسر بطن من الخزرج من القحطانية، وهم بنو سُلَمة بن سعد بن علي بن راشد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، قال الجوهري: وليس في العرب سُلَمة بكسر اللام سواهم، والنسبة إليهم سَلَمِي بفتح اللام. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (٢٧٠) رقم (١٠٤٧).

^٢ حاشية المزيني: لا أعقل: أي لا أفهم. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٧: ٧٧).

^٣ حاشية المزيني: أفاق: أي انجلي ذلك عنه. لسان العرب (١٠: ٣١٨) مادة (فوق).

^٤ حاشية المزيني: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ (٤: ١٦٦٩، ٤: ١٦٧٠) رقم (٤٣٠١)، ومسلم، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة (٣: ١٢٣٥) رقم (١٦١٦)، النسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ (٦: ٣٢٠) رقم (١١٠٩١).

وأخرجه البخاري (٦: ٢٤٧٣) رقم (٦٣٤٤)، (٥: ٢١٣٩) رقم (٥٣٢٧)، (٦: ٢٦٦٦) رقم (٦٨٧٩)، عن قتبية بن سعيد، وعبد الله بن محمد، وابن المديني. ومسلم (٣: ١٢٣٤) رقم (١٦١٦)، عن عمرو الناقد. وأبو داود (٣: ٣٠٨) رقم (٢٨٨٦)، عن أحمد وهو في المسند (٢٢: ٢٠٢) رقم (١٤٢٩٨)، والترمذي (٣: ٦٠٢) رقم (٢٠٩٧)، (٥: ١١٤) رقم (٣٠١٥)، عن الفضل بن الصباح، ويحيى بن آدم. والنسائي (١: ٩٤) رقم (١٣٨)، وفي الكبرى (٦: ٣٣٢) رقم (١١١٣٤) عن محمد بن منصور. وابن ماجه (١: ٤٦٢) رقم (١٤٣٦)، (٢: ٩١١) رقم (٢٧٢٨)، عن محمد بن عبد الله الصنعاني، وهشام بن عمار. وأبو يعلى (٤: ١٥) رقم (٢٠١٨) عن ابن راهوية. وابن خزيمة (١: ٥٦) رقم (١٠٦) عن عبد الجبار بن العلاء. الاثنا عشر قتيبة، وعبد الله، وابن المديني، وعمرو، وأحمد، والفضل، ويحيى، وابن منصور، والصنعاني، وهشام، وعبد الجبار، وابن راهوية) عن ابن عيينة، عن ابن المنكر، به بخوه، إلا أن أصحاب ابن عيينة اختلفوا في تعيين آية الميراث، فرواه ابن راهوية، ويحيى بن آدم كما رواه ابن جريج عن ابن المنكر، ورواه أحمد، والناقد، والفضل، وابن منصور، أربعهم بلفظ: فنزلت آية الميراث (يستفتونك)، ورواه ابن المديني، وعبد الله، وعتيبة، ثلاثهم بلفظ: (فنزلت آية الميراث) وسكتوا فلم يذكروا الآية، ورواه عبد الجبار بن العلاء بلفظ: (حتى نزلت آية الميراث ﴿إِنْ أَمْرُو هَلْكَ﴾، وقال مرة: حتى نزلت آية الكلالة، أما الصنعاني فلم يشر إلى الآية أصلاً في روايته، وأما هشام بن عمار فقال: (حتى نزلت آية الميراث في آخر النساء: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ﴾ {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ} .. {الآية وأخرجه البخاري (٥: ٢١٤٤) رقم (٥٣٤٠)، عن عمرو بن عباس، ومسلم (٣: ١٢٣٥) عن عبيد الله القواريري، والترمذي (٦: ١٦٢) رقم (٦٨٥١) عن محمد بن بشار،

دراسة السبب:

هكذا جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة، فأما حديث جابر - رضي الله عنه - في قصة ابنتي سعد بن الربيع فقد ذكره جمع من المفسرين وجعلوه من أسباب نزولها كالبعوي، وابن العربي، وابن عطية، والقرطبي، وابن كثير، وابن عاشور^١.

قال ابن العربي بعد أن ساق هذا الحديث عن عبد الله بن محمد بن عقيل الذي عليه يدور الإسناد: (هو مقبول لهذا الإسناد).

وقال القرطبي: (إن هذه الآية نزلت في ورثة سعد بن الربيع، وقيل: نزلت في ورثة ثابت بن قيس بن شماس، والأول أصح عند أهل النقل فاسترجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الميراث من العم) اهـ باختصار.

وأحمد (٢٣:٢٥٦) رقم (١٥٠١١) أربعهم (عمرو، والقواريري، وابن بشار، وأحمد) عن ابن مهدي، عن الثوري، عن ابن المنكر عن جابر - رضي الله عنه - بلفظ: جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - يعودني، ليس براكب بغلاً ولا برذوناً إلا القواريري فقد رواه نحو رواية ابن المديني - ومن تابعه - عن ابن عيينة.

وأخرجه البخاري (٦:٢٤٧٩) رقم (٦٣٦٢)، من طريق ابن المبارك، وفي (١:٨٢) رقم (١٩١) من طريق هشام بن عبد الملك أبي الوليد الطيالسي، ومسلم (٣:١٢٣٥) من طريق بهز بن أسد، والنضر بن شميل، ووهب بن جرير، وأبي عامر

العقدي. وأحمد (٢٢:٩٤) رقم (١٤١٨٦) عن غندر، وحجاج بن محمد. ثمانية (ابن المبارك، وأبو الوليد، وبهز، والنضر، ووهب، وأبو عامر، وغندر، وحجاج) عن شعبة، عن ابن المنكر عن جابر بن جريح إلا أن شعبة لم يذكر الآية بل قال: فنزلت آية الميراث وزاد بهز بن أسد في حديثه أن شعبة قال لابن المنكر: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ فُلِ اللَّهِ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾؟ قال: هكذا أنزلت.

وأخرجه الترمذي (٣:٦٠١) رقم (٢٠٩٦) من طريق عمرو بن أبي قيس، عن ابن المنكر به نحو حديث ابن جريح. وبالنظر في هذه الطرق يتبين أن ابن المنكر قد اختلف عليه وعلى من دونه في تعيين آية الميراث، وأن بعض الرواة سكوت عن ذكرها - وهو شعبة، وبعض أصحاب ابن عيينة - ويمكن أن يلخص الكلام على هذه الطرق بأن يقال:

إن ابن المنكر حكى القصة عن جابر - رضي الله عنه - إلى قوله فنزلت آية الميراث من غير ذكر لها ولا تعيين، بدليل رواية شعبة التي رواها عنه بهز بن أسد، فإنه سأل ابن المنكر عن الآية هل هي آية الكلاله أم لا؟ وهكذا رواه بعض أصحاب ابن عيينة - كما تقدم - بدون تعيين الآية، ولو كانت الآية مذكورة أصلاً في كلام جابر لم يكن لسؤال شعبة لابن المنكر معنى. وعليه فيكون ذكر الآية في رواية ابن جريح، وعمرو بن أبي قيس. وكذا ما رواه بعض أصحاب ابن عيينة من قبيل الرأي والاجتهاد في تعيينها، لا من قبيل الاختلاف على ابن المنكر في الرواية بدليل اختلاف الرواة على ابن عيينة الذي اضطرب في تعيينها - كما يقول الحافظ في الفتح (٨:٩٢)، والمناسب والموافق لحال جابر، ولسياق الحديث أن تكون الآية التي نزلت هي آية الكلاله التي في آخر النساء، وأن ذكر ما سواها محل نظر، واجتهاد مرجوح من قبل بعض الرواة، ولهذا لما أورد ابن كثير رواية ابن جريح، وحديث جابر - رضي الله عنه - في قصة ابنتي سعد بن الربيع - رضي الله عنه - اللتان قُتل والدهما في أحد عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ (١:٤٥٧) قال - رحمه الله -: (والظاهر أن حديث جابر الأول - يعني في الإنشاء - إنما نزل بسببه الآية الأخيرة من هذه السورة كما سيأتي، فإنه إنما كان له إذ ذاك أخوات ولم يكن له بنات، وإنما كان يورث كلاله، لكن ذكرنا الحديث هنا تبعاً للبخاري، فإنه ذكره ههنا، والحديث الثاني عن جابر - أي في قصة ابنتي سعد بن الربيع - أشبه بنزول هذه الآية. أي ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ والله أعلم اهـ.

وقد نقل ابن جرير في الفتح (٨:٩٣) عن الحافظ الدميابي توهيم ابن جريح في ذكر آية ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾، وقد دافع ابن جرير عن رواية ابن جريح لكونه توبع من عمرو بن أبي قيس ودافع الحافظ ميني على أن ابن جريح ثقة حافظ، فيبعد توهيمه مع متابعة عمرو بن أبي قيس، ومع ذكر بعض أصحاب ابن عيينة لها، ويمكن الانفكاك عن كلام الحافظ بما تقدم من أن ذكر الآية مدرج من كلام بعض أصحاب ابن المنكر، وأن ذكرهم لها من قبيل الاجتهاد الذي يخطئ ويصيب. والله أعلم.

^١ حاشية المزي: معالم التنزيل (١:٤٠٢)، أحكام القرآن (١:٣٣٢)، المحرر الوجيز (٤:٣٤)، الجامع لأحكام القرآن (٥:٥٧)، تفسير ابن كثير (١/٤٥٧)، التحرير والتنوير (٤:٢٥٦).

وقال ابن كثير بعد أن ساق الحديثين حديث الإغماء وحديث ابنتي سعد: (والظاهر أن حديث جابر الأول إنما نزل بسببه الآية الأخيرة من هذه السورة كما سيأتي فإنه إنما كان له إذ ذاك أخوات ولم يكن له بنات، وإنما كان يورث كلاله ولكن ذكرنا الحديث هنا تبعاً للبخاري فإنه ذكره ههنا، والحديث الثاني عن جابر - في قصة ابنتي سعد - أشبهه بنزول هذه الآية والله أعلم) اهـ.

وقال ابن حجر معلقاً على اختلاف الروايات: (آية الموارث نزلت قبل ذلك بمدة - يعني ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ كما أخرج أحمد وأصحاب السنن وصححه الحاكم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر ثم ساق الحديث ... وهذا ظاهر في تقدم نزولها - لأنها نزلت بعد أحد - نعم وبه احتج من قال إنها لم تنزل في قصة جابر إنما نزلت في قصة ابنتي سعد بن الربيع، وليس ذلك بلازم إذ لا مانع أن تنزل في الأمرين معاً، ويحتمل أن يكون نزول أولها في قصة البنيتين، وآخرها وهي قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ في قصة جابر، ويكون مراد جابر فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ أي ذكر الكلاله المتصل بهذه الآية والله أعلم) ^١ اهـ.

هكذا قال - رحمه الله - وإنما ذكرت كلامه لأبين قوله في قصة ابنتي سعد بن الربيع وأنها إن لم تكن السبب الوحيد لنزول الآية فهي أحد السببين.

وأما قوله: يحتمل أن يكون نزول أولها في قصة البنيتين، وآخرها وهي قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ في قصة جابر ففي هذا الكلام عندي نظر ظاهر، إذ كيف يكون آخرها في قصة جابر وهي قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ مع أن هذه بإجماع العلماء يراد بها الإخوة ^٢ لأم، وهذا ما لا يصدق على جابر، ولا يتفق مع حال أخواته لأنهن شقيقاته، فسبحان من لا يضل ولا ينسى.

أما حديث جابر - رضي الله عنه - في قصة الإغماء فالاختلاف فيه جدٌ كبير فقد جاء أيضاً في نفس هذه القصة أن الآية التي نزلت هي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ [النساء: ١٢] وجاء أيضاً أن الآية التي نزلت هي آخريّة من سورة النساء في الكلاله، وقد تقدم قريباً أن سبب نزول قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ قصة ابنتي سعد بن الربيع وهذا الاختلاف أدى إلى الإطالة في دراسة أسانيدها، خلاصتها اجتهد بعض الرواة في تعيين الآية. وستأتي إن شاء الله تعالى دراسة الأسباب المعينة في مواضعها أما الآية التي هنا فلا صلة لها بقصة جابر - رضي الله عنه - في قضية الإغماء والله أعلم.

النتيجة:

أن هذه الآية نزلت بسبب شكوى زوج سعد بن الربيع - رضي الله عنهما - إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عههما الذي أخذ مال ابنتي سعد، ولم يدع لهما شيئاً، وذلك لأن الحديث يحتمل التحسين كما أنه صريح في السببية، وقد قال به جمع من العلماء مع موافقته لسياق القرآن والله أعلم. [أسباب النزول من خلال الكتب التسعة،

ص ٧٦]

^١ حاشية المزيّن: فتح الباري (٨: ٩٢، ٩٣).

^٢ حاشية المزيّن: الجامع لأحكام القرآن (٥: ٧٨).

أحاديث التفسير

الآية ٨

البخاري (٤٥٧٦)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ» قَالَ: هِيَ مُحْكَمَةٌ، وَلَيْسَتْ بِمَنْسُوخَةٍ، تَابَعَهُ سَعِيدٌ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

الحكم

الدرر السنية: لم يُعثر على حكم مطابق

الآية ١١

البخاري (٤٥٧٧)

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: «عَادَنِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ فِي بَنِي سَلَمَةَ مَاشِيَيْنَ، فَوَجَدَنِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَا أَعْقِلُ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ ثُمَّ رَشَّ عَلَيَّ فَأَفَقْتُ، فَقُلْتُ: مَا تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي مَالِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾.»

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٤٥٧٧): [صحيح]

الترمذي (٣٠١٥)

سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: «مَرَضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَعُودُنِي» وَقَدْ أُنْعِمِي عَلَيَّ، فَلَمَّا أَفَقْتُ قُلْتُ: كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي؟ فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾

الحكم

حكم الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ
الدرر السنية — الألباني، صحيح الترمذي (٣٠١٥): صحيح

النسائي في الكبرى (١١٠٢٥)

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ فِي بَنِي سَلَمَةَ يَمْشِيَانِ، فَوَجَدَانِي لَا أَعْقِلُ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَشَّ عَلَيَّ مِنْهُ، فَأَفَقْتُ فَقُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]

الحكم

الدرر السنية — مسلم، صحيح مسلم (١٦١٦): [صحيح]

فوائد وتعليقات

* وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ
 لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا
 تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ
 وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ
 فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ
 مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ
 رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ
 وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ
 فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى
 بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ
 عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
 ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ
 يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

الغريب

نِصْفُ

السطر ١ . الآية ١٢

(مادة نصف) نِصْفُ الشَّيْءِ: شَطْرُهُ. قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾

الراغب

وَلَدٌ

السطر ٣ . الآية ١٢

﴿وَلَدٌ﴾ ... ابْنٌ، أَوْ بِنْتُ.

السراج

الرُّبُعُ

السطر ٣ . الآية ١٢

(مادة ربع) وقال: ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾

الراغب

فَلَهُنَّ الثُّمُنُ

السطر ٥ . الآية ١٢

﴿فَلَهُنَّ الثُّمُنُ﴾ . «والرُّبُعُ» والمعنى واحد (٤) .

أبو عبيدة

(مادة ثمن) وقوله تعالى: ﴿فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾

الراغب

يُورَثُ كَلَالَةً

السطر ٧ . الآية ١٢

﴿كَلَالَةً﴾ : كل من لم يرثه أب أو ابن أو أخ فهو عند العرب كلاله. «يُورَثُ كَلَالَةً» : مصدر من تكلمه النسب،^١ أي تعطف النسب عليه، ومن قال: «يُورَثُ كَلَالَةً» فهم الرجال الورثة، أي يعطف النسب عليه.

أبو عبيدة

وقوله: ﴿يُورَثُ كَلَالَةً﴾ هو الرجل يموت ولا ولد له ولا والد. قال أبو عبيدة: هو مصدر من تَكَلَّمَ النَّسَبُ^٢. وتكلمه النسب: أحاط به. والأب والابن طرفان للرجل. فإذا مات ولم يخلفهما فقد مات عن ذهاب طرفيه. فسمي ذهاب الطرفين: كلاله. وكأنها اسم للمصيبة^٣ في تكلم النسب مأخوذ منه نحو هذا قولهم: وجهت الشيء: أخذت وجهه، وثغرت الرجل: كسرت

ابن قتيبة

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «١ مصدر من تكلمه النسب»: روى ابن مطرف (القرطبي ١/١١٦) هذا الكلام عنه، وأخذه البخاري (٥/١٧٥) .

^٢ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في مجاز القرآن ١١٩ " ... النسب، أي تعطف النسب عليه، ومن قال: "يورث كلاله" فهم الرجال الورثة، أي يعطف النسب عليه" وانظر اللسان ١٤/١١٢ والبحر المحيط ٣/١٨٨ وتفسير القرطبي ٧٦-٥/٧٧ وتفسير الطبري ٥٣/٨.

^٣ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ١٤/١١١ "والكل: المصيبة تحدث، والأصل من كل عنه، أي نبا وضعف".

ثغره.

وأطراف الرجل: نسبه من أبيه وأمه. وأنشد أبو زيد:
فكيف بأطرافي إذا ما شمتني ... وما بعد شتم الوالدين صلوح^١
أي صلاح.

الراغب

(مادة ورث) وقال: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾

وَأُورِثَنِي اللَّهُ كَذَا، قال:

ابن الهائم

﴿كَلَالَةً﴾: الكلالة: أن يموت الرجل ولا ولد له ولا والد. وهو لغة

قريش^٢، وقيل هي مصدر من تكلمه النسب، أي أحاط به، ومنه سمي الإكليل لإحاطته بالرأس. والأب والابن طرفان للرجل فإذا مات ولم يخلفهما فقد مات عن ذهاب طرفيه، فسمي ذهاب الطرفين كلاله، وكأنها اسم للمصيبة في تكلم النسب، مأخوذ منه يجري مجرى الشفاعة والسماحة، واختصاره أن الكلالة من تكلمه النسب أي أطاف به. والولد والوالد خارجان من ذلك لأنهما طرفان للرجل (زه) وفي معنى الكلالة واشتقاقها أقوال أخر يثبتها في «شرح الكفاية في الفرائض».

السراج

﴿كَلَالَةً﴾ ... مَنْ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ، وَلَا وَالِدٌ.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

السطر ١١ · الآية ١٣

أبو عبيدة

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: فرائض الله.

يَعْصِ

السطر ١٤ · الآية ١٤

الراغب

(مادة عصا) ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

وَيَتَعَدَّ

السطر ١٤ · الآية ١٤

الراغب

(مادة عدا) وقال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: في اللسان ١١/٢٢ "وأنشد أبو زيد لعون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود. "فكيف ... صلوح". جمعهما أطرافا لأنه أراد أبويه ومن اتصل بهما من ذويهما. وقال أبو زيد في قوله: "بأطرافي" أطرافه: أبواه وإخوته وأعمامه وكل قريب له محرم" والبيت غير منسوب فيه ٣/٣٤٨ والصحاح ٤/١٣٩٣.
^٢ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: «وهو لغة قريش»: ليس في التزهة ١٦٣.

أسباب النزول

الآية ١٢

المزني ٤٦ سبب النزول:

أخرج ابن ماجه عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: مرضت فأتاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعودني^١ هو وأبو بكر معه وهما ماشيان، وقد أغمي عليّ فتوضأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصب عليّ من وضوئه. فقلت: يا رسول الله كيف أصنع؟ كيف أقضي في مالي؟ حتى نزلت آية الميراث في آخر النساء: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] ٢.

دراسة السبب:

هكذا جاء في سبب نزول هذه الآية، ولم يذكر هذا الحديث جمهور المفسرين عند تفسيرهم لها، وهذا هو الصواب لأمر:

- ١ - أن ابن عينة اضطرب في تعيين الآية كما تقدم بيان ذلك عند دراسة السبب الخامس والأربعين.
 - ٢ - قوله حتى نزلت آية الميراث في آخر النساء ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ مع أن هذه الآية ليست في آخر النساء، بل في أولها.
 - ٣ - أن قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ لا يناسب قصة جابر في هذا الحديث لأن الآية تتحدث عن ميراث الأخوة لأم، بينما كان جابر - رضي الله عنه - شقيقاً لأخواته وليس أخاً من الأم كما هو معلوم، وفي ظني أن الذي أوجد الاشتباه تكرر لفظ الكلاله في الآيتين، وإلا فالفرق ظاهر بين الآيتين كظهوره بين الحكيم والله أعلم.
- النتيجة:
- أن هذا الحديث ليس سبب نزولها لاضطراره في متنه وإسناده ومخالفته لسياق القرآن، وإعراض المفسرين عنه، والله أعلم. [أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، ص ٧٧]

أحاديث التفسير

الآية ١٢

البخاري (٤٥٧٨)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ الْمَالُ لِلْوَلَدِ، وَكَانَتِ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ، فَنَسَخَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَحَبَّ، فَعَجَلَ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ، وَجَعَلَ لِلْأَبَوَيْنِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسَ وَالثُلُثَ، وَجَعَلَ لِلرَّأَةِ الثُّنَى وَالرُّبْعَ، وَلِلزَّوْجِ الشَّطْرَ

^١ حاشية المزني: يعودني: أي يزورني، والعواد هم الزوار. لسان العرب (٣: ٣١٩) مادة (عود).

^٢ حاشية المزني: أخرجه ابن ماجه، كتاب الفرائض، باب الكلاله (٢: ٩١١) رقم الحديث (٢٧٢٨).

وَالرُّبْعُ».

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٦٧٣٩): [صحيح]

الآية ١٣

النسائي في الكبرى (١١٠٢٦)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "الإِضْرَارُ فِي الْوَصِيَّةِ مِنَ الْكِبَارِ، ثُمَّ تَلَا ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ وَذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]

الحكم

الدرر السنية — ابن كثير، جامع المسانيد والسنن (٨/٣١١): [روي موقوفاً]

الدرر السنية — الألباني، ضعيف الترغيب (٢٠٣٩): منكر

فوائد وتعليقات

وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ
 أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ
 حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾
 وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا
 فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾
 إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ
 ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ
 يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ
 قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ
 أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ
 لَتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ تَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ
 مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ
 أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

الغريب

وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ

السطر ١ · الآية ١٥

أبو عبيدة

﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ﴾ : واحدها التي، وبعض العرب يقول:

اللواتي وبعضهم يقول: اللاتي، قال الراجز:

من اللواتي والَّتِي واللَّاتِي ... زعمن أني كبرت لداقي^١

أي أسناني وقال الأخطل:

من اللواتي إذا لانت عريكتها ... يبقى لها بعده آل ومجلود^٢

آلها: شخصها، ومجلودها جلدتها، وقال عمر بن أبي ربيعة: من اللاتي لم يحجبن بيغين حسبة ...

ولكن ليقطن البريء المغفلا^٣

ابن قتيبة

﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ﴾ يعني الزنا.

الراغب

(مادة فحش) ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ ، وَفَحَّشَ فلان: صار فاحشا، ومنه قول

الشاعر:

٣٤٨-

عقيلة مال الفاحش المتشدد^٤ يعني به: العظيم القبح في البخل، والمتفحش: الذي يأتي بالفحش

﴿الْفَاحِشَةُ﴾ ... الفِعْلَةُ الْقَبِيحَةُ، وَهِيَ الزَّانَا.

السراج

فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ

السطر ٢ · الآية ١٥

ابن قتيبة

وقوله: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ منسوخة نسختها:

وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ

السطر ٤ · الآية ١٦

ابن قتيبة

﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ﴾ يعني الفاحشة.

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: قال البغدادي في الخزانة: لا أعرف ما قبله ولا قائله مع كثرة وجوده في كتب النحو وهو في الصحاح واللسان والتاج (التي) والقرطبي ٥/ ٨٣. [.....]

^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: ديوانه ١٤٨ واللسان والتاج (عرك).

^٣ حاشية المحقق على مجاز القرآن: لم أجد البيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة، ورأيت عند الزجاج ١/ ٦٣ ب بغير عزو وهو منسوب إلى الحارث بن خلد (؟) في نسخة.

^٤ حاشية المحقق على المفردات: عجز بيت لطرفة، وصدده:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى

وهو في ديوانه ص ٣٤. [.....]

فَإِذَا ذُوهُمَا^ط

السطر ٤ . الآية ١٦

﴿فَإِذَا ذُوهُمَا﴾ أي عزروهما. ويقال: حدوهما.

ابن قتيبة

فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا^ق

السطر ٤ . الآية ١٦

﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ أي: لا تُعبروهما بالفاحشة. ونحو هذا قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله في الأمة: "فليجلدها الحد ولا يعيرها".

ابن قتيبة

بِجَهْلَةٍ

السطر ٦ . الآية ١٧

﴿بِجَهْلَةٍ﴾ ... بِسَفَهٍ، وَكُلُّ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَهُوَ جَاهِلٌ.

السراج

مِنْ قَرِيبٍ

السطر ٧ . الآية ١٧

﴿مِنْ قَرِيبٍ﴾ ... قَبْلَ مُعَايِنَةِ الْمَوْتِ.

السراج

أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

السطر ١١ . الآية ١٨

﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ : أفعلنا من العتاد، ومعناها:

أبو عبيدة

أعدنا لهم^١ و «أَلِيمًا» مؤلماً.

﴿أَعْتَدْنَا﴾ : أَعْدَدْنَا، أَفْعَلْنَا مِنَ الْعَتَادِ.

البخاري

(مادة عتد) ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

الراغب

، قيل: هو أفعلنا من العتاد، وقيل: أصله أعدنا، فأبدل من إحدى الدالين تاء^٢. وفرس عتيدٌ وعتيدٌ: حاضر العدو، والعتودُ من أولاد المعز، جمعه: أعتدَّةٌ، وعدَّانٌ على الإدغام

(مادة عد) ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

الراغب

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «أعدنا... أعدنا»: روى الطبري (٢٠٧/٤) هذا الكلام عن بعض البصريين، ولعله يعني أبا عبيدة، وأخذه البخاري برمته عن أبي عبيدة، وعزاه الشارح ابن حجر له في فتح الباري ٨/ ١٨١.

^٢ حاشية المحقق على المفردات: انظر: البصائر ٣/ ١٨ [.....]

لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا

السطر ١٢ · الآية ١٩

ابن قتيبة

﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ قالوا^١ . كان الرجل إذا مات عن امرأته وله ولد من غيرها، ألقى ثوبه عليها فيتزوجها بغير مهر إلا المهر الأول. ثم أضربها ليرثها ما ورثت من أبيه. وكذلك كان يفعل الوارث أيضا غير الولد.

والكره هاهنا بمعنى الإكراه والقهر. فأما الكره بالضم فمعنى المشقة. يقول الناس: لتفعلن ذلك طوعا أو كرها. أي طائعا أو مكرها. ولا يقال: طوعا أو كرها بالضم.

الراغب

(مادة ورث) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾

ويقال لكل من حصل له شيء من غير تعب: قد ورث كذا، ويقال لمن خول شيئا مهنتا: أورث

الراغب

(مادة كره) ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ وقرئ:

كرها^٢ ، والإكراه يقال في حمل الإنسان على ما يكرهه، وقوله:

وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ

السطر ١٢ · الآية ١٩

السراج

﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ ... لَا تَمْسِكُوهُنَّ مَضَارِينَ لَهُنَّ.

بِفَاحِشَةٍ

السطر ١٣ · الآية ١٩

الراغب

(مادة فحش) ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ ، كناية عن الزنا، وكذلك قوله:

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

السطر ١٤ · الآية ١٩

أبو عبيدة

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي خالقوهن^٣.

ابن قتيبة

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: صاحبوهن مصاحبة جميلة.

الراغب

(مادة عشا) ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

. والعشير: المعاشر قريبا كان أو معارف.

عشا

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: راجع أسباب النزول ١٠٨ والدر المنثور ٢/١٣١.

^٢ حاشية المحقق على المفردات: وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف. انظر: الإتحاف ص ١٨٨.

^٣ حاشية المحقق على مجاز القرآن: «خالقوهن»: هذا التفسير بمعناه في الطبري ٤/٢١٣.

العَشِيِّ من زوال الشمس إلى الصّباح

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي صاحبوهن.

ابن الهائم

أسباب النزول

الآية ١٩

الوادي

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ الآية ١٩.

البخاري ج ٩ ص ٣١٤ حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا أسباط بن محمد حدثنا الشيباني^١ عن عكرمة عن ابن عباس: قال الشيباني وذكره أبو الحسن والسوائي^٢ ولا أظنه ذكر إلا عن ابن عباس ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ﴾ قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجها وإن شاءوا لم يزوجها وهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية في ذلك.

الحديث أخرجه أيضا في كتاب الإكراه ج ١٥ ص ٣٥٣ وأبو داود ج ٢ ص ١٩٣ وابن جرير ج ٤ ص ٣٠٥ قال الحافظ ابن كثير ج ١ ص ٤٦٥ وروى وكيع عن سفيان عن علي بن

بذيمة عن مقسم عن ابن عباس كانت المرأة في الجاهلية إذا توفي عنها زوجها فجاء رجل فألقى عليها ثوبا كان أحق بها فنزلت ا. هـ. علي بن بذيمة روى له أصحاب السنن وهو ثقة وبقية رجاله رجال الصحيح وروى الطبراني ج ٤ ص ٣٠٥ عن أبي أمامة قال لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان ذلك لهم في الجاهلية فنزلت. قال الحافظ في الفتح ج ٩ ص ٣٠٥ والسيوطي في الباب سنده حسن. [الصحيح المسند، ص ٦٥]

سبب النزول:

المزي ٤٧

١ - أخرج البخاري وأبو داود والنسائي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ﴾. قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه^٣ أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجها، وإن شاءوا لم يزوجها، فهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية في ذلك^٤.

٢ - أخرج أبو داود عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها^٥

^١ حاشية الصحيح المسند من أسباب النزول: هو أبو إسحاق سليمان بن فيروز.

^٢ حاشية الصحيح المسند من أسباب النزول: قال الحافظ في الفتح حاصله أن للشيباني فيه طريقتين إحداهما موصولة وهي عكرمة عن ابن عباس والأخرى مشكوك فيها.

^٣ حاشية المزي: تقدم شرحه عند السبب (٤٣).

^٤ حاشية المزي: أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ (٤: ١٦٧٠) رقم (٤٣٠٣) وانظر رقم (٦٥٤٩)، وأبو داود، كتاب النكاح، باب قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ (٥٧٢، ٢: ٥٧١) رقم (٢٠٨٩)، والنسائي في

الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ (٦: ٣٢١) رقم (١١٠٩٤).

^٥ حاشية المزي: العضل: المنع. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣: ٢٥٤) مادة (عضل).

حتى تموت أو ترد إليه صداقها فأحكم^١ الله عن ذلك ونهى عن ذلك^٢.

٣ - أخرج النسائي عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: لما توفي أبو قيس بن الأسلت، أراد ابنه أن يتزوج امرأته من بعده، فكان ذلك لهم في الجاهلية، فأنزل الله - عز وجل -: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾^٣.

دراسة السبب:

هكذا جاء في سبب نزول الآية الكريمة. وقد أورد جمهور المفسرين هذه الأحاديث أو بعضها عند بيانهم لسبب نزول هذه الآية منهم الطبري والبغوي وابن العربي وابن عطية والقرطبي وابن كثير والسعدي والشنقيطي، وابن عاشور^٤.

قال الطبري: (إنهم في الجاهلية كانت إحداهن إذا مات زوجها كان ابنه أو قريبه أولى بها من غيره ومنها نفسها، إن شاء نكحها، وإن شاء عضلها فنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت فحرم الله تعالى ذلك على عباده، وحظر عليهم نكاح حلائل آبائهم ونهاهم عن عضلن عن النكاح) اهـ.

وقال السعدي: (كانوا في الجاهلية إذا مات أحدهم عن زوجته، رأى قريبه، كأخيه وابن عمه ونحوهما، أنه أحق بزوجه من كل أحد، وحماها عن غيره أحب أو كرهت، فإن أحبها، تزوجها على صداق يحبه دونها، وإن لم يرضها عضلها فلا يزوجها إلا من يختاره هو، وربما امتنع من تزويجها، حتى تبذل له شيئاً من ميراث قريبه، أو من صداقها) اهـ.

وقال الشنقيطي: (وقد كان من مختلفات العرب في الجاهلية إرث الأقارب أزواج أقاربهم كان الرجل منهم إذا مات وألقى ابنه وأخوه مثلاً ثوباً على زوجته ورثها وصار أحق بها من نفسها إن شاء نكحها بلا مهر، وإن شاء أنكحها غيره وأخذ مهرها، وإن شاء عضلها حتى تفتدي منه إلى أن نهاهم الله عن ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾) اهـ.

^١ حاشية المزيني: أحكم: أي منع منه. النهاية في غريب الحديث والأثر (١: ٤٢٠) مادة (حكم).

^٢ حاشية المزيني: أخرجه أبو داود، كتاب النكاح، باب قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ (٢: ٥٧٢) رقم (٢٠٩٠)، وهذه الرواية منكوبة لأمر ثلاثة:

أ - أن علي بن الحسين ضعيف الحديث كما قال أبو حاتم في التهذيب (٧: ٢٧١).

ب - أنه قد خالف ثقة قد أرسل الحديث وهو يحيى بن واضح فرواه عن الحسين بن واقد به مراسلاً بدون ذكر ابن عباس. جامع البيان (٤: ٣٠٥).

ج - أن الحديث قد جاء من طريق آخر عن عكرمة عن ابن عباس باللفظ المذكور عند البخاري.

^٣ حاشية المزيني: أخرجه النسائي، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ﴾ (٦: ٣٢١) رقم (١١٠٩٥) وهذا الحديث معلول بالآتي:

أ - أن أبا أمامة وهو أسعد بن سهل بن حنيف له رؤية ولم يسمع من النبي - صلى الله عليه وسلم - كما في التقريب (٤: ٤٠٢).

ب - أن القصة المذكورة في سبب نزول هذه الآية ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ قد عارضها رواية أخرى عند الطبري (٤: ٣١٨)، وابن أبي حاتم (٣: ٩٠٩) عن رجل من الأنصار قال: توفي أبو قيس وكان من صالح الأنصار فخطب ابنه قيس امرأته فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٢٢].

ج - أن الحديث أصله في الصحيح باللفظ المذكور عند البخاري وأبي داود والنسائي.

^٤ حاشية المزيني: جامع البيان (٤: ٣٠٥ - ٣٠٧)، معالم التنزيل (١: ٤٠٨)، أحكام القرآن (١: ٣٦١)، المحرر الوجيز (٤: ٥٧)، (٥٨)، الجامع لأحكام القرآن (٥: ٩٤)، تفسير ابن كثير (١: ٤٦٥)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٢: ٤١)، أضواء البيان (١: ٣١٧)، التحرير والتنوير (٤: ٢٨٣).

النتيجة:

أن سبب نزول الآية ما ذكره ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان الرجل إذا مات فيهم كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها، أو زوجها من يشاء، أو لم يزوجها عضلاً منهم وظلماً فأنزل الله الآية إحقاقاً للحق وإزهاقاً للباطل وتبياناً لحقوق الطرفين، وإنما اخترت هذا السبب دون سواه لصحة إسناده، وصراحة ألفاظه، واتفاقه مع سياق الآية وأقوال المفسرين.

وأما السببان الآخريان المذكوران عن ابن عباس، وأبي أمامة - رضي الله عنهما - فقد تقدم الكلام في بيان ضعفهما وعدم نهوضهما للاحتجاج بهما.
* تنبيه:

تقدم في كلام بعض المفسرين أنهم كانوا في الجاهلية يفعلون هذا، ومما لا يخفى أن هذا الذي وقع لم يكن في الجاهلية، إنما كان في الإسلام، ويؤيده النداء بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فلعل مراد العلماء أن أصل الفعل ابتداءً كان في الجاهلية، وامتد حتى مجيء الإسلام فكانوا يفعلونه فيه والله أعلم. [أسباب النزول من خلال الكتب التسعة، ص ٧٧]

أحاديث التفسير

الآية ١٥

النسائي في الكبرى (١١٠٢٧)

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهْنً سَيِّئًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيْبُ بِالثَّيْبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَرَجْمٌ بِالْحَجَارَةِ»

الحكم

الدرر السنية — مسلم، صحيح مسلم (١٦٩٠): [صحيح]
الدرر السنية — محمد ابن عبدالمهدي، تنقيح التحقيق (٤/٥١٢): وهم

الآية ١٩

البخاري (٤٥٧٩)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ﴾ قَالَ: كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِيَائُهُ أَحَقَّ بِأَمْرَاتِهِ، إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزْوِجَهَا، وَإِنْ شَاءُوا زَوْجَهَا، وَإِنْ شَاءُوا لَمْ يَزَوْجُوا، فَهُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا، فَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي ذَلِكَ».

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٤٥٧٩): [صحيح]

النسائي في الكبرى (١١٠٢٨)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩] قَالُوا: كَانُوا إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِيَاؤُهُ أَحَقَّ بِأَمْرَاتِهِ، إِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزَوَّجَهَا، وَإِنْ شَاءَ زَوْجُوهَا، فَهُمْ أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي ذَلِكَ ”

الحكم

الدرر السنية — البخاري، صحيح البخاري (٤٥٧٩): [صحيح]

النسائي في الكبرى (١١٠٢٩)

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: ” لَمَّا تَوَفَّى أَبُو قَيْسٍ بْنُ الْأَسْلَتِ أَرَادَ ابْنُهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أَمْرَأَتَهُ مِنْ بَعْدِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ [النساء: ١٩]

الحكم

الدرر السنية — السيوطي، لباب النقول (٧٩): إسناده حسن

الدرر السنية — الدارقطني، علل الدارقطني (٢٦٩٤): يرويه ابن فضيل، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن أبي أُمَامَةَ، عن أبيه. وغير ابن فضيل يرويه عن يحيى، عن محمد بن أبي أُمَامَةَ مُرْسَلًا، ولا يذكرُ أباه، وهو أصحُّ.

فوائد وتعليقات

وَأِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ
 إِحْدَهُنَّ قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ
 بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢١﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى
 بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا
 ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
 إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ
 سَبِيلًا ﴿٢٣﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ
 وَأَخَوَاتُكُمْ وَعُمَّتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ
 الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ
 وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ
 وَرَبَبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ
 اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا
 جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ
 أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا
 مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾

الغريب

قِنْطَارًا

السطر ٢ · الآية ٢٠

(مادة قطر) ﴿وَأَتَيْنُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا﴾ والقَنْطَارُ جمع القَنْطَرَةِ، والقَنْطَرَةُ من المال: ما فيه عبور الحياة تشبها بالقنطرة، وذلك غير محدود القدر في نفسه، وإنما هو بحسب الإضافة كالغنى، فربّ إنسان يستغني بالقليل، وآخر لا يستغني بالكثير، ولما قلنا اختلفوا في حدّه فقيل: أربعون أوقية. وقال الحسن: ألف ومائتا دينار، وقيل: ملء مسك ثور ذهباً إلى غير ذلك، وذلك كاختلافهم في حدّ الغنى، وقوله:

﴿قِنْطَارًا﴾ ... مَالًا كَثِيرًا.

السراج

بُهْتَانًا

السطر ٣ · الآية ٢٠

﴿بُهْتَانًا﴾ أي: ظلماً.^١

أبو عبيدة

﴿بُهْتَانًا﴾ أي ظلماً.

ابن قتيبة

﴿بُهْتَانًا﴾ ... كَذِبًا، وَظُلْمًا.

السراج

أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ

السطر ٣ · الآية ٢١

﴿أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ : المجامعة.

أبو عبيدة

[«ميثاقا»] (٢٠) : الميثاق، مفعال من الوثيقة يمين، أو عهد، أو غير ذلك، إذا استوثقت.

﴿أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ يعني المجامعة.

ابن قتيبة

(مادة فضا) الفضا: المكان الواسع، ومنه: أَفْضَى بيده إلى كذا، وَأَفْضَى إلى امرأته: في الكفاية أبلغ، وأقرب إلى التصريح من قولهم: خلا بها. قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ . وقول الشاعر: ٣٥٣-

الراغب

طعامهم فَوْضَى فُضًّا في رحالهم^٢ أي: مباح، كأنّه موضوع في فضاء يَفِيضُ فيه من يريده

﴿أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾: انتهى إليه ولم يكن بينهما حاجز، وهو كفاية عن الجماع.

ابن المائم

﴿أَفْضَى﴾ ... اسْتَمْتَعَ بِالْجَمَاعِ.

السراج

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: ظلما: انظر الطبري ٤ / ٢١٤.

^٢ حاشية المحقق على المفردات: هذا شطر بيت للمعذل البكري، وعجزه:

[ولا يحسنون السرّ إلا تناديا]

[استدراك] وهو في اللسان (فضا) ، وغريب الحديث للخطابي ٢ / ٥٣١ ولم ينسبه المحقق، وشرح الحماسة ٤ / ١٣٦.

وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا

السطر ٤ · الآية ٢١

﴿وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ أي وثيقة. قال ابن عباس: هو تزوجهن على إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان^١.

ابن قتيبة

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ

السطر

٥ · الآية ٢٢

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ : نهاهم أن ينكحوا نساء آبائهم، ولم يحلّ لهم ما سلف، أي ما مضى، ولكنه يقول: إلا ما فعلتم.

أبو عبيدة

إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا

السطر ٦ · الآية ٢٣

﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي بئس طريقة ومسلكا، ومن كان يتزوج امرأة أبيه فولد له منها، يقال له: مقتى^٢ ومقتوى من قتوت، وهذا من مقت [كان الأشعث بن قيس^٣ منهم، تزوج قيس بن معدى كرب امرأة أبيه، فولدت له الأشعث^٤، وكان أبو عمرو بن أمية خلف على العامرية امرأة أبيه فولدت له أبا معيط].

أبو عبيدة

﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي قبح هذا الفعل فعلا وطريقا. كما تقول: ساء هذا مذهبا. وهو منصوب على التمييز. كما قال: ﴿وَحَسَنَ أَوْلَٰئِكَ رَفِيقًا﴾^٥.

ابن قتيبة

(مادة مقت) المقت: البغض الشديد لمن تراه تعاطى القبيح. يقال: مَقَّتْ مَقَاتَةً فهو مَقِيْتُ، ومَقَّتْهُ فهو مَقِيْتُ ومَقُوتٌ. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ وكان يسمى تزوج الرجل امرأة أبيه نكاح المقت، وأما المقيت ففعل من القوت، وقد تقدّم^٦.

الراغب

﴿فَاحِشَةً وَمَقْتًا﴾: المقت: البغض، أي إنه كان فاحشة عند الله في تسميتكم. كانت العرب إذا تزوج الرجل امرأة أبيه فأولدها يقولون للولد مقتى.

ابن الهائم

^١ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: الدر المنثور ٢/١٣٣.

^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: مقتى: قال ابن عطية: وقال أبو عبيدة وغيره: كانت العرب تسمى الولد الذي يبيء من زوج الوالد المقتى (الحرر الوجيز ١/ ١٨٧ أ).

^٣ حاشية المحقق على مجاز القرآن: الأشعث بن قيس: هو معد يكرب بن معاوية الكندي له ترجمة في التهذيب للنووي ١/ ١٢٣ والكامل لابن الأثير ١٠/ ٣٣٨ والإصابة ١٤/ ١٩٧.

^٤ حاشية المحقق على مجاز القرآن: كان الأشعث ... أبا معيط: ملخص هذا الكلام في عين المعاني، للسجائدي (١/ ١١٦ ب نسخة كوبرلي).

^٥ حاشية المحقق على غريب القرآن لابن قتيبة: سورة النساء ٦٩.

^٦ حاشية المحقق على المفردات: راجع: مادة (قوت).

﴿وَمَقْتًا... بَغِيضًا يَمُتُ اللَّهُ فَاعِلَهُ﴾

السراج

﴿سَبِيلًا... طَرِيقًا﴾

السراج

السطر ١١ · الآية ٢٣

وَرَبَّابُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمْ

﴿وَرَبَّابُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمْ﴾ بنات المرأة من غيره. ربيبة الرجل: بنت امرأته، ويقال لها: المربوبة، وهي بمنزلة قتيلة ومقتولة.

أبو عبيدة

﴿فِي حُجُورِكُمْ﴾ في بيوتكم، ويقال: إن عائشة^١ كتبت إلى حفصة: إن ابن أبي طالب بعث ربيبه ربيب السوء، تعني محمد بن أبي بكر،^٢ وكانت أمه أسماء بنت عميس، عند علي بن أبي طالب ويقال للزوج أيضا: هو ربيب ابن امرأته، وهو راب له، فخرجت مخرج عليم في موضع عالم.

أبو عبيدة

(مادة رب) قال تعالى:

الراغب

﴿وَرَبَّابُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾

، وَرَبَّيْتُ الْأَدِيمَ بِالسَّمَنِ، والدَّوَاءُ بِالْعَسَلِ، وسقاء مربوب، قال الشاعر:

-١٧٥-

فكوني له كالسمن ربّت بالأدم^٣ والرّبابُ: السّحاب، سمّي بذلك لأنّه يرّبّالنبات، وبهذا النّظر سمّي المطر درّا، وشبه السّحاب باللّقوح. وأرّبت السّحابة: دامت، وحقيقته أنها صارت ذات تربية، وتصور فيه معنى الإقامة فقليل: أَرَبْتُ فَلَانُ بِمَكَانٍ كَذَا تشبّيحها بإقامة الرّباب، وَ «رُبَّ» لاستقلال الشيء، ولما يكون وقتا بعد وقت

(مادة حجر) قال تعالى: ﴿وَرَبَّابُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ ، وَحَجَرُ الْقَمِيصِ أيضا: اسم لما يجعل

الراغب

فيه الشيء فيمنع، وتصور من الحجر دورانه فقليل: حَجَرْتُ عَيْنَ الْفَرَسِ:

إذا وسمت حولها بميسم، وَحَجَرُ الْقَمَرِ: صار حوله دائرة، وَالحَجُورَةُ: لعبة للصبيان يَخْطُونُ خَطًّا مستديرا، وَحَجَرُ الْعَيْنِ منه، وَتَحَجَّرَ كَذَا:

تصلّب وصار كالأحجار، والأحجار: بطون من بني تميم، سمّوا بذلك لقوم منهم أسماءهم جندل

^١ حاشية المحقق على مجاز القرآن: عائشة: من زوجات النبي ﷺ، ترجمتها عند النووي ٣ / ٣٣٠ والإصابة ٤ / ٥٣٠: النبي ﷺ ترجمتها عند النووي ٣ / ٣٣٠ والإصابة ٤ / ٥٣٠:

^٢ حاشية المحقق على مجاز القرآن: محمد بن أبي بكر الصديق. وانظر خبره في الكامل لابن الأثير ٣ / ٢٩٥:

أسماء بنت عميس: كانت زوج أبي بكر الصديق فمات عنها ثم تزوجها علي بن أبي طالب. انظر ترجمتها في تهذيب النووي ٢ / ٣٣٠.

^٣ حاشية المحقق على المفردات: هذا حجر بيت لعمر بن شأس، يخاطب امرأته، وكانت تؤذي ابنه عراراً، فقال لها:

فإن عراراً إن يكن غير واضح ... فإني أحبّ الجون ذا المنكب الغم

فإن كنت مني، أو تريدني صحبي ... فكوني له كالسمن ربّ له بالأدم

أراد بالأدم النحي، يقول لزوجته: كوني له كسمن ربّ أدومه، أي: طلي ربّ القمر. انظر: اللسان (رب) ، والتثيل والمحاضرة ص ٢٨٢، وسمط اللآلئ ٢ / ٨٠٣.

وحجر وصخر

﴿وَرَبَائِبُكُمْ﴾: وبنات نسائكم من غيركم. الواحدة ربيبة (زه) فاعيل بمعنى مفعول ودخله التاء

ابن الهائم

لأنه اسم لا وصف، أي نقل عن الوصفية إلى الاسمية.

﴿وَرَبَائِبُكُمْ﴾... بَنَاتُ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي يَتَرَبَّيْنَ غَالِبًا فِي بُيُوتِكُمْ.

السراج

دَخَلْتُمْ

السطر ١٢ · الآية ٢٣

(مادة دُخِلَ) قال تعالى: ﴿مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ

الراغب

عَلَيْكُمْ﴾

وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ

السطر ١٣ · الآية ٢٣

﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ﴾ حليلة الرجل: امرأته.

أبو عبيدة

﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ﴾ أزواج البنين.

ابن قتيبة

(مادة حلَ) قال الله تعالى:

الراغب

﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ ، والحلة: إزار ورداء، والإحليل:

مخرج البول لكونه محلول العقدة

﴿حَلَائِلُ﴾: جميع حليلة. وحليلة الرجل: امرأته، وإنما قيل لامرأة الرجل حليلة وللرجل حليلها

ابن الهائم

لأنها تحل معه ويحل معها. ويقال: حليلة بمعنى محلة^١ لأنها تحلّ له ويحلّ لها.

﴿وَحَلَائِلُ﴾... زَوَجَاتُ.

السراج

أَصْلَابِكُمْ

السطر ١٤ · الآية ٢٣

(مادة صلب) ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾

الراغب

، تنبيه أنّ الولد جزء من الأب، وعلى نحوه نبه قول الشاعر:

-٢٨٣

وإنما أولادنا بيننا... أبكادنا تمشي على الأرض^٢ وقال الشاعر:

-٢٨٤

في صلبٍ مثل العنان المؤدم^٣ والصلب والاصطلاب: استخراج الودك من العظم، والصلب

^١ حاشية المحقق على التبيان لابن الهائم: في الأصل: «محلة»، وما أثبت لفظ التزهة ٧٣.

^٢ حاشية المحقق على المفردات: البيت لحطان بن المعلّى، وهو في الزهرة ٢/ ٦٦٠، وأما القالي ٢/ ١٨٩، وعيون الأخبار ٣/ ٩٥.

^٣ حاشية المحقق على المفردات: الرجز للعجاج، وهو في ديوانه ص ٢٩٣، وغريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٣٦٤، وتهذيب إصلاح المنطق

الذي هو تعليق الإنسان للقتل، قيل: هو شدُّ صُلْبِهِ على خشب، وقيل: إنما هو من صَلَبِ الْوَدَكِ

سَلَفٌ

الراغب

السطر ١٥ · الآية ٢٣

(مادة سلف) ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾

، أي: ما تقدّم من فعلكم، فذلك متجافى عنه، فلاستثناء عن الإثم لا عن جواز الفعل، ولفلان سَلَفٌ كريم، أي:

آباء متقدّمون، جمعه أَسْلَافٌ، وسُلُوفٌ.

والسَّالِفَةُ صفحة العنق، والسَّلَفُ: ما قدّم من الثمن على المبيع، والسَّالِفَةُ والسُّلَافُ:

المتقدّمون في حرب، أو سفر، وسَلَاةٌ انحر:

ما بقي من العصير، والسَّلَفَةُ: ما يقدم من الطعام على القرى، يقال: سَلَفُوا ضيفكم ولهنّوه^١

أسباب النزول

الآية ٢٢

الوادعي

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾ الآية ٢٢.

ابن جرير ج ٤ ص ٣١٨ حدثني محمد بن عبد الله المخرمي قال حدثنا قراد قال حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يحرمون ما يحرم إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين قال فأنزل الله ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ إلى قوله ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾.

الحديث رجاله رجال الصحيح إلا محمد بن عبد الله المخرمي وهو ثقة.

تنبيه: وقع في السند ثنا ابن عيينة وعمرو وهو غلط والصواب هو ما أثبتناه فإن سفيان لم يرو عن عكرمة وقد ذكر الحافظ في تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١١٩ أن سفيان ولد سنة ١٠٧ ثم ذكر في ترجمة عكرمة أنه توفي سنة ١٠٧ وقيل ١١٠ وقيل غير ذلك وعلى كل فسفيان مشهور بالرواية عن عمرو وهو ابن دينار وإنما نبهت عليه لثلا يظن أن ما ههنا غلط، ووقع في تفسير ابن كثير على الصواب كما نقله شيخنا حفظه الله. [الصحيح المسند، ص ٦٦]

فوائد وتعليقات

١٣٤ / ١

وصدره:

رباً العظام نخمة المخدم

^١ حاشية المحقق على المفردات: انظر عمدة الحفاظ: سلف، واللسان: لهن.

